بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

من هنا بدأنا..

● ولا نقول : «من هنا نبدا» ، فقد بدانا فعلا منذ ان اهتدينا الى الطريق وابصرنا معالمه ، واحطنا بحقيقة امرنا ، وادركنا اننا نحمل مسؤولية الاشعاع والهداية الى سبيل الخير والمحبة والسلام ، ومضينا نضيء دياجي العقل والوجدان ، ونرسم صورة المستقبل امام الاجيال ، وندك حصون الجهل والدجل ، ونقيم فى ارجاء الارض صروح العلم والحضارة ونفك عن الانسان اغلال القهر والخوف ، ونملأ قلبه بالطمانينة ، والثقة والرضا ، والطموح .

بدات الرحلة الطويلة الممتدة مع انبلاج فجر التوحيد ، وشروق نور الايمان ، واهتداء الانسان المغربى الى الدين القيم ، الذى وجد فيه سكينة الروح ، وشفاء النفس ، ومضاء العزيمة ، وقوة التحدى ، فارتفع به شأنه ، وعلا مقامه ، وقويت همته ، وصار انسانا جديدا ، يؤمن بالله ، ويقود الحضارة ، ويثريها بالعلم ، ويغنيها بالابداع ، ويصوغ تاريخ البشرية صياغة جديدة .

وتشاء ارادة الله ــ ولانقول الصدف اوالظروف ، فلسنا مؤمنين بالحتمية التاريخية ــ ان يرتبط تاريخ المغرب بالاسلام منذ ان اكرمنا الله بهذا الدين ، ورضيه لنا عقيدة ومنهجا ورسالة ، واصطفانا جنودا له وحماة ودعاة ، وهيأ لنا ــ سبحانه وتعالى ــ اسباب الظهور والنفوذ والسلطان ، وبارك لنا فى مسعانا وجهدنا وعملنا ، وجعل بلادنا حصنا لدينه ومعقلا لشريعته ، ووفق ملوكنا وامراءنا واولى الامر فينا للجهاد والفتح ، حتى اضحى وجودنا الحضارى ، وكياننا البشرى ، ممتزجين بهذه العقيدة ، مصطبغين بصبغتها ، لا يكادان ينفصلان عن جذورها ، فنحن بالاسلام مغاربة ومغاربة بالاسلام ، ونحن عرب بالاسلام ، ومسلمون بالعروبة ، لم تشب فطرتنا واصالتنا شائبة من قومية ضيقة ، او عنصرية جاهلية ، او تعصب عرقى يكرهه الله ورسوله ، وحدنا الاسلام وجمعتنا لغته ، وتولى العرش الحفاظ على هذه الوحدة والدفاع عنها ، وأبلى فى سبيل ذلك البلاء الحسن ،

ولقد بدأنا من الاسلام ، فهو وحده المنطلق والمحور ، وأقمنا حضارة سادت العالم ، ولم تتزعزع ثقتنا فيه ، ونبغت فى ظله عقول اسهمت بحظ وافر فى التراث الانسانى وتتلمذت عليها اوروبا ، فخرجت بذلك من الظلمات الى النور ، لتبنى كيانها ، وتقوى نفسها استعدادا لدورة حضارية جديدة .

أفيصح القول بعد هذا ، باننا قوم نتعلق بالاسطورة ، ونتشبث بالخرافة ، ونحشو عقولنا بالغيبيات ، ونعرض عن الاخذ باسباب التقدم ؟

أيستقيم فى ميزان العقل — ما دام خصوم هذاالدين يدعون الانحياز الى العقل — ان يكون الاسلام الذى حرر الانسان من اغلال الشعوذة واحتقار الفكر ، وطرد الاستعمار من البلاد الاسلامية ، يتهم اليوم هذه التهمة العريضة الملفقة ، أم انها جهود ومحاولات للتقليل من شان الاسلام فى أعين ابنائه وصرف اهتماماتهم عنه باعتباره القوة الرادعة التى تمنع الاستعمار الجديد من العودة الى العالم العربى والاسلامى ؟

● الواقع ان الحرب ضد الاسلام فى أوجها . ولم يسبق للمسلمين ان مروا بمحنة فكرية فى ضراوة وشراسة وعنفوان ما يستهدفون له اليوم من كيد وتآمر وضغط دولى يتخذ اشكالا اقتصادية وديبلوماسية من الخطورة والدهاء والحبك بمكان . ولقد استطاع المغرب بقيادته المؤمنة ان يحطم الحصار الاستعمارى حوله ، ويفرض ارادته الحرة ، وبذلك احبط المؤامرة الصهيونية الماكرة التى استهدفت الانتقام من المغرب المسلم الذى احتضن مؤتمر القمة الاسلامى الاول ، وساهم بتجريدتين فى حرب رمضان 1393 .

ولا شك ان الصهيونية لا تنظر بارتياح الى التجارب الناجحة ، والانظمة الراسخة ، والقادة المخلصين ، والمفكرين الصادقين ، وذوى الارادات القوية ، والنوايا الانسانية ، ولا يرضيها ان يشيع الاسلام ويملأ العقول والقلوب ، ويتهيأ المسلمون لاستئناف دورهم الحضارى ، ويتجهون نحو التحرير الكامل غير المشروط من التخلف والانحراف والخوف . ومن ثم كانت الصهيونية العالمية بالمرصاد للاسلام وللاتجاهات السوية الهادفة الى اسعاد الانسان وخدمة السلام العالمى .

● ولعلنا نستطيع ان نفسر ، بموضوعية وفهم ، عوامل التطورات ، وخلفيات الاحداث التى مر بها المغرب منذ انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى الاول بالرباط

فازددنا ارتباطا به ، وثقة فيه ، واتباعا له ، غير مضطرين ولا مكرهين ولا مجبرين .

● وليس من قبيل الانفعال العاطفى ، او الحنين الى الماضى — وان كنا لا نرى فى ذلك ما يخدش كرامتنا — ان نؤكد ، فى قوة وجزم ، وايضا فى وعى وادراك وتبصر وتقدير لمعانى الكلمات ودلالاتها ، ان الاســلام ليس دينا بالمفهوم الاوروبى الكنسى للاديــان ، بمعنى انه علاقة خاصة او شخصية بين الانســان وربه ، وليس هو دينا بالمفهــوم الماركسى الالحادى الذى يشيعه بين المسلمين تلامــذة الاستشراق والتغريب والغزو الفكرى ، ولكنه — فى وضوح كامل — طاقة حضارية ذات اشعاع وتاثير وقــدرة على التغيير والتحرير والبناء : تغيير الواقع ، وتحرير العقل ، وبناء الانسان والحضارة ، ثم هو بالاضافة الى ذلك سلاح — بالمعنيين الحقيقى والمجازى — يرهبه الاستعمار الجديد ويخشاه اشد واكثر ممــا كان يرهبه ويخشاه الاستعمار التقليدى القديم . ولا غرو فى ذلك فان كتاب الاستعمار ومؤرخيه يعترفون فى صراحة عجيبة بتاثير الاسلام فى معارك التحرير والاستقلال ، ويقرون — فى شجاعة ادبية تحمد لهم — بفعاليته ، ويشهدون على انفسهم انه لولا الاسلام لما قدر للاستعمار ان يخرج من بلاد المسلمين مدحورا مهزوما . وهى شهادة ليست لوجه الله ، ولا من قبيل الامانة والنزاهة والموضوعية ، ولكن قصد بها تنبيه الغرب ومراكز القــوى الاستعماريــة الدولية الى مكمن الخطر ، ومنبع القــوة ، ومركز الثقل لدى الشعوب الاسلامية .

● وليس يعقل ان يكون الاسلام بهذا القدر من الديناميكية والفعالية والايجابية وننأى عنه اليوم لنأخذ بهذه العقيدة او تلك مما تصدره الينــا الصهيونية وربيباتها . وان فعلنا ، فسنكون كمن يدخل المعركة بغير سلاح ، لا عن فقر او عوز او خصاصة ، ولكن عن استكبار وعناد وتعنت .

وهذا — بالضبط — ما يريده لنا خصومنا واعداؤنا والمتآمرون علينا ، حتى تضل بنا السبيل ، ونفقد القدرة على التركيز والارتكاز والتماسك ، وفى ذلك ما فيه من فقدان للاستقلال ، واغتصاب للحرية ، وامتهان للكرامة والسيادة .

الذى كان فى نظر خصوم الاسلام واعدائه « خروجا على المألوف » من العرب والمسلمين ، الامر الذى اعتبر فى محافل الاستعمار ودوائـر الصهيونيـة الدولية بمثابة ناقوس الخطر مما جعل « الاهتمـام بالمغـرب » يتزايـد ، ومخططات التطويق تحبك بدقة . وفى هذا الاطار تدخل كل المحاولات الاجرامية التى احبطها الله واستنكرها المؤمنون فى كل الارض . وفى هذا ـ ايضا ـ تدخل قضية الصحراء بظروفها وملابساتها ، التى قصد بها ـ بالدرجـة الاولى ـ خنق المغرب ، والاجهاز عليه ، واغراقه فى خضم الاضطرابات والقلاقل والفتـن .

ولا يزال المغرب المسلم ، بقيادته المؤمنة الواعية الحصيفة ، مرابطا ، حذرا ، يقظا ، وبالتالى لا تزال انظار الحاقدين ، والناقمين ، والذين فى قلوبهم مرض ، مصوبة اليه ، فى ذعر ، وفزع ، لا يزيدهم نجاح تجربته واستقرار نظامه ، وتعايش فئاته ، وتعلق الشعب بعاهله ، الا حقدا .

● القضية ـ اذن ـ تتخذ ابعادا فكرية وسياسية وحضارية ، لا يجمل بنا ان نفرق بينها ، بدعوى عدم الخلط بين الفكر والسياسة او بين هذه الاخيرة والدين .

ومن هنا بدأنا ، ولم نبدأ من الصفر ، ولم نستورد فكرا ولا عقيدة ، ولم نقبل التلاشى او الذوبان فى كيان دخيل ، ولم نرض التنازل عن مميزاتنا وخصائصنا والملامح الدقيقة التى تعطى لاصالتنا طابع الاستقـلال والاستعـلاء والتفرد ، ولكننا بدأنا من حيث اراد الله لنا ان نبدأ ، انسجاما مع انفسنا ، واستجابة لنداء الفطرة .

ولا يزال هذا دأبنا ، ولنا فى جهـاد عاهلنا العظيم عبرة ، فما فتىء ـ حفظـه الله ـ يضرب لنا المثل فى التفتح والانفتاح ، والاخذ والعطاء ، والفهـم الواعى لطبيعـة العصر ومتطلباتـه ، كـل ذلك مع التشبث بالاصول والاصالة ، والاستمداد من الاسلام ، والاقتباس من شريعته الخالـدة ، واقتفـاء اثر روادنا وقادتنا الاول .

وعودا على بدء ، لا نقول : « من هنا نبدأ » .. فلقد تخطينا مرحلة الاختيار ، ولا نملك الا المضى فى هـذا الطريـق اللاحب المستقيم ، الذى لا عوج فيه ولا أمت .

أصول السّلفية المعاصرة

للأستاذ حسن الساتح

تقديم :

لكل مجتمع مذهب يدين به ويربط بين أعضائه ولكل مذهب أصول وفلسفة وايديولوجية يجرى المصلحون وراءها ليطوروا مجتمعهم كما ان لكل مذهب أصوله وفلسفته وتحليلاته وأهدافه وبنيته وهندسته .. فما هى الحركة السلفية ؟ وما هى اهدافها ؟ وما هى أصولها وفلسفتها وبنيتها وهندستها ؟ . ذلك ما يجمله هذا البحث

أصول الحركة السلفية :

كانت الخلافات السياسية والانقسامات المذهبية التى حدثت بعد مقتل الخليفة الثالث رضى الله عنه فى حاجة الى البحث عن اسلوب سياسى وفلسفى لتأييد آرائها وعرض حججها . ولذلك فان كل فريق من المسلمين دفعهم وضعهم السياسى الى اتخاذ مواقف مذهبية لتأييد دعواهم فى فهم الاسلام ، فاعتدل المرجئة ولم يقروا الا الوحدانية بينما كون الشيعة فلسفة تعتمد على الولاء المطلق للامام على ، واعتباره المرجع الوحيد فى تاويل الشريعة الاسلامية وشرحها ، فكانوا دعاة الحكم الفردى ، وكان الامام عندهم معصوما من الخطأ ، ولذلك فهو لا يخلع ، واذا غاب فله رجعة ، وقد كان الشيعة نظرا لانهزاماتهم السياسية ثائرين فكريا ومناصرين للمعتزلة والفلسفة اليونانية ، والاجتهاد ، وتغذت الخلافات المذهبية بالفلسفة اليونانية والهندية والفارسية والغنوصية والافلاطونية الحديثة وتجاوزت النطاق النظرى الى الفلسفى والدينى ، حيث ظهر الخلاف بين أصحاب الاختيار وأصحاب الجبر ، وانعكس ذلك على الميدان السياسى تحكم بالاعدام على الجهنى وغيلان الدمشقى ، لان فكرة (الاختيار) تحمل مسؤولية عمل الانسان بخلاف فكرة (القدر) ، وقد اختار اهل السنة مذهب الاختيار فكان موقف (السلفية الاولى) هو الاختيار الاشعرى، ومن هنا ظهر اتجاه السلفية السنية واضحا فى مفهوم مسؤولية الانسان ، كما ظهر مذهب الاعتزال على يد واصل بن عطاء ليقر بالمنزلة بين المنزلتين وليستعين بالفلسفة اليونانية فتسرب الفكر الفلسفى وبرزت الفلسفة الاغريقية واضحة كاملة على يد أول فيلسوف مسلم (الكندى) ، ومن هنا تعرضت العقيدة الاسلامية للتحريف والخضوع للعقلانية ثم جاء تلميذ الكندى (السرخسى) وابن الراوندى الذى مجد العقل ،

متأثرا بالمانوية والثنائية ، ثم الطبيب ابو بكر الرازى (ت 932) الذى يعتبر من اكبر المتأثرين بالفلسفة اليونانية والحرانية والصابئية على ان الفلسفة اليونانية برزت واضحة باحثة عن التآلف مع الدين عند الفارابى باعث الافلاطونية ومجددها ، وعند ابن سينا ثم عند اخوان الصفا ثم فى ظهور الفيثاغورسية الروحانية الشرقية التى استوعبت الفلسفة الهلينية والفكر الشرقى الاشراقى .

والحق ان الفكر الفلسفى انتصر انتصارا كبيرا ، وبرز كتاب لامعون ليذيعوا هذه الثقافة الفلسفية ، كابى حيان التوحيدى ، وابن مسكويه ويحيى بن عدى، وقد كان الغلو فى تقدير العقل سبب ظهور فلاسفة مسلمين كالاشعرى الذى رد على المعتزلة ، والباقلانى، والجوينى ، والشهرستانى واخيرا الغزالى الذى قوض صرح الفلسفة اليونانية .. وساعده عصره الذى سئم من غلواء العقل ، فبدت طلائع التصوف الاسلامى على يد الحسن البصرى ورابعة العدوية والمحاسبى والجنيد وذى النون وابراهيم بن الادهم ..

وظهر تصوف آخر انطلق من التأثير الهندى والغنوصى واليونانى تزعمه البسطامى ، ثم الحلاج ، وبجانب تصوف الغزالى ظهر تصوف ابن عربى المتأثر بالغيبيات المسيحية .. على ان الاندلسيين ساهموا فى خلق خط فلسفى آخر . على يد ابن طفيل وابن رشد المدافع عن المشائية ومجدد العقل الفزيقى الذى كان من اسباب نهضة اوربا .. ووجد الفكر الشرقى فى الفلسفة الاشراقية هدفه ، وجاء السهروردى الذى مهد فى مؤلفاته لنقد المشائين وجاء الشيرازى بعده ، ثم دخل الفكر الاسلامى الى مرحلة من الركود ، واخيرا رجع الفكر الاسلامى الى العقيدة بعد متاهة طويلة وذلك على يد الامام الغزالى الذى حاول العودة الى السلفية ، ولكنه مزجها بتصوف لم يستسغه السلفيون المحدثون كالقاضى عياض الذى نقد الغزالى نقدا لاذعا ، وادان مذهبه وجر المرابطين الى مناهضة دعوته واحراق كتبه .

والحق ان الغزالى واجه الافلاطونية الجديدة الغربية بحملة عنيفة جدا ، واقر الغزالى المنطق والرياضيات لانها لا تضر بالاسلام فى رأيه ، بخلاف العلوم الطبيعية وما بعد الطبيعة .. وهكذا دعم المنطق لكنه مكن للشك فى العقل بنقده للاصول الفلسفية ، ونجح الغزالى فى تقويض الفلسفة اليونانية . وبدا اتجاه جديد للرجوع الى الظاهرية وحرفية النص .. وتزعم هذا الاتجاه الامام احمد بن حنبل وابن حزم ، وابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب (البلقينى) وشاهد القرن الثالث عشر انحلال الحركات الكلامية والتراجع الى السلفية على يد علماء مفكرين مثل النفى (1310) والايجى (1355) والتفتزانى (1390) والجرجانى والسنوسى (1490) والدوانى والبرقلى، واللقانى ، والباجورى ، واخيرا محمد عبده فى الشرق. ودافع عن الحركة السلفية . ودعا الى تصحيح المفاهيم الاسلامية ، ونظرته للانسان والمجتمع نظرة جديدة كل من الافغانى ومحمد عبده ورفاعة الطهطاوى ورشيد رضا وعبد الرزاق السنهورى ، وعبد العزيز الثعالبى وعبد الحميد بن باديس والشيخ ابو شعيب الدكالى.

كما ظهر اتجاه ثان هو رفض مطلق للمنهج العقلى ، والبحث عن الحقيقة عن طريق التصوف اى (الذوق) و (الكشف) وهذه هى الفلسفة الاشراقية ، اى التأمل النظرى للوصول للمعرفة بخلاف الصوفية فهى الممارسة العملية للدين .. فالغزالى كان رائد الاتجاه السلفى ، ولكن مع الاسف اخذه التصوف المطلق اما (السلفية اذا ثورة على الثورة) . وهى السلفية ثورة وتمسك بالاصل ، ثورة على التحريف ورجمة الى الاصل بمفهوم (شوائرية دينية) .

ولقد حمل لواء الرجوع الى السنة امام الظاهرية ابن حزم ، فرفض القياس ومذاهب الكلام الاعتزالية والاشعرية وغيرها . وبعد ابن حزم المولود 994 م اى بعد قرنين جاء ابن تيمية سنة 1262 فحمل على الفلسفة اليونانية والعربية ، ودعا الى نهج (السلف الصالح) على اساس الاعتماد على القرآن والحديث والاجماع ثم جاء بعده السلفى الامام ابن القيم ، ثم محمد بن عبد الوهاب فأكد الدعوة والرجوع الى السلف الصالح ، ويعنى به (الجيل الاول من المسلمين) واعاد الى السنة نقاءها الاصلى فكانت سلفية ضد الظاهرية ، وجاء (الرازى 1149) وهو غير الطبيب ابو بكر .. فشرح مذهب ابن سينا فى كتابه (الاشارات) وعيون الحكمة ، وقد اعتمد الفلسفة بمنهجها الفلسفى مع بعض التنازلات وبعده (الطوسى) المدافع عن ابن سينا ، والذى ذكر فى كتاب الذخيرة ردا على تهافت الغزالى ، ان كتاب الرازى فى شرح فلسفة ابن سينا يعتبر (جرحا لابن سينا لا شرحا له).

وانهزمت الحركات الكلامية بالرجوع الى السلفية فى القرن 13 على يد النسفى والايجى والتفتزانى والجرجانى ، وافضى الصراع بين الغزاليين والفلاسفة الى تكوين اتجاهين صوفى وسلفى .. ولم يلبث ان انتهى الفكر الاسلامى الى ملاءمة كاملة بين الدين والشريعة ، على يد المفكرين الاشراقيين لا على يد المتصوفة فمهد هؤلاء جميعا الطريق لظهور حركة « التجديد » ، وبرزت هذه الحركة فى بلاد فارس على يد صدر الدين الشيرازى ثم ظهر بعد ذلك جمال الدين الافغانى (1839) الذى دعا الى السلفية ونقلها الى المجال السياسى العلمى ، ونشر مجلة (العروة الوثقى) داعيا فى سلفية الى التجديد ، ومدافعا عن الخلافة الاسلامية والوحدة الاسلامية ودور الدين فى ميدان المدنية والرقى ، والتركيز على الاسلام بالضبط لانه دين العقل ، ثم خلفه محمد عبده فيلسوف السلفية الدينى .

ويعتبر جمال الدين الافغانى رائد التجديد والسلفية المعاصرة فقد تصدى للرد على الالحاد والرد على الاشتراكية والالحاد المادى والباطنية (الاسماعيلية) ويرى الافغانى أن (فولتير) و (روسو) احييا المذهب المادى الدهرى الذى نادى به أبقورس ، وكانا سببه الثورة الفرنسية ، التى أنقذ نابليون فرنسا من شرها ، وينتقد الافغانى العدميين (النهيليست) والاجتماعيين (السوسيالست) والاشتراكيين (الكومنست) وتشاءم فى نجاحهم ، لانهم مقرضو الحضارة الانسانية . وجاء محمد عبده المربى الاكبر ليركز السلفية . كما ظهر احمد خان بالهند ، والامير على ، ومحمد اقبال ليركزوا جميعا على عنصر التجربة فى الدين ووجود الله ونظام العالم . والنزعة الاستغرائية فى الثقافة الاسلامية ، على أن الشرق يعتز بالسلفى الكبير محمد عبده ورشيد رضا .. والقاسمى ، كما اشتهر فى المغرب الشيخ ابو شعيب الدكالى ومحمد السائح وقد ظهر مجددون معاصرون سلفيون كسيد قطب ومحمد البهى والعقاد ، وجددت الفلسفة الاسلامية فى الوجودية عند (بدوى) والشخصانية عند (حبشى) والوضعية عند (نظام نجيب) .

ثم ضعفت السلفية ولم تتوفق رغم اصالتها فى تقديم صورة شاملة عن الاسلام ، ووضع الحلول العملية لمشاكله العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بصفة تستجيب لمتطلبات المرحلة وضرورات التطور .

(يتبع)

ارتسامات عن

المؤتمر العالمي للسيرة النبويّة

بباكستان

للأستاذ محمد المنوني

انعقدت بباكستان الندوة الاولى للمؤتمر العالمي للسيرة النبوية ، ابتداء من 1 الى 12 ربيع النبوي 1396 هـ ، الموافق 3 — 14 مارس 1976 م ، تحت اشراف الوزارة المركزية للشؤون الدينية والاقليات والمغتربين في حكومة الباكستان ، وقد اوفدتني وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية للمشاركة في هذا المؤتمر ، حيث سجلت الارتسامات التالية :

بدات الرحلة للمؤتمر من مطار الدار البيضاء بالنواصر ، وانطلقت طائرة الخطوط الملكية المغربية عند الساعة الحادية عشرة من صباح الاحد 28 صفر 1396 هـ — مارس 1976 م ، وبعد توقف قصير بجنيف تابعت الطائرة سيرها للقاهرة ، حيث استبدلت بطائرة الخطوط الباكستانية ، وكانت طريق هذه عبر ابي ظبي ، فارست — تليلا — بطاره ، ثم استأنفت تحليقها حتى وصلت الى كراتشي في الساعة الثالثة ليلا بالتوقيت المغربي ، غير ان الساعة بالعاصمة الباكستانية القديمة كانت تشير الثامنة صباحا ، بفارق خمس ساعات بين المنطقتين .

وقد كان في استقبال وفود المؤتمرين كل من الدكتور انعام الله خان الامين العام للمؤتمر ، والسيد حكيم محمد سعيد ، عضو اللجنة الوطنية للسيرة النبوية ، ومؤسس معهد همدرد الوطني .

وكان من المقرر أن المؤتمر لا يكون قاصرا على مدينة واحدة ، وانما تتنقل جلساته بين اربع مدن :

اسلام اباد : العاصمة المركزية لاتحاد الولايات الباكستانية : 3 — 4 مارس .

لاهور عاصمة ولاية بنجاب : 5 — 9 مارس .

بشاور عاصمة ولاية سرحد : 9 — 11 مارس .

كراتشي عاصمة ولاية السند : 12 — 14 مارس .

ونظرا لتباعد هذه المدن ، كانت الانتقالات بينها تتم بواسطة الطائرة ، كما صارت الفنادق المعدة للمؤتمرين بهذه المدن مجهزة بقاعة للمؤتمر .

وقد اعلن انه شارك في المؤتمر 172 استاذا وعالما يمثلون 43 دولة ، وهذه الدول تعرضها اللائحة المعنية بالامر حسب الترتيب الابجدي التالي :

افغانستان — الجزائر — النمسا — بنغلاديش — بلجيكا — كندا — جزر قمور — قبرص — مصر — فنلندا — فرنسا — غانا — الهند — اندونيسيا — ايران — اليابان — الاردن — كينيا — الكويت — لبنان — ليبيا — ماليزيا — موريطانيا — موريس — المغرب — مسقط — هولاندا — نيجيريا — الفيلبين — السعودية — سنغفورا — سيلان — السودان — سوريا — الطوغو — ترينيداد : اكبر جزر الانتيل — تركيا — تونس — اتحاد الامارات العربية — اوغاندا — انكلترا — الولايات المتحدة — اليمن الشمالية .

اما العناصر التي يتألف منها المؤتمر فكانت متنوعة :

— وزراء الاوقاف او الشؤون الاسلامية في كل

من مصر واندونيسيا ، والكويت ، وماليزيا ، وموريطانيا وتركيا ، واتحاد الامارات العربية ، واليمن الشمالية.

— ممثلون لوزراء الاوقاف : بالنسبة لاكثر الدول الاخرى المشاركة فى المؤتمر .

— وفد عن الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامى، برئاسة الشيخ محمد بن عبد الله بن سبيل الامام والخطيب بالمسجد الحرام فى مكة المكرمة .

— الامام الاكبر : الدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ الجامع الازهر .

— ممثلون عن بعض الجاليات الاسلامية باوربا وامريكـــا .

— اساتذة مختصـــون فى الدراسات الاسلامية باوربا وامريكا : عرب ومستعربون .

— زمرة نابهة بين علماء ودكاترة من الباكستان والهنـــد .

هذا فضلا عن وفود الصحفيين عرب وسواهم ، ممن يمثلون جرائد ومجلات علمية

وقد كان يوم الاربعاء الثالث من مارس موعد افتتاح المؤتمر ، ولهذا انتقل المؤتمرون من كراتشى الى اسلام اباد حوالى الساعة السابعة صباحا ، وبعـــد 90 دقيقة وصل الجميع الى مطار العاصمة المركزية . حيث كان فى استقبالهم — عند مدرج المطار — الوزير المركزى للشؤون الدينية السيد كوثر نيازى الذى يبتدى اسمه بكلمة « مولانا » ، وهو اللقب المحلى لكل عالم ، كما كان فى استقبال الوفد المغربى ممثل سفارة المغرب: السيد عبد الله آيت احماد .

وعند الساعة الواحدة وثلاثين دقيقة قرب ظهر نفس اليوم ، ابتدا حفل افتتاح المؤتمر بتـــلاوة عشر آيات من الذكر الحكيم ، رتلها مجود باكستانى محسن ، وتلاه موشح فى المديح النبوى ، قدمه نفس القارىء فى نغمة طيبة ، وبعد هذا القى الوزير مولانا كوثـــر نيازى كلمة الترحيب بالوفود ، ثم جاء دور خطـــاب رئيس الوزراء السيد ذو الفقار على بهوتـــو ، ايذانا بافتتاح المؤتمر .

وقد تعرض السيد وزير الشـــؤون الدينيـــة فى خطابه لشرح اهداف المؤتمر ، واعلن عنها فى الفقرات التـــاليـــة :

« من اول مسؤوليات هذا المؤتمر ان نستعرض اتهامات المغرضين الذين حاولوا تشويه السيرة النبوية، ونفكر فى محق هذه المفتريات وازالتها من العقول ، واذا اردنا ان يعرف العالم والمسلمون انفسهم رسالة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بما فيها من عمـــق وشمول حق المعرفة ، فيلزمنا ان نصحح هذه المفتريات والاكاذيب التى الصقت بسيرة النبى صلى الله عليـــه وآلـــه وسلم .

واننا كذلك فى حاجة ماسة الى ان نطلع شبابنا المعاصرين على تعاليم رسولنا الاكرم — صلـــى الله عليه وآله وسلم — بأسلوب حكيم ، وان نقدمها لهم بالطرق العقلية التى نستخدمها فى العلوم الاخـــرى ، وان نحيطهم علما ان بدء الوحى على الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — كان بقوله تعالى : اقرا ، وان هذه الكلمة تسخر له الارض والسماء ، ونشعرهم — كذلك فى الوقت نفسه — أن الكون خلق له .

ونحن كذلك فى حاجة الى ان نذكرهم ان اساس رسالة النبى — صلى الله عليه وآله وسلم — قائم على طلب العلم الذى يرفع شان الانسان ويرقى به الى اعـــلا مقـــام .

وعلينا — كذلك — ان نعمق فى مفاهيمهم ان مما تميزت به الرسالة الاسلامية عن غيرها من الرسالات انها لم تقف عند الجانب الروحانى فقط ، وانما اهتمت — كـــذلك — بالجـــانب المادى ، فهـــى كمـــزيـــج متجانس من العقل والعاطفة ، يفى بحاجـــة الانسان المادية ، ولا يهمل صلته الروحية مع خالقه .

. . وعلى الرغم من ملاحظة كثير مـــن مظاهـــر الاختلافات ، نرى أن جميع المسلمين قد اتخذوا موقفا موحدا بجانب السيرة ، وهذا الموقف يمكن استغلاله استغلالا طيبا فى توحيد المسلمين .

كان هذا وغيره من الامثلة مما يدعـــو حضرات المشتركين فى المؤتمر الى البحث والنظـــر ، كمـــا ان السيرة النبوية فيها ما يشد المسلمين وغير المسلمين على السواء ، ويجذبهم اليها ، وينبغـــى ان يستخدم كل انسان هذه الجاذبية بما يعود على الناس — جميعا — بالفائدة والخير » .

وبعد هذه الفقرات المطولة من خطاب افتتـــاح المؤتمر ، نسجل انه ابتداء من يوم الخميس رابع مارس انطلقت اعمال ندوة السيرة النبوية ، واستمرت حتى

يوم الاحد 14 مارس ، فيخصص الصباح لالقاء المحاضرات ومناقشتها ، ابتداء من الساعة التاسعة حتى الثانية ، حيث تقدم الموضوعات بالعربية أو الانكليزية ، وقليلا باللغة الاردنية ، مع ترجمة ملخصة من العربية واليها ، وهذه نماذج لبعض العناوين والاسماء التى عرضت فى مؤتمر السيرة النبوية :

1 ــ الاسلام وسيلة للسلام العالمى ، بالانكليزية .
المحامى الاستاذ شدرى نذير احمد خان ــ باكستان

2 ــ جهود الاسلام لاقرار السلام ، بالانكليزية .
الاستاذ حاجى محمد خان ــ سنغفورا .

3 ــ مفهوم السلام فى الاسلام ، بالانكليزية .
الاستاذ شارل ، ل ، كيرز ــ الولايات المتحدة

4 ــ ليس فى الاسلام ارغام ، بالانكليزية .
مولانا شاه جعفر فالواروى ــ باكستان

5 ــ الاسلام ومشكل الاجرام فى العهد الحاضر ، بالانكليزية .
مولانا ارشاد الحق الثنوى ــ باكستان .

6 ــ الاسلام ومشكل التضخم ، بالانكليزية .
الدكتور عبد الغفور مسلم ــ باكستان .

7 ــ رسول الاسلام والعدالة الاجتماعية ، بالانكليزية
القبطان محمد جمعة مازيكاتى ــ أوغندا .

8 ــ المؤرخون عبر العصور ودراسة السيرة النبوية، بالانكليزية .
الاستاذ ، و ، مونطكومرى واط ــ انكلترا .

9 ــ اهمية دراسة السيرة من طرف الاقليات المسلمة فى المجتمعات الغربية ، بالانكليزية
الدكتور محمد عبد الرءوف ــ واشنطون

10 ــ الاسلام والطب الحديث ، بالعربية
الدكتور محمد عالمكبر خان ــ لاهور

11 ــ الرسالة الاسلامية واثرها فى بناء المجتمع الفاضل
الاستاذ محمد تيسير ظبيان ــ الاردن

12 ــ الفلسفات الطبية فى نظر الاسلام ، بالانكليزية
الدكتور دافيد بلكوم ــ الولايات المتحدة

13 ــ موقف الاسلام من المعرفة ، بالعربية
الاستاذ محمد بلى الفونى ــ الطوغو

14 ــ الاسلام رائد المعرفة ــ بالانكليزية
الدكتور مولانا عبد الله قدسى ــ باكستان

15 ــ سيرة النبى والرجل العصرى ، بالانكليزية
الدكتور جاود اقبال ــ باكستان

16 ــ الرسول الكريم كمدشن للعهد المعاصر ، بالعربية
الدكتور حمدان ولد التاه ، وزير الشؤون الاسلامية ــ موريطانيا .

17 ــ اثر الاسلام فى نيجيريا ــ بالانكليزية
الدكتور اسماعيل ا ، ب بالكون ــ نيجيريا

18 ــ الرسالة الخالدة للرسول عليه السلام ، بالانكليزية .
السيد حسن آق صاى وزير الدولة ــ تركيا

19 ــ اخلاق محمد آية حبه ، بالعربية
الدكتور التهامى نقرة ــ تونس

20 ــ الهجرة اعظم نقلة حضارية وانسانية فى تاريخ البشر ، بالعربية
الشيخ احمد عبد الغفور عطار ــ مكة المكرمة

21 ــ نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم ، بالعربية
الشيخ محمد اشرف رئيس قسم العربية فى الكلية الاسلامية بجامعة بشاور .

22 ــ واجب مفكرى المسلمين نحو سيرة الرسول الامين عليه السلام .
الاستاذ ابو بكر القادرى ــ المغرب

23 ــ طابع الاسلام بين الاديان ، بالعربية
محمد المنونى ــ المغرب

وكانت هذه المحاضرة الاخيرة على مستوى مشاركة المغرب فى مؤتمر السيرة النبوية ، نيابة عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، وقد نشرت ــ كاملة ــ فى هذه المجلة : بالعدد 8 ــ السنة 17 ، ص 87 ــ 106 ، وقدمت معها ملتمسات مكتوبة تتناول ثلاث قطاعات لتدرج ضمن توصيات المؤتمر :

اولا : فى ميدان التعليم :

ا ــ طبع مناهج التعليم بطابع اسلامى : من الابتدائى حتى العالى .

ب ــ اجبارية تعليم اللغة العربية فى سائر الاقسام ، بما فى ذلك الدول الناطقة بغير العربية .

ج ــ اجبارية تحفيظ حصة « نحو خمسة احزاب » من القرآن الكريم فى التعليم الابتدائى ، مع استحسان أمام حفظ القرآن العزيز مع المرحلتين : الثانوى والعالى .

د ـ تعميم دراسة السيرة النبوية بسائر اقسام التعليم كمادة اساسية .

هـ ـ وضع مؤلفات جديدة موحدة فى السيرة الشريفة حتى يحتذى حذوها المدرسون لهذه المادة .

و ـ تعميم مدارس لتخريج المرشدين والدعاة .

ز ـ تعميم المراكز التعليمية الدينية بسائر البوادى الاسلامية .

ح ـ انشاء مدارس ليلية لتلقين المومنين ضروريات دينهم .

ط ـ العناية بتفقيه الجاليات الاسلامية فى مدائن اوربا وامريكا .

ى ـ تسجيل الضروريات من احكام العقائد والشعائر والاخلاق الاسلامية على اسطوانات ونحوها، وبثها فى المجتمعات العامة بواسطة اجهزة الاعلام المسموعة فى فترات قارة ، مع مراعاة ان تكون هذه التسجيلات باللغة التى يتخاطب بها المعنيون بالامر .

ياء ـ العناية بالتربية الاسلامية فى المدارس والمنتديات الاجتماعية .

ثانيا : فى الادارة :

ا ـ دساتير اسلامية

ب ـ تعريب الادارة .

ج ـ استمداد القضاء من التشريع الاسلامى ، ونبذ ما خالفه من القوانين الوضعية .

د ـ تجهيز الادارات ـ على تفاوت مستوياتها ـ بمساجد وائمة ومرافق للوضوء .

هـ ـ تمكين العمال من الوقت الضرورى لاداء الشعيرة التى تصادف وقت العمل ، طبق تشريع يوضع لهذه الغاية .

ثالثا : مسائل متنوعة :

ا ـ اصلاح وضع المراة ، بتطويرها الى سيدة او آنسة تحتذى الاسلام فى سلوكها

ب ـ تنظيم مبادلات ـ على نطاق العالم الاسلامى ـ للمنشورات الدينية بين الدول والمنظمات المسلمة .

ج ـ موقف حازم من المؤتمر لانهاء التوتر الحاصل فى الصحراء الغربية المغربية .

د ـ انشاء محكمة اسلامية دائمة ، للفصل فى النزاعات بين دولتين او دول ، طبق مقتضيات الشريعة الاسلامية .

وقد كانت ملتمسات الوفود كثيرة ، واغلبها صار يقدم كتابيا ، حين ضاقت حصص المؤتمر عن استيعاب المحاضرات والملتمسات ، ويأتى فى طليعة ذلك نداء الامام الاكبر ، الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الازهر ، فقد اعلن فى خطاب القاه بآزاد كشمير فى حشد عام ، بنداء موجه لاربع دول : المغرب ، وموريطانيا ، والجزائر ، ومصر ، وناشدهم فيه ليعملوا للقضاء على التوتر الذى تشهده الصحراء الغربية المغربية .

واضاف سماحته ـ بعد هذا ـ كتابة برقيات فى الموضوع ذاته لكل من الدول الاربع ، ثم سلمها لوزارة الخارجية الباكستانية لتبعث بها للجهات المعنية

وبهذه المناسبة اشير الى ان عددا من المؤتمرين ، تساءلوا ـ فى اشفاق ـ عن مصير التوتر الطارىء على الصحراء المغربية ، واعربوا عن املهم فى التعجيل بحل عادل لمأساة اراقة الدماء المسلمة .

واعود للملتمسات فاشير الى ان الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، قدمت مشروع قرارات لتدرج ضمن توصيات مؤتمر السيرة النبوية الكريمة :

اولا : يؤكد المؤتمر ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء والمرسلين ، وان رسالته هى خاتمة الرسالات السماوية ، وان الاسلام هو الدين الذى ختم به الله جميع الاديان السماوية .

وعلى هذا الاساس : فان المؤتمر لا يعترف ولا يقر اى ادعاء يصدر ـ من اى جهة كانت ـ بالنبوة ، ويعتبر كل من يقوم بذلك ـ افرادا كانوا او جماعات او تنظيمات ـ خارجين عن دين الاسلام ، ويعاملون معاملة الكافرين

ثانيا : ان هذا المؤتمر يطالب جميع وزراء التربية والتعليم فى العالم الاسلامى ، بان يدرجوا مادة السيرة النبوية فى مناهج التعليم العالى فى الجامعات الاسلامية، كمادة اساسية يتوقف عليها نجاح الطالب ... »

والى جانب الملتمسات ، كانت المناقشات تعقب عددا من المحاضرات ، ويحتد التدخل فى بعض المناسبات .

وقد اعلن خلال المؤتمر عن انجاز ثلاثة مشروعات موضوعيـــة :

الاول : من جهة الامانة العامة لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ، فقد اعلنت انها قررت تقديم خمس جوائز مجموعها مائة وخمســـون الف ريـــال سعودي ، لاحسن بحث يكتب عن السيرة النبوية ، مع طبع البحث الفائز بالجائزة الاولى على نفقتها ، على ان توزع الجوائز على النحو التالي :

الاولى : خمسون الف ريال

الثانية : اربعون الف ريال .

الثالثة : ثلاثون الف ريال .

الرابعة : عشرون الف ريال .

الخامسة : عشرة آلاف ريال .

المشروع الثاني : من جهـــة الوزارة المركزيـــة للشؤون الدينية بالباكستان ، حيث اعلنت انه تقرر انشاء مركز يصبح — على المستوى القومي والعالمي — مرجعا لمطالعة السيرة النبوية .

وسيعنى هذا المركز بكل المـــواد والمعلومـــات اللازمة لجميع الباحثين والمحققين في الداخل والخارج، كما سيهتم بالدراسات القرآنية .

وستجمع فيه كل الكتب والمؤلفات في موضوع السيرة الموجودة في الباكستان ، ويقوم — كذلك — باعداد الكتب من كل نوع وبمختلف اللغات في هـــذا الموضوع ، ليفي بحاجات الدول الاخرى ، زيادة على انه سيقتني اهم المجلات التي تصدر في مختلف انحـــاء العالم ، والتي تهتم بموضوع السيرة ، لكي يستفيد منها الباحثون والمحققون ، وسيولي المركز عناية خاصة بجمع النسخ النادرة من القرآن الكريم والحـــديث الشريف .

ومن الجدير بالذكر انه قد خصص مبلغ ستـــة ملايين روبية تقريبا لهذا المشروع : « ثلاثة ملايين درهم مغربي تقريبا » ، وسيجهز المركز بقسم على احـــدث طراز للميكر وفيلم ، وتتبعه مطبعة ، كما ستهيأ به الوسائل السمعية والبصرية اللازمة ، ويرتفع بنـــاؤه بحيث يعد نموذجا شامخا للاسلام ، وقلعة من قلاع عظمته ورفعته ، وعلو شأنه وسمو مكانته .

المشروع الثالث : يتجسم في تقرير عقد مؤتمر السيرة النبوية مرة في كل سنة ، وقد اعلن ان تركيا ستستضيف المؤتمر في السنة القابلة .

وفي موضوع توصيات المؤتمر ، اعلن في آخر اجتماع انها لا تزال قيـــد الاعـــداد ، علـــى ان تبعث للمؤتمرين في اجل قريب ، وسنذيل بنصها هذا العرض.

الى جانب جلسات المؤتمر ، تقع — في المساء — حفلات يومية تقريبا ، من طرف الجهات الرسمية ، او من جهة بعض الهيئات ، وتقام على شرف المؤتمرين في كل مدينة حلوا بها ، فيخطب في الحاضرين شيـــخ الازهر بتوجيهات اسلامية هادفة ، وبعده امام الحرم المكـــي .

وهذا الاخير كان هو خطيب الجمعة في كل من لاهور وكراتشي ، وامام الصلوات بهذه التجمعات .

وفي مسجد بادشاهي العظيم بلاهور ، تلا فريضة الجمعة طائفة من المحاضرات الدينية ، تداولها شيخ الازهر فامام الحرم المكي ، فمفتي لبنان ، فمفتـــي سوريـــا .

وكانت الخطب في هذه المناسبات كلهـــا تلقـــى بالعربية ، وتقاطعها ترجمتها الى الاردية فترة فترة .

وقد اضفى هذا المظهر على التجمعات جـــلال الهدى النبوي ، واظهر مدى حب الباكستانيين للاسلام، ومقدار ترحيبهم بضيوفهم ، حتى انهم — في حفلتين اثنتين — صاروا يقلدون الضيوف — واحدا فواحدا — عقود الازهار ، وفي حفلات اخرى ينثرون الورود على الزائريـــن .

والآن : يصل بنا المطاف الى استخلاص النقط التي تكتسي صبغة الاسبقية بين الملتمسات والمنجزات المقدمة للمؤتمر ، ولهذا يمكن ان يوخذ بعين الاعتبار — على مستوى المغرب — ما يلي :

1 — مبدأ انشاء معاهد لتكوين المرشدين والدعاة.

2 — مبدأ تعميم مراكز تعليم الشعائر الدينية بالبـــاديـــة .

3 — مبدأ تنظيم تثقيف اسلامي للجاليات المغتربة بالقـــارتيـــن .

4 — مبدأ تسجيل الضروريات الدينية علـــى اسطوانات ونحوها لتنظيم اذاعتها — يوميا — في اوقات مناسبة .

5 — مبدأ تنظيم مبادلة المنشورات الدينية على مستوى العالم الاسلامى .

6 — امداد مؤسسة السيرة النبوية بالباكستان بالمطبوعات الموضوعية .

قرارات المؤتمر العالمى للسيرة النبوية

الآن لم يبق لنا الا ان نذيل هذا العرض بتوصيات المؤتمر ، وقد جاءت صياغتها كالتالى :

انعقد مؤتمر السيرة النبوية العالمى الاول بالباكستان فى الفترة ما بين الاول والثانى عشر من شهر ربيع الاول سنة 1396 هـ الموافق 3 — 14 مارس سنة 1976 م ، تحت اشراف وزارة الشؤون الدينية ومؤسسة « همدرد » الوطنية —

وقد حضر فى هذا المؤتمر عدد من قادة المسلمين وكبار العلماء من شتى بقاع العالم — وذلك تلبية لدعوة كريمة من حكومة باكستان .

ويؤكد المؤتمر اجماعا شكره الجزيل لحكومة الباكستان وشعبها الابى على هذه المبادرة الحكيمة ، وكما يخص بالذكر دولة رئيس وزراء باكستان السيد ذو الفقار على بهوتو ، ومعالى مولانا كوثرنيازى وزير الاوقاف والشؤون الدينية بالباكستان ، والسيد حكيم محمد سعيد مؤسس مؤسسة « همدرد » الوطنية .

ويؤكد المؤتمر بالاجماع شكره للجمعيات والهيئات التى شاركت فى الحفاوة بأعضاء المؤتمر اثناء اقامتهم بهذا الوطن الاسلامى العظيم .

2 — وقد قرر المؤتمر مناشدة الدول الاسلامية ان تعقد مؤتمرا سنويا مماثلا للسيرة النبوية الشريفة على مستوى عالمى تستضيفه الحكومات الاسلامية واحدة بعد اخرى .

3 — ويناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية العناية بتدريس السيرة وجعلها جزءا اساسيا فى برامج الدراسة بالمراحل الابتدائية والثانوية ، وانشاء كراسى بجامعاتها لتدريس السيرة ، كما يناشدها أن تحاول اقناع الجامعات الغربية بانشاء كراسى مماثلة بها .

4 — وينادى المؤتمر الحكومات الاسلامية جميعا بتطبيق الشريعة الاسلامية وجعلها اساسا لجميع تشريعاتها .

5 — ويطالب المؤتمر الحكومات الاسلامية بالتضامن ، وتوثيق عرى الاخوة بينها ، والعمل بشتى الوسائل على تجنب الخلافات ، وعلى الوصول الى تفاهم اخوى ودى فى جميع القضايا التى تعنيها

6 — كما يناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بمزيد العناية وبذل كل الجهود فى نشر التعليم ، مع مضاعفة الجهود فى اجراء البحوث العلمية حتى فى مجال العلوم التكنولوجية الى مستوى الدول الغربية المتقدمة .

7 — كما يناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بمزيد العناية فى نشر اللغة العربية وتدريسها بين مواطنيها ، حتى تصبح لغة الكتاب الكريم سائدة للتفاهم بين المسلمين فى جميع انحاء العالم .

8 — ويناشد المؤتمر الدول الاسلامية وجميع المعنيين الامتناع عن المشاركة فى اصدار فيلم عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والعمل على احباط هذا المشروع وعدم عرضه فى بلادهم ، وذلك لان شخص المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يليق تصويره او تمثيله .

9 — وينصح المؤتمر جمع ما دار بجلساته من مناقشات وما القى اثناءها من محاضرات فى كتاب ينشر ويوزع — وذلك بعد مراجعة كل ذلك ، والتأكد من السلامة من الخطأ ، وعلى ان ينص على ان صاحب كل محاضرة مسؤول وحده عن فحواها .

10 — ويؤكد المؤتمر ضرورة الاخذ على يد كل من يحاول تحريف النص القرآنى الكريم ، وانزال العقاب الصارم بمن يحاول استيراد نسخة قرآنية محرفة او توزيعها .

11 — وقد قرر المؤتمر بمناسبة توصيته فى الفقرة الثانية من هذه القرارات ، تاليف لجنة تاسيسية دائمة للمؤتمر تكون مهمتها متابعة قرارات هذا المؤتمر الاول ، والتعاون فى الاعداد لعقد المؤتمرات السنوية فى الاعوام المقبلة — على أن تضع اللجنة قواعد او نظاما لنفسها تسير على ضوئها — وعلى ان تتكون هذه اللجنة التاسيسية الدائمة من السيد معالى مولانا كوثرنيازى وزير الاوقاف والشؤون الدينية بالباكستان كرئيس لها — والسادة الوزراء ورؤساء الوفود التى اشتركت فى المؤتمر الاول من افغانستان والاردن واندونيسيا وايران وبنجلاديش وتركيا وجزر القمر

وسوريا والكويت وكينيا ولبنان وليبيا ومصر والمغرب وماليزيا والملكة العربية السعودية وموريتانيا وموريشيس ونيجيريا ودولة الامارات العربية المتحدة واليمن الشمالى .

12 — كما قرر المؤتمر انشاء سكرتيرية دائمة للجنة التاسيسية الدائمة بمدينة اسلام آباد ، وعين السيد حكيم محمد سعيد سكرتيرا عاما لها ، ويساعده اربعة امناء عامين مساعدين ، وهم الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المركز الاسلامى بواشنطون ، والسيد حسن اتصائى وزير الاوقاف فى تركيا — والسيد على المختار وكيل وزارة الحج والاوقاف بالملكة العربية السعودية ، والدكتور احمد عبد الله من كينيا ، والشيخ عبد الله ابراهيم المفرج وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت .

13 — ويوصى المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بالتأييد التام للقضايا الاسلامية ، والعمل على تحقيق الاهداف الوطنية للاقليات او المغلوب على امرهم من المسلمين ، مثل اخوان المسلمين فى فلسطين وكشمير وقبرص وجزر القمر واريتريا وتاليند وفلبين ، مع العناية ايضا بحال المسلمين فى افريقيا بصفة خاصة .

14 — كما يرى المؤتمر ضرورة بذل الجهود لدى حكومات الدول الغربية كى تيسر للاقليات الاسلامية بها الوسائل لاتباع شعائر دينهم ، وتطبيق احكام الشريعة الاسلامية فيما يتصل بالاحوال الشخصية من زواج ونحوه فى شانهم .

15 — ويوصى المؤتمر الحكومات الاسلامية باخذ الوسائل اللازمة للحد من نشاط المبشرين بين مواطنيهم، والعمل على انسحابهم بسلام من البلاد الاسلامية ، مع تشييد المؤسسات التعليمية والخيرية ليلجا اليها المسلمون ، ويستفيدوا منها بدلا من المؤسسات التبشيرية .

16 — كما يناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية ان يجعلوا يوم الجمعة عطلة اسبوعية ، كما يوصى بدراسة امكان توحيد الاعياد والمناسبات الاسلامية .

17 — ويوصى المؤتمر الحكومات والمؤسسات الاسلامية بالاعداد لاقامة مهرجان اسلامى كبير فى عام 1401 هـ .

18 — ويعلن المؤتمر عن بالغ اسفه لاستمرار الاحتلال الصهيونى على مدينة القدس الاسلامية ، ويحتج — بشدة — على تعدى الاسرائيليين على حرمة الاماكن المقدسة بالقدس وحرم الخليل ابراهيم عليه الصلوات والسلام ، وينادى بوجوب المحافظة على جميع المقدسات الاسلامية — واعادة هذه المقدسات الكائنة بفلسطين الى اهلها ، وبانسحاب الاسرائيليين من القدس وغيرها من الاراضى العربية المحتلة دون اى تاخير او مماطلة ، ويعتبر المؤتمر ان القدس مسؤولية فى عنق كل مسلم حيثما وجد .

19 — ويؤكد المؤتمر ان الاسلام الذى لا يقبل اغتصاب ومصادرة الاراضى والممتلكات من اصحابها باى وجه ، يفرض على المسلمين فى العالم تاييد حق اخوانهم الفلسطينيين ، كذلك يلفت المؤتمر نظر العالم المسيحى وبصفة خاصة فى البلاد الغربية الى ما لحق شعب فلسطين من غبن فادح من اجل اقامة وطن يهودى فى بلادهم ، مما يتناقى مع ابسط قواعد العدالة، ومع تعاليم المسيحية وسائر الاديان ، لذلك يناشد المؤتمر العالم الغربى بالعطف على حق الفلسطينيين واصلاح الاوضاع بمحو ما لحق بهم من ظلم وغبن .

20 — والمؤتمر وقد سره ان يعلم بالمسابقة العالمية التى اعلنت عنها رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة لاحسن بحث يقدم عن السيرة النبوية الوارد تفصيلها فى الملحق المرافق ، يهنىء الرابطة على هذا العمل الجليل ، ويدعو الحكومات والمسؤولين ان يحذوا حذو الرابطة فى هذه الخطوة الحكيمة ، وان يخصصوا صندوقا ماليا للانفاق منه على نشر الكتب والمؤلفات عن السيرة النبوية الشريفة .

21 — كما يوصى المؤتمر اتباعا لقوانين الشريعة الاسلامية ، بان يعامل ككافر كل من يدعى النبوة او يسلم بها لاى شخص بعد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم آخر الرسل وخاتم الرسل .

الرباط — محمد المنونى

حول مؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض

للأستاذ
الرحالي الفاروقي

نحمد الله الواحد الاحد الذى اتاح لنا فرصة اللقاء والاجتماع بذلك الصعيد الطيب الطاهر ، وأراح لنا الاسباب لموافاة ذلك المؤتمر الناهض الظاهر ، مؤتمر الفقه الاسلامى الذى هيأته واشرفت عليه جامعة ذات اهداف وابعاد سامية ، هى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية كان الله لها وليا ونصيرا ، وكان ذلك على الله يسيرا .

ولما كان الهدف الاسمى من هذا المؤتمر الذى استضافته هذه الجامعة الواعية تحت رعاية جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله وامده بمعونته ، ومتع المسلمين بطول حياته ، — هو دعوة الامة الاسلامية — الى العودة للتمسك بكتاب الله ، والاعتصام بحبل الله والتمشى على صراط الله كما قال سبحانه : « وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » — والى مقاومة الصراع العقائدى والمذهبى ، والغزو الفكرى الاجنبى البديل الذى احتل محل الفكر الاسلامى الاصيل — لما كان الهدف ذلك وجهت الدعوة الى علماء هذه الامة باعتبار انهم عقلها الناهض وقلبها النابض يعنون بمصالحها ويسعون لحل مشاكلها كلما تغيرت الاساليب وتجددت الدواليب ، ويبلغونها ما انزل الله اليها من شرائع وفضائل ، ويجتهدون لفك المشاكل والمعاضل ، اجتهادا جماعيا يستفيد من اصول الكتاب والسنة ، ويرتبط بحاجة ومصلحة هذه الامة .

ومن الواضح ان وحى الكتاب المقدس معجزة خالدة كبرى بمعنى انه قائم فى كل عصر وصالح لكل زمان ، وأن نظامه قابل للتجديد والتكييف اذا استطعنا ان نحافظ على مبادئه ومقاصده ، وعلى اخلاقه ومحامده .

ولقد لقى هذا المؤتمر الاسلامى العالمى اقبالا كبيرا من لدن جمهرة العلماء والمفكرين الذين استجابوا لدعوته ، وجندوا انفسهم للعمل فى ساحته حيث شكلت لجان متخصصة لدراسة البحوث المقدمة الى المؤتمر ومناقشتها ، واشتغل المؤتمر داخل قاعة المؤتمرات للملك فيصل رحمه الله طيلة ثمانية ايام متوالية بما فيها اليوم المخصص لاداء العمرة بمكة المكرمة وزيارة المسجد النبوى بالمدينة المنورة .

وفى اليوم الاخير اجتمع المؤتمر للمناقشة العامة وانتهى بعد ذلك الى وضع توصيات ثم نوقشت واستبدل منها بعض الفقرات ، حتى استقرت على النحو المسطر فى القائمة الواصلة اليكم التى نرجو نشرها على صفحات مجلة دعوة الحق الغراء .

وفر الله جمع علمائنا ، ووفقهم لما فيه خير مجتمعنا ورضى شريعتنا ، والله الموفق الى سداد الراى ، وسواء السبيل .

وفيما يلى النصوص الكاملة الصادرة عن هذا المؤتمر :

ايمانا منها بمكانة المملكة العربية السعودية التى ارست دعائم حكمها على الاسلام ، عقيدة وشريعة ومنهاج حياة ، واصبحت محط انظار العالم الاسلامى ومهوى افئدة شعوبه ، ومعقد تطلعاته لبلوغ آماله.

وتقديرا للرسالة التى تحملها هذه المملكة الفتية، وما اخذته على عاتقها من حمل امانة الدعوة الى الاسلام ، والحفاظ على مقوماته الحضارية ، والعمل

بشريعته ، وقيادة البشرية الى ما تحققه هذه الشريعة للعاملين بها من امن ورخاء ، واستقرار وعدل .

واداء لاهداف الجامعة السامية ، التى ترتكز على اثراء الفقه الاسلامى ، وتنمية أبحاثه ، وتقديم الحلول الناجعة لمشكلات العصر وما يحدث للناس من اقضية ، فى ضوء شريعتنا الغراء ، وهدى الكتاب والسنة .

وتحقيقا للقاء الفكرى الذى ينبغى ان يلتقى عليه رجالات الاسلام من الفقهاء والعلماء والمفكرين ، حتى تنقدح الآراء الاجتهادية ، وتنير الطريق نحو حياة افضل للامة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها .

وتلبية للدواعى الملحة التى يشعر بها المسلمون ازاء الصراع العقدى والمذهبى فى انحاء العالم لعرض الاسلام عرضا سليما ، والكشف عما تحمله شريعته من قواعد تشريعية عادلة ، تخلص الانسانية من شقائها واضطراب حياتها ، وتقودها الى معالم الهدى والخير والرفاه .

ان جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية انطلاقا من هذه الاعتبارات كلها :

رأت ضرورة عقد مؤتمر للفقه الاسلامى فى رحاب هذا البلد الامين ، يدعى اليه علماء الامة الاسلامية ورجال الفكر فيها للبحث وتداول الراى فى قضايا الاسلام وقضايا امته .

وتم بحمد الله تعالى وتوفيقه انعقاد المؤتمر فى قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض تحت رعاية صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ، وذلك فى الفترة من غرة ذى القعدة 1396 هـ الى الثامن منه .

وقد حضر المؤتمر علماء وفقهاء ومفكرون يمثلون الجامعات والمؤسسات والهيئات الاسلامية فى انحاء المعمورة ، واشترك معهم نخبة من علماء المملكة واساتذة جامعاتها .

وشكلت اربع لجان متخصصة لدراسة الابحاث

اللجنة الاولى : وقد استمعت وناقشت البحوث التالية :

1 — وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فى كل زمان ومكان .

2 — الشبهات التى تثار حول تطبيق الشريعة الاسلامية فى العصر الحديث .

3 — الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية .

اللجنة الثانية : وقد استمعت وناقشت البحثين التاليين :

1 — نظام القضاة فى الاسلام .

2 — أثر تطبيق الحدود الشرعية فى تحقيق الامن والاستقرار للمجتمع .

اللجنة الثالثة : وقد استمعت وناقشت البحثين التاليين :

1 — اثر تطبيق النظام الاقتصادى الاسلامى فى المجتمع .

2 — المصارف الاسلامية بين النظرية والتطبيق .

اللجنة الرابعة : وقد استمعت وناقشت البحوث التالية :

1 — الاعلام واثره فى نشر القيم الاسلامية وحمايتها .

2 — التربية الاسلامية واثرها فى المجتمع .

3 — الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام .

وايمانا من المشاركين فى المؤتمر بأهمية تلك الموضوعات فى علاج الوضع الراهن للمسلمين والعودة بالامة الاسلامية الى تطبيق شريعة الاسلام فى جوانب الحياة كلها ، توصل المؤتمر الى التوصيات الآتية :

اولا : فيما يتصل بتطبيق الشريعة الاسلامية ، يوصى المؤتمر بما يلى :

1 — العمل الجاد ومن الآن على تطبيق الشريعة الاسلامية والامتناع عن اصدار قوانين جديدة فى البلاد الاسلامية تخالف أحكام هذه الشريعة .

2 — العمل من الآن على تطبيق العقوبات الاسلامية فى الحدود وغيرها ، لايجاد مجتمع اسلامى سليم بعيد عن الانحراف الخلقى ، والانهيار الاجتماعى .

3 — اعداد القاضى اعدادا كافيا يمكنه من تطبيق الشريعة الاسلامية على وجهها الصحيح ، بانشاء ودعم الكليات والمعاهد المتخصصة لتحقيق ذلك . وأن تأخذ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية زمام المبادرة فى ذلك لتكون قدوة للجامعات الاسلامية الاخرى .

ثــانيــا : مجمع الفقه الاسلامى :

يرى المؤتمر انه قد آن الاوان لان يبرز « مجمع الفقه الاسلامى » الى الوجود وهو الامل الذى يداعب احلام فقهاء المسلمين فى كل بلد ، حتى يتم بين جنباته احياء الاجتهاد الجماعى ، لبحث تحديات العصر ، وما جد وما يجد من احداث ، والوصول الى راى امثل فى حلها وطرق علاجها .

ويرى المؤتمر ان جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية قد توافرت لها أسباب تبنى هذا المجمع ، لقيام اهدافها على دراسة الشريعة الاسلامية دراسة مستفيضة ، فى مناخ اسلامى نظيف بالمملكة العربية السعودية التى تطبق شريعة الاسلام فى جوانب الحياة كلهــا ، وتعطى للعــالم صورة اتم لما تحققه هذه الشريعة من أمن نفسى واستقرار جماعى ، وعدل شامل ، ورخاء عميم .

ويوصى المؤتمر بمــا يلى :

1 — ان تبادر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بانشاء مجمع الفقه الاسلامى .

2 — ان يضم هذا المجمع النخبة الممتازة من العلماء والفقهاء والمفكرين من انحاء العالم الاسلامى .

3 — ان يعمل المجمع على تحقيق ما يأتى :

أ — بحث مشكلات الحياة الجديدة المعاصرة التى نجمت عن تطور العلاقات بين الامم — فى ضوء الفقه الاسلامى ، وتقديم الحلول الاسلامية المناسبة بتطويع الحضارة الحديثة للاسلام لا بتطويع الاسلام لهــا .

ب — اصدار مجلة دورية سنوية باسم المجمع تتضمن ما انتجه من ابحاث وما توصل اليه من آراء ، وتعمل على نشر العقيدة الاسلامية الصحيحة وتعميقها فى المجتمعات الاسلامية .

جـ — العمل على تحقيق ونشر الجديد من كتب الفقه الاسلامى ، واصدار الموسوعات الفقهيــة ، وترجمة بعض هذه الموسوعات وفهرستها وتخريــج احاديثهــا .

د — اعداد حصر علمى للشبهات التى تثار حول تطبيق الشريعة الاسلامية والرد عليها .

ثــالثــا : فيما يتصل بالاقتصاد الاسلامى :

يؤكد المؤتمر ان النظام الاقتصادى الاسلامــى جزء من نظام الاسلام المتكامل ، ومن ثم فهو احكام شرعية مستمدة من أصول الشريعة ، لا يسع المسلم الا الالتزام بها ، لذلك يوصى المؤتمر بما يلى :

1 — العمل على ابراز جوانب هذا النظام الذى يؤدى تطبيقه الى تحقيق اعظم المصالح للفرد والجماعة واشاعته فى الاوساط الاسلامية .

2 — العمل على الغاء المعاملات الربوية ومنها الفوائد المحددة سلفا لانها ربا صريح وهــى ضارة بالنشاط الاقتصادى حيث لا يتم التوازن الاقتصادى الا بالغــائهــا .

3 — التوسع فى انشاء مؤسسات مصرفية غير ربوية ودعم القائم منها ، والعمل على تشجيع بقية المؤسسات المصرفية العاملة فى البلاد الاسلامية على تطوير نظمها بما يتوافق مع احكام الشريعة الاسلامية.

4 — ان تنشىء جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية مركزا للبحوث الاسلامية الاقتصادية يبحث فى النظام الاقتصادى الاسلامى ووسائل تطبيقه .

رابعــا : فيما يتصل بالاعلام والتربية والغزو الفكرى — يوصى المؤتمر بما يلى :

1 — العنايــة بدراسة العلوم الدينية وربطها بواقع الحياة ، والاهتمام بدراسة الحضارة الاسلامية فى جميع مراحل التعليم ، وتسليح الشباب المسلــم بالثقافة الاسلامية التى تحصنه من الغزو الفكرى .

2 — تنقية ما فى بعض الكتب الاسلامية مــن الاغلاط والدسائس والاسرائليات .

3 — الحيلولة دون تسلــل ذوى الاغــراض المعادية للاسلام الى مواقع العمــل الاسلامــى ، والحرص على توسيد الامر الى اهله فى كل المجالات ودعم المؤسسات والمنظمات الاسلامية لتقوم برسالتها.

4 — تكوين جهاز دائم من المتخصصين لرصد حركات الغزو الفكرى وما يصدر عــن الاستشراق المغرض والتبشير الصليبى فى شتى الصور ، وتحليله ، وتنبيه الامة الاسلامية الى خطورته ، واقتراح وسائل مواجهته ، والتعاون مع جميع الهيئات والمنظمــات والجامعات الاسلامية لاحباط مخططاته .

5 — وضع موسوعة اسلامية باللغة العربية

تستهدف عرض قضايا العلم من وجهة نظر الاسلام الصحيحة ، وتصحيح ما زيف من تاريخ الاسلام وافكاره والعمل على ترجمتها الى اللغات الاخرى .

6 — انشاء مؤسسة صحفية اسلامية على مستوى العالم الاسلامي تصدر صحفا تعرض قضايا العالم من وجهة نظر الاسلام ومجلات متخصصة للطفل وللشباب وللمراة ، وللعمال ، تجمع بين المضمون الاسلامي الصحيح والاسلوب الصحفي المتطور ، كما تتولى ترجمة المهم من الكتب الى لغات الشعوب الاسلامية لتسهم في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين .

7 — تنقية برامج الاذاعة والتلفزيون من الاتجاهات الخارجية على القيم الاسلامية والدعوة الى اقامة تنسيق بينها وبين المؤسسات الاسلامية وتدعيم الاذاعات الاسلامية وتقوية ارسالها ليصل الى انحاء العالم .

8 — تأييد فتح مكاتب لوكالة الانباء الاسلامية في عواصم العالم ، وتجنيد الكفاءات الاعلامية الاسلامية لها والتوسع في خدماتها .

9 — ان تنشىء جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وغيرها من الجامعات مراكز للبحث التربوي ويجند الرجال الصالحون للعمل فيها وتكون مهمتها :

ا — استخلاص اسس التربية الاسلامية من كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشمائل نبينا الكريم وسيرته .

ب — جمع وصايا سلفنا الصالح من خلفاء وعلماء وادباء ونحوهم لابنائهم خاصة ولابناء المسلمين عامة جمعا محققا موثقا مضبوطا مشروحا مصنفا مفهرسا .

ج — جمع ما خلفه علماء المسلمين في التربية من اقوال وآراء ومناهج تفصيلية مبثوثة في ثنايا الكتب .

د — جمع الآثار التربوية المعروفة بسياسة الصبيان ونحوها من مطبوعة ومخطوطة لتحقيق المخطوط واعادة طباعة المطبوع على وجه علمي حديث .

هـ — عقد المؤتمرات التربوية بصورة دورية لمدارسة ما جمعته هذه المراكز واستخلاص المنهج الاسلامي في التربية من خلاله .

10 — انشاء معاهد للتربية الاسلامية في جميع بلاد المسلمين لتدريس المنهج الاسلامي في التربية واعداد المربين المسلمين وفق هذه النظرية .

11 — عرض كتب التربية وعلم النفس والاجتماع التي تدرس في الوقت الحاضر على علماء متخصصين في هذه العلوم معروفين بغيرتهم على الاسلام لتنقية هذه الكتب من كل ما يتنافى مع الاسلام ويناقض اصوله وتوجيهاته .

12 — اعطاء العلوم الشرعية من قرآن وحديث وسيرة وتوحيد وفقه الاهمية البالغة والقدر الكافي من الساعات مما يليق بأهمية هذه المادة واثرها في حياة الناشىء المسلم ، وشجب كل محاولة للانتقاص من حصص هذه المادة باختصار بعض موضوعاتها او فصول من كتبها .

13 — ان يعتبر القرآن الكريم وتجويده وتفسيره والحديث الشريف والسيرة النبوية وسيرة السلف الصالح الركائز الاساسية في تثقيف الطالب ثقافة اسلامية فلا تخلو منها سنة من سنوات التعليم ، في جميع المراحل وان تعنى المدارس والجامعات بأمر حفظ القرآن الكريم عناية جلية بحيث توضع له المكافآت والجوائز وتخصص له بعض المناشط والاحتفالات .

14 — دعم الجامعات الاسلامية في جميع بلاد المسلمين وتمكينها من التمتع بشخصيتها المستقلة ، والاخذ بيدها لتستطيع ممارسة رسالتها الرائدة في العالم الاسلامي .

15 — العمل على تضييق مجال الابتعاث الى البلاد غير الاسلامية ، وبخاصة في السن المبكرة .

16 — ان تولى اللغة العربية — لغة القرآن المجيد — ما تستحقه من عناية واهتمام في جميع البلاد الاسلامية ، وان تملأ نفوس ابنائنا بحبها ، وان تكون في البلاد العربية لغة التخاطب والتعليم في جميع المواد وسائر المراحل — وخاصة المرحلة الجامعية — وان تشجب كل محاولة للنيل من هذه اللغة او اقصائها عن الحياة بالدعوة الى تبنى العامية او المساس بحرفها عن طريق احلال الحروف اللاتينية — او اى شكل آخر من أشكال الحروف — محله .

17 — ان تتعاون وزارات الاعلام والاوقاف والثقافة ورعاية الشباب ، ووزارات المعارف والتربية

وسائر المؤسسات التعليمية والاعلامية فى تنشئة الاجيال نشأة دينية صالحة وتغذية عقولهم ونفوسهم بالثقافة الاسلامية النافعة بحيث تشتمل الوسائل الاعلامية المقروءة والمرئية والمسموعة على البرامج التوجيهية الهادفة والمسلسلات الاسلامية المشوقة والتمثيليات المباحة التى توصل الخير والبر والاحسان فى نفوس أبناء المسلمين وبناتهم .

18 — ان تخلو الجرائد والمجلات ومختلف وسائل الاعلام من كل ما يناقض التوجيه الاسلامى من صورة متكشفة او كلمة مثيرة حتى لا تهدم بعض مؤسسات الامة ما تبنيه مؤسساتها الاخرى .

19 — العناية بالمساجد فى بنائها ومرافقها وتأثيثها ، وامدادها بالمكتبات الاسلامية ، واعداد ائمتها ووعاظها اعدادا يجعلهم صورة معبرة عن الاسلام فى سلوكهم وافكارهم حتى يستعيد المسجد مكانته فى التثقيف والتوجيه اداء لرسالته فى تربية الامة.

20 — الاهتمام بتقديم الادب الاسلامى للاطفال والفتيان والفتيات وذلك بتفريغ عدد من الادباء الموهوبين لكتابة القصة الاسلامية والمسلسلة الاسلامية والنشيد الاسلامى ، وان تقام بذلك المسابقات وان ترصد له المكافآت .

21 — القيام بمهرجانات ومؤتمرات للادب الاسلامى.

22 — العمل على استنقاذ ملايين المسلمين فى البلاد التى تضم اقليات مسلمة تتعرض لمحاولات الفتنة فى دينها .

23 — الوقوف فى وجه التغلغل الصهيونى والتبشير الصليبى والفكر الالحادى فى البلاد الاسلامية، والعمل على احباط المخططات الرامية الى استغلال خيرات البلاد الاسلامية .

خامسا : توصيات عامة — يوصى المؤتمر بما يلى :

1 — أن تكون للمؤتمر امانة عامة دائمة ، تتابع تنفيذ قراراته وتوصياته والاتصال الدائم باعضائه ، مقرها جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

2 — ان يكون انعقاد مؤتمر الفقه الاسلامى دوريا كل ثلاث سنوات .

3 — ان تشكل لجنة لاختيار الجيد من البحوث التى قدمت الى المؤتمر لتقوم جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بطبعها وتوزيعها على الملوك والرؤساء والعلماء والفقهاء والمفكرين والجامعات والمؤسسات فى انحاء العالم الاسلامى — .

4 — ان يؤلف وفد يحمل توصيات هذا المؤتمر لزيارة البلاد الاسلامية وابلاغ المسؤولين فيها وذوى العلاقة بمضمونها والتوصية بتنفيذها .

5 — ان يلتزم المشتركون فى المؤتمر بالعمل على نشر هذه التوصيات والدفاع عنها لدى الاوساط المسؤولة فى بلدانهم وأمام المؤسسات والهيئات العلمية والثقافية والتربوية والاقتصادية التى تعنيها الامور الواردة فى مجموع هذه التوصيات .

هذا وان اعضاء المؤتمر وهم مختتمون اعمالهم ليتوجهون بخالص الشكر وجميل العرفان الى صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز والى ولى عهده صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز وحكومة المملكة العربية السعودية السنية على اتاحة هذه الفرصة الطيبة لهم وما لمسوه من حفاوة وتكريم .

كما يتوجهون بالشكر الى جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية على تبنيها لهذه الفكرة الرائدة ودعوتها وتنظيمها لهذا المؤتمر ، ويأملون منها ان ترفع هذه التوصيات الى جلالة الملك المعظم نيابة عنهم راجين موافقة جلالته السامية عليها وبذل جهوده المشكورة مع الملوك والرؤساء والمسؤولين فى جميع البلاد الاسلامية لتنفيذها ، لما فيها من الخير العظيم والنفع العميم للاسلام والمسلمين ، ويسألون الله ان يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد ، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه الى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

* * *

ملامح العلاج الإلهي للمشكلة الاجتماعية

للأستاذ: عبد الحليم عويس

شغلت المشكلة الاجتماعية من اهتمام الفكر الاجتماعي الحديث حيزا كبيرا .

وقد تحولت هذه المشكلة من قضية اجتماعية الى مسألة « ايديلوجية » تثير حروبا سياسية واقتصادية .. وتقسم العالم الى مناطق متصارعة !!

وفي الاسلام .. توضع هذه المشكلة الحادة في اطار موضوعي هادىء لا تنفصل به عن طبيعة الاسلام في علاج كل مشكلات الحياة ..

وبالتالي .. فان ملامح علاج الاسلام للمشكلة الاجتماعية جزء لا يتجزأ من تصوره العام للكون والحياة .. ينسحب عليها الاطار الاسلامي الكلي بكل ملامحه وخصائصه .. وفي ضوء هذا الوعي الموضوعي نبرز اهم ملامح المنهج الالهي لعلاج المشكلة الاجتماعية في النقاط التالية :

1 ــ الاساس الديني للمجتمع :

لا يقيم الاسلام البناء الاجتماعي على اساس مادي او قانوني ، وانما يرسي الاساس الديني للحياة الاجتماعية وغيرها ــ كأساس ثابت تنطلق منه كل جزئيات العلاقات الاجتماعية والاقتصادية .

والاساس الديني للمجتمع يستمد اصالته وروعته من عدة امور :

ا ــ انه علاج الهي صدر عن الخالق القادر المحيط المهيمن العليم بمخلوقاته « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » (1) .

ب ــ انه ملائم لفطرة الانسان ، فالانسان ليس آلة صماء تتحرك بمجرد الضغط عليها بمفتاح اسمه القانون ، وانما هو انسان ذو ارادة حرة لا بد أن تنطلق من داخلها نواحي السلوك المختلفة .

جـ ــ هذا بالاضافة الى ان كل الحلول «اللادينية» المادية والقانونية التي انتهجتها البشرية قد افلست ، وآل امرها الى فشل ذريع ــ ويؤكد هذا ذلك التصاعد المستمر في احصاءات الانتحار والجنون وحوادث الاغتصاب والسرقة وغيرها (2) .

---

(1) سورة الملك 14 .

(2) تقول احصائية نشرت بموسكو ان 50 ٪ من الامراض سببها نفساني ، وفي تقارير عام 1393 هـ ان خمسة ملايين جريمة تقع في السنة الواحدة على الرغم من الرفاهية المتوفرة . وقد ارتفعت نسبة الجريمة في فرنسا 32 ٪ في عام واحد (راجع تفصيل ذلك في مقال « الدين والتطور الحضاري » مجلة التضامن الاسلامي عدد ذي القعدة 1395 هـ ــ لعبد الحليم عويس)

ان الانسان فى الاسلام خليفة الله فى الارض ، وهو مكلف بتعمير هذا الكون الذى سخره الله له · وباسمه — سبحانه وتعالى — يجب ان يمشى الانسان فى الارض وان يأكل من رزق الله .

والاسلام وحده من بين سائر الاديان والمذاهب هو الذى يفرد الله بالعبادة حين يفرده بالحاكمية وحق وضع المنهج لحياة الناس ، ومن ثم فهو وحده الذى يطلق الناس من العبودية لغير الله .. ولهذا فنحن ملزمون بتحقيق هذا المنهج دون سواه (3) · وهذا المنهج الاسلامى هو الوحيد المبرا — نتيجة اساسه الالهى — من نتائج الهوى الانسانى والضعف الانسانى والرغبة الانسانية فى النفع الذاتى ، وفى تحقيق ذلك النفع عن طريق التشريع لشخص المشرع ، او لاسرته، او لطبقته ، او لشعبه ، او لجنسه .. فواضع هذا المنهج هو الله رب البشر اجمعين (4) ·

فالاساس الدينى للحياة — كما نرى — هو الضمان الوحيد لتحقيق مجتمع تتوافر فيه للانسان الكرامة والحرية والمساواة ·

2 — الصياغة الانسانية المجتمع :

ومن ابرز خصائص المنهج الالهى فى علاج المسألة الاجتماعية ، انه لا يقيم البناء الاجتماعى على اساس « الصراع » او « التناقض » او ارهاب طبقة او افراد لطبقات من الناس ..

انه قبل أن يضع القوانين ، وبعد ان يرسى اساس الربوبية — يقيم دعامات اخرى انسانية تشيع بين الناس اواصر الرحمة ، والحب ، والتسامح ، والفضل ، والتعاون ، ومراقبة الضمير ، وخشية الله، الى غير ذلك من المعانى الكريمة ·

والآيات القرآنية والاحاديث النبوية التى تؤكد هذه المعانى اكبر من أن تحصر .. وابرز معالم الصياغة الانسانية للمجتمع فى المنهج الالهى تتلخص فى :

ا — ايمان الاسلام بنظافة الفطرة الانسانية ، وبأنها لم تولد آثمة او خاطئة — كما يقول النصارى — وانما ولدت كريمة طيبة تنزع الى المثالية ·· وما يلحقها من عيوب انما هو حصاد تأثرها بأوضاع غير كريمة فى المجتمع · والاسلام يعتمد فى تشريعاته على هذا الرصيد الكريم للفطرة ويحاول تحريك الانسان بالارادة الذاتية من داخله ، قبل ان يقوده بسلاسل القانون من خارجه .. قال تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » (5) ، وقال : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (6) ·

ب — اشباع الاسلام لكل جوانب الانسان — بالطرق الحلال — وتصعيد كل غرائزه وليس كبتها او حرمانها بالرهبانية المبتدعة او الزهد الكاذب .. « فالاسلام ليس عقيدة صوفية ولا هو فلسفة ، ولكنه منهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التى سنها الله لخلقه ، وما عمله الاسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية فى الحياة الانسانية » (7)·

جـ — اعطاء الاسلام كل ذى حق حقه ، فى توازن ، وبلا افراط او تفريط · فللرجل حقه كانسان ، وللمرأة حقها ، وللابن حقه ، وللاب حقه ، وللضعيف حقه ، وللمريض حقه ، وللعاجز حقه ، وللفقراء والمساكين واليتامى والمعوقين واشباههم من المعوزين حقوق .. قال تعالى : « وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة ، او اطعام فى يوم ذى مسغبة ، يتيما ذا مقربة ، او مسكينا ذا متربة ، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة » (8) · ان الفرد فى المجتمع الاسلامى ، يتمتع بحقوق عامة ، انطلاقا من واقع كينونيته الانسانية ، وليست مجرد حقوق مرتبطة بظروف موقوتة ، تزول بزوالها ·

3 — الحق والعدل من الخصائص الكبرى :

لا يدعو الاسلام الى سيطرة طبقة على طبقة ، ولا الى « ديكتاتورية » فردية او طبقية تنشر باستبدادها الظلم فى المجتمع ·

(3) الاستاذ سيد قطب « هذا الدين » ص 18 ·
(4) المرجع السابق ص 19 ·
(5) سورة الرعد الآية 11 ·
(6) سـ رة العنكبوت الآية 69 ·
(7) محمد اسد ، الاسلام على مفترق الطرق 22 ·
(8) سورة البلد الآيات 12 — 17 .

وحتى المجتمع الاسلامى كله ليس مباحا له ان يستحل ثروات شعوب اخرى او يستبد بها .. فالظلم ظلم ، والتسلط الظالم مرفوض فى منطق العدالة الاجتماعية الاسلامية ، بل ان العكس هو المفروض على الامة الاسلامية .. فهذه الامة الوسط الشهيدة على الناس مكلفة باقرار العدل والحق فى الارض كلها . وما الهدف الاسمى من الجهاد الا اقرار العدل والحق واعلان الحرب الدائمة على الطغاة والمتألهين ، الذين يستذلون الشعوب ، ويقيمون السدود فى وجه الحق والايمان . والقرآن يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » (9) ويقول « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا » (10) ويقول « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، واولئك هم المفلحون » (11) .

— والعدل فى منطق الاسلام عدل مطلق .. (12) ينساب فى كل اركان المجتمع والكيان الانسانى .. فى داخل النفس ، وفى الاسرة ، وبين افراد المجتمع ، وبين الرجل والمرأة ، والاب والابن .. ومع الصديق والعدو .. وبين المجتمع الاسلامى وغيره من المجتمعات ... وهو عدل فى الحكم ، وفى الاقتصاد ، وفى النظم الاجتماعية ، وفى الحروب ، وفى سائر العلاقات الاجتماعية وشؤون الحياة .

4 — الاصالة والشمول :

من الخصائص الاساسية فى المنهج الاسلامى لعلاج المسألة الاجتماعية انه منهج اصيل شامل ..

● فهو اصيل لانه لم يكن مجرد علاج او رد فعل لخلل طارىء ، وانما هو توجيه شمولى لعلاج الكيان الاجتماعى **كله** .

— وهو اصيل لانه لم يكن مجرد ترقيع جزئى انفعالى (كالمذاهب الشيوعية والاشتراكية) او تلفيق مذهبى مستورد (كدعاوى الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية) ، او نظرة مسطحة لكيان الانسان ولحركة التاريخ البشرى وقوانين مسيرته .

— وهو اصيل ، لانه يقدم حلولا مستقلة لمشكلات الانسانية ، يستمدها من تصوره الخاص ، ومن منهجه الذاتى ، ومن اسسه الاصيلة ، ومن وسائله المتميزة .

وعلينا حين نناقش هذا الدين الا نكله الى مذاهب ونظريات اخرى تفسره (كالاشتراكيات المختلفة) ، او تضيف اليه ، فهو منهج متكامل ، ووحدة متجانسة ، وادخال اى عنصر غريب فيه كفيل بأن يفسده ، كالجهاز الدقيق الكامل ، اية قطعة غريبة عنه تعطل الجهاز كله ، وتظهر كأنها رقعة فيه (13) !!

— وهو اصيل ، لانه يرتكز على دعائم اصيلة فى اعماق الانسان ، ويهدف الى غايات انسانية نبيلة ، لا تخدم مصلحة طبقة او فرد ، انما تخدم المجتمع كله .. والانسانية كلها .

ومن اكبر دلائل اصالة المنهج الاسلامى فى علاج المسألة الاجتماعية انه منهج « شامل » .. لان كل جزئياته تنطلق من منبع واحد ، هو الوحى الكريم ، وتتجه كلها الى غاية واحدة هى العبادة .. اى رضا الله ، « فليس فى التصور الاسلامى نشاط انسانى لا ينطبق عليه معنى العبادة ، او لا يطلب فيه تحقيق هذا الوصف » (14) .

ولانه منهج مستوف لكل نواحى الفلاح ، ولان وسائله كذلك فطرية ، فهو لا يهدم الفطرة او يصطدم بها ، ولا يلجأ للوسيلة السيئة ، من اجل غاية يزعم انها شريفة .. ولا يضحى بملايين الناس ، زاعما انه يريد اقرار العدالة الاجتماعية على اشلائهم .. ولا يهدد حقوق الآدميين تحت شعار كاذب يرفعه ..

كلا ... فالعدالة شاملة ... ولكل جزء حقه ،، وعليه واجبه الملائم له .

---

(9) سورة البقرة الآية 251 .
(10) سورة البقرة الآية 143 .
(11) سورة آل عمران الآية 104 .
(12) انظر فصل العدالة من كتاب معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان .
(13) الاستاذ سيد قطب العدالة الاجتماعية 97 .
(14) الاستاذ سيد قطب خصائص التصور الاسلامى 129 .

ان الاسلام يرسم سلوكا اجتماعيا شاملا نحو الآخرين فى المجتمع ، على اختلاف مستويات الصلة بهم (15) .

ا ــ ففى جانب الوالدين « وبالوالدين احسانا » (16) « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » (17) .

ب ــ وفى جانب ذوى القربى : « وآت ذا القربى حقه » (18) .

ج ــ وفى جانب الضعفاء : « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » (19) « ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن » (20) .

د ــ وفى جانب الابناء : « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » (21) .

هـ ــ وفى جانب الجار : « ليس منا من بات شبعان وجاره جائع » حديث شريف .

و ــ وفى جانب الزوجة : « خيركم خيركم لاهله ، وانا خيركم لاهلى » حديث شريف .

ز ــ وفى جانب العرض والمال وخصوصيات الانسان الاخرى هناك ايضا تشريعات اجتماعية .. تحميها ، وتضعها فى مكانها السليم من البناء الاجتماعى

ح ــ وفى جانب المجتمع الاسلامى : « انما المؤمنون اخوة » .

ط ــ وفى جانب المختلفين فى العقيدة : « الا من ظلم معاهدا او تنقصه حقه ، او كلفه فوق طاقته ، او اخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا خصمه يو القيامة » حديث شريف .

ى ــ ومع النفس والضمير والانسانية والكون كله .. رسم الاسلام سلوكا اخلاقيا اجتماعيا حفلت به الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة .

وهكذا ــ ومن هذه النماذج الموجزة ــ تتضح اصالة المنهج الاسلامى فى علاج المسالة الاجتماعية بلا خلل او انحراف !!

5 ــ التوازن والواقعية :

● ان الاسلام وحده ــ فى علاجه للمسالة الاجتماعية ــ هو الدين المتسم بالتوازن والواقعية بوضوح تام .

وكما هو معروف فان الاسباب المباشرة لقيام المذاهب « والايديلوجيات » التى انتشرت فى عالم اليوم انما تتلخص فى بحث كل منهما (كما يزعم اصحابها) عن انصاف جانب مختل من جوانب المجتمع ، عن طريق تصور معين (غير واقعى فى الحقيقة) للحياة !!

ــ فالماركسية تزعم انها تنصف معظم المجتمع ، او ما يسمى « بالبروليتاريا » ــ اى الطبقات العاملة الكادحة .. تنصفه من افراد يمثلون قلة ، تدعى « بالبورجوازيين » او « الاقطاعيين » وتسير خلفها ــ فى هذه الدعوى ــ المذاهب الاشتراكية المختلفة .

ــ وفى المقابل تأتى الوجودية ، والمذهب الحر « الليبرالية » والديمقراطيات بأشكالها الراسمالية المختلفة ، فتزعم انها تنقذ الفرد من سحق المجموع ، وسيطرة الدولة ، واستبداد قوانينها الظالمة .

وكما تنسحب هذه الدعوات على الجوانب الاقتصادية ، كذلك تنسحب على الحرية الاجتماعية ، فبعضها يجعل الحرية ملكا للمجتمع .. وعلى الفرد ان يذوب فى المجتمع الموهوم ، وبعضها يجعل الحرية ــ كل الحرية بلا حدود من قوانين واخلاقيات ــ الفرد .

(15) محمد البهى طبقية المجتمع الاوربى 47 .
(16) سورة الاسراء الآية 23 .
(17) سورة الاسراء الآية 24 .
(18) سورة الاسراء الآية 26 .
(19) سورة الاسراء الآية 26 .
(20) سورة الاسراء الآية 34 .
(21) سورة الاسراء الآية 31 .

وبين هذين الاتجاهين — غير الواقعيين — المتدين فى كل آفاق الحياة ، تتحرك عوامل الصراع ، وتتناقض القوى التى خلقها الله لتكون متكاملة متعاونة ..

وتتحول الحياة الاجتماعية — التى يمكن ان تكون طيبة كريمة — الى ساحة دموية رهيبة !!

اما الاسلام .. فقد رفض مبدأ الصراع ومبدأ التناقض من الاساس ،، وقد اقام نظريته الاجتماعية على اساس « التعاون » ، والبناء للفرد والمجتمع معا فى « توازن وواقعية » ..

وعبر كل المجالات التى تنتظم قضايا الفرد والمجتمع فى الاسلام يسود التوازن والواقعية فلا ينفصل الفرد نفسيا وسلوكيا عن المجتمع ؛ ولا يسرق المجتمع حقوق الفرد تحت شعار من الشعارات الحالمة الكاذبة .

والى جانب ذلك فانه فى المجتمعات التى تطغى فيها حقوق الفرد تنسحق امامها بالضرورة حقوق افراد كثيرين آخرين يمثلون معظم المجتمع .. وفى المجتمعات التى تنسحق فيها حقوق الفرد تصبح القاعدة هى هذا الانسحاق للفردية البشرية .. اى ان التيارين بايجاز ينتهيان الى مصير واحد هو سيطرة قلة (باسم الفردية أو الجماعية) تستبد بالكثرة التى تعيش فى كلا المجتمعين — فى ظل هذا التصور — « فكل منهما — الفرد فى النظام الشيوعى الجماعى ، او الراسمالى الفردى — ليست له ارادة يرتفع بها فوق مجال الضغط والاكراه » .

« كل فرد يكاد يفقد انسانيته ، لانه يفقد حريته الفردية بسبب أو بآخر .. كل منهما تابع وخاضع (22) .

والتفسير الوحيد لهذه النتيجة التى تنتهى اليها المجتمعات الشيوعية او الراسمالية هو انعدام التوازن والواقعية فى النظرة ، واقامة صرح الحياة الاجتماعية على اساس الصراع ، وتجاهل قيم الايمان التى يشيعها الاسلام فى المجتمع ، سواء كان المجتمع افرادا متناثرين — لم يتكونوا بعد فى مجتمع رسمى — كشأن المسلمين فى مكة قبل الهجرة ، او كانوا مجتمعا قانونيا كشأن المسلمين فى المدينة بعد الهجرة .

فالتوازن والتعاون والحب قيم موجودة سائدة فى كلتا الصورتين اللتين مر بهما المجتمع الاسلامى . « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » (23) « هو الذى ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم » (24) .

● وجدير بالتنويه — الى جانب ما ذكرنا — ان النظرة الاسلامية لم تجمع بين الفردية والجماعية فى توازن وحسب ، بل منح الاسلام للفرد حقوقه ، وفرض عليه فى مقابلها واجبات متوازنة مخصوصة للجماعة — وبهذه الصورة ظهر بين الفردية والاجتماعية فى الاسلام توافق غريب . حيث يتيسر للفرد نماء قوته وارتقاء شخصيته ، ثم يصبح عونا بقوته الراقية فيما فيه خير وسعادة للمجتمع (25) .

● وبايجاز شديد ان النظرة الاسلامية للمسالة الاجتماعية ليست صورة مجتمعة فى خيال شاعر ، ولا لوحة صماء بريشة فنان ، ولكنها واقع حى متحرك شامخ انشأته الدعوة الاسلامية ، وقام بأمر الله الذى لا يؤلف بين القلوب سواه (26) .

● انها نظرة تتجه الى الانسان بكل طاقاته ، وفى كل حالاته .. فى قوته وضعفه ، وفى نوازعه واشواقه، بلحمه ودمه واعصابه ، بجسمه وعقله وروحه .

● ان الانسان الذى تتجه اليه النظرة الاسلامية، ليس هو الانسان الذى يصوغه ذهن تجريدى ، ويؤلفه من عدة قضايا ذهنية ، او الانسان الذى يضعه المنطق الوضعى فى اسفل سافلين ، ويجعله مخلوقا من

---

(22) د — محمد البهى « طبقية المجتمع الاوربى » ص 66 .
(23) سورة آل عمران الآية 103 .
(24) سورة الانفال الآيتان 62 ، 63 .
(25) ابو الاعلى المودودى — « نظرية الاسلام وهديه » ص 56 .
(26) عمر عودة الخطيب — « المسالة الاجتماعية » ص 210 .

مخلوقـات « المـادة » الصمـاء ، او مخلـوقـات « الاقتصاد » (27) .

● ومع رفعة النظـرة الاسلاميـة للانسان ، ونظافتها وربانيتها وشمولها ومثاليتها — هى فى الوقت نفسه — نظرة للانسان فى حدود طاقاته الواقعية ، وهى نظام لحياة هذا الكائن البشرى الذى يعيش على هذه الارض ، ويأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتزوج ويتناسل ، ويحب ويكره ، ويرجو ويخاف ، ويزاول كل خصائص الانسان الواقعى كما خلقه الله (28) .

● ان نظرة الاسلام للمسالة الاجتماعية .. هى نظرة دين سماوى صادر عن الاله القادر المحيط الحكيم، وليست نظرة عاجزة صادرة عن كائن بشرى يتعرض للمرض والضعف والسقوط .

---

(27) الاستاذ سيد قطب — « خصائص التصور الاسلامى » ص 206 .
(28) المرجع السابق — ص 206 بتصرف .

من أساليب الحرب الفكرية والنفسية :

3

التجسيد والتشويه

للاستاذ ابو عدنان

عبد القادر البوشيخي

فشلت الحرب العقائدية فشلا ذريعا فى اجتثاث العقيدة الاسلامية من أعماق المسلمين رغم نجاحها فى حصرها وعزلها فى المساجد وذلك بشهادة المبشرين انفسهم ، فلا زال الاسلام يعيش فى الضمائر والوجدانات والقلوب ، وينعكس على الاذهان والافكار كمرآة ساطعة وصورة مشرقة وضاءة ، وقوة حية نابضة متحفزة للطفو على السطح واستئناف مسيرتها السابقة ولذلك سلطوا ادواتهم الشيطانية على هذه المرآة فى محاولة لطمسها أو تشويهها على الاقل . واسلوب التجسيد والتشويه يعنى الصاق فكرة — تعذر تحطيمها كفكرة مجردة — باسم شخص ، ثم تشويه اسم ذلك الشخص لينعكس التشويه على الفكرة . كتجسيد الاسلام فى شخص الرسول ، والعلماء ، والمسلمين عامة ، ثم محاولة تشويه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لينعكس ذلك على الاسلام ، وتشويه سمعة بعض العلماء واتخاذ ذلك دليلا على انحراف الدين ، ثم المقارنة بين حياة المسلمين حاليا وبين المسيحيين واتخاذ تاخر المسلمين دليلا على تاخر الاسلام .

وقد تعرض المرحوم مالك بن نبى فى كتابه « الصراع الفكرى » الى اسلوب التجسيد الذى يهدف الى تحطيم فكرة من احلال الصاقها باسم ، ثم تحطيم الشخص لينعكس الاثر على الفكرة ، فقال : « انه ينبغى أن نتصور الفكرة كهدف يصوب اليه الاستعمار مدفعيته فالفكرة كهدف يمكن اصابته ، منفصلة أو متصلة بصاحبها .. اننا نراه يصوب مدفعيته على اسم كاتب ليصيب فكرته بحيث يصبح الاسم نقطة القياس لتوجيه خط النار لمدفعيته » (1) « .. والطريقة فى ذاتها تتسم ببساطة ملحوظة ، حيث اننا نمثل فى صورتها النظرية ما يمكن أن نسميه « مرآة الكف » اى المرآة التى تعكس حالة الحرمان ، أو حالة نفور ازاء الشىء الموضوع للانعكاس .. وهذه القاعدة تطبق ايضا فى الاطار العقلى فموضوع الانعكاسات هو هنا « فكرة » نريد ان نعطى عليا صورة معينة ، ربما أن الفكرة شىء لا يرى ، اى شىء لا يمكن عكسه على مرآة مادية ، فيجب ان نعكسه على مرآة ذهنية ، باضافة ما يجعله مرئيا فى هذه المرآة ، فمتى اجل هذا يكون من المفيد ان نعلق الفكرة باسم صاحبها .. » (2) « وبعبارة أخرى ، أن هذه العمليات تجرى فى الواقع على اسم صاحب الفكرة ، ثم يعلق اثرها النفسى بالفكرة بالتبعية ، اى ان الانعكاسات التى تسلطها « مرآة الكف » على الاسم تنعكس فى النهاية على الفكرة » (3) .

ولقد اشار المرحوم عباس محمود العقاد الى محاولة تحطيم الاسلام عن طريق محاولة تشويه الرسول فقال : « .. فلما هالهم هذا النفوذ الفكرى — للاسلام — وازعجهم شيوعه فى معاقل الفكر ومعابد العبادة ، اقبلوا على تاليف الكتب التى اجتهدوا غاية الاجتهاد ان يصبغوها بالصبغة العلمية ليضمنوا رواجها

(1) الصراع الفكري ص 83 الطبعة الثانية .
(2) نفسه ص 87 .
(3) نفسه ص 88 .

بين طلاب المعرفة واقناعها لمن يطلبون الدليل ، ولا يقبلون أن يخدعوا عقولهم بأباطيل الدعاية والتضليل ، وجعلوا همهم كله تشويه الحكمة الاسلامية بتشويه مصدرها الاول ، وتمثيل صاحب الدعوة الاسلامية فى صورة بعيدة عن التقديس والاحترام ، ولا حاجة بهم بعد ذلك الى البحث فى دقائق الحكمة واسرار الفلسفة لتنفير الافكار من النبى ورسالته لان تمثيل انسان مقدس فى الصورة التى تنزع القداسة عنه ايسر جدا من عناء الدراسة فى نقض العقائد وادحاض الافكار (4) » وتتابع الاسلوب فى تطوره من محاولة ازالة القداسة (5) الى محاولة التشويه ، فبعد ان اشار رحمهُ الله الى احدى وسائل تشويه الرسول صلى الله عليه وسلم وهى استغلال زواجه بزينب بنت جحش قالا : « تلك قصة ارسلوها فى غياهب القرون الوسطى لينظر الناس فى ظلمتها الى وصمة انسانية يعاف من اجلها خلق الانسان ويعاف الدين الذى يدعو اليه من اجله (6) » ومن المطاعن التى توجهها الحرب الفكرية والعقائدية لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم ، كونه بشرا ، وكون الله هداه بعد ضلال ، وكونه لا يعلم الغيب .

ومحاولة التجسيد وهدم الاسلام عن طريق مهاجمة الرسول ليست فكرة جديدة ، فقد لجأت اليها قريش فى بداية الدعوة الاسلامية ، وفى هذا المعنى يقول « محمد هيكل » بعد أن اشار الى فشل قريش فى ايقاف مد الاسلام فى مكة وخارجها : « .. أفآن لقريش ان تلقى سلاحها وان تصدق الامين الذى عرفته منذ طفولته وكل صباه وشبابه امينا ؟ أم انها لجأت الى سلاح غير ما قدمنا من اسلحة النضال ، وخيل اليها انها مستطيعة به ان تكسب الموقعة .. كلا لم يأن لقريش ان تذعن وان تسلم ، وهى الآن اشد ما تكون خوفا من انتشار دعوة محمد بين قبائل العرب بعد ان انتشرت بمكة وقد بقى لها سلاح لجأت اليه منذ الساعة الاولى ولا يزال لها فى قوته وفى مضائه مطمع ، ذلك سلاح الدعاية : الدعاية بكل ما تنطوى عليه من مجادلة وحجج ومهاترة وترويج اشاعات وتوهين لحجة الخصم .. الدعاية على العقيدة ، وعلى صاحب العقيدة واتهامه فيها واتهامها لذاتها (8) » ثم بين الطريقة التى اتبعتها قريش فى سبيل محاربة الاسلام عن طريق مهاجمة شخص الرسول — لا الرسالة — ومحاولة تنفير العرب من رسالته : « لما فكر — اى الرسول — فى مبادأة الحاج من مختلف قبائل العرب بالدعوة الى الله اجتمع نفر من قريش الى الوليد بن مغيرة يتشاورون : ماذا عسى ان يقولوا فى شأن محمد للعرب القادمين الى موسم الحج .. واقترح بعضهم ان يقولوا : ان محمد كاهن ، فرد الوليد هذا الراى ، ان ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن ، ولا بسجعه ، واقترح آخرون ان يزعموا أن محمد مجنون ، فرد الوليد هذا الراى بانه لا تبدو عليه لهذا الزعم ظاهرة ، واقترح غيرهم ان يتهموا محمدا بالسحر ، فرد الوليد ان محمدا لا ينفث فى العقد ، ولا ياتى من عمل السحر شيئا ، وبعد حوار اقترح الوليد عليهم ان يقولوا للحاج من العرب : ان هذا الرجل ساحر البيان ، وان ما يقوله يفرق بين المرء وابيه ، وبين المرء واخيه ، وبين المرء وزوجه ، وبين المرء وعشيرته (9) » نرى فى ايراد هذه القصة ان فكرة التجسيد فكرة قديمة وانها تطبق الآن بطرق عصرية مناسبة .

وننتقل الآن الى تجسيد الاسلام فى شخص العلماء ، فى مجلة الفكر الاسلامى مقال بعنوان : « شهود يهوه » تحدث فيه الكاتب الاستاذ محمد على الزعبى عن نشاط هذه الجمعية الصهيونية وتعرض لكتاب نشرته بعنوان « الحق الذى يقود الى الابدية »

---

(4) ما يقال عن الاسلام ، الطبعة الثانية ص 206
(5) يطلب منا صاحب كتاب « فى سبيل البعث » أن ننزع القداسة عن الرسول ! ؟ فيقول : « حتى الآن كان ينظر الى حياة الرسول من الخارج ، كصورة رائعة ، وجدت لنعجب بها ونقدسها ، فعلينا أن نبدا بالنظر اليها من الداخل ، لنحياها ، كل عربى فى الوقت الحاضر يستطيع ان يحيا حياة الرسول العربى .. » فى سبيل البعث الطبعة الاولى ص 53 .
(6) ما يقال 209 .
(7) فى ايراد مثل هذه التهم الزائفة وهى كثيرة ، ثم الرد عليها انظر « القرآن والمبشرون » الطبعة الاولى ص 257 وما بعدها .
(8) حياة محمد لهيكل ، الطبعة الثالثة عشر ص 170 .
(9) نفسه ص 171 .

نقال : « ولذا حام هذا الكتاب حول مطلق دين سوى الدين اليهودى ، حومات لبقة .. نوضـع اشارات استفهام حول اديان البشر واتخذ من انحراف بعض رجال الدين دليلا على عدم صحة جوهر ذلك الدين نفسه (10) » ، ومحاولة تشويه رجال الدين لينعكس ذلك على رسالتهم من أهم أركـان الحـرب الفكريـة والعقائدية ، فقد جاء فى البروتوكول التاسع عشر : « وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الاميين فى اعين الناس ، وبذلك نجحنا فى الاضرار برسالتهم التى يمكن أن تكون عقبة كئودا فى طريقنـا وان نفوذ رجال الديـن علـى الناس ليتضاءل يـوما فيوما (11) وجاء فى كتاب تاريخ الجمعيـات السريـة والحركات الهدامة لعبد الله عنان : « .. فرجال الدين مثلا ، وهم اقوى الطوائف تأثيرا فى الـرأى العام لا يمكن هدمهم الا بالسخرية من الدين والتشهير بأقطابه، وتصويرهم أوغادا منافقين .. ومن الواجب ان تقوم النشرات النافذة فى كل وقت بحملات جديدة على رجال الدين ، فتبالغ فى تصوير ثرائهم ونعيمهم ، وتنسب اليهم كل الرذائل والمفاسد (12) » .

ويأتى صاحب كتاب « من هنا نبدأ » فيطبق فكرة التسجيد بمهاجمة علماء الازهر لينعكس ذلك علـى رسالتهم فيقول : « رأينا الكهانة المصرية » علمـاء الازهر » تختط مذهبا عجيبا ، اذ راحت تمطر الناس بخرافاتها ، وسال جشاؤها حاملا مبادئها الحزينـة المدبرة ، داعية الناس الى القناعة المقدسة ، بيـد أن الكهنة انفسهم الد اعداء القناعة ، واسبق العالمين الى اقتناص المغانم ، والبحث عن المال والجاه » (13) وفى هذا المعنـى يقول احد السادة المتنفذين لمخطط الحرب الفكرية والعقائدية : هل نترك خطباء المساجد ينفثون سموم خيالهم المـريض وتفكيرهـم السقيـم ورؤوسهم المظلمة ، وينقلون خطبهم من أوراق صفراء انقضى زمنها ، وتغيرت ظروفها ، فيكون لكلامهم أثر هدام (14) » وعلى نفس الوتر ضربت نشرة شيوعية وزعت بالمغرب : « أيها الرفاق ـــ ان الرجعية الاسلامية العميلة بدات ترفع راسها ، وتستخدم أسلوبها الذى اكل عليه الدهر وشرب فى محاربة الشيوعية الحرة ، وتنويم الشعب الذى رفض الاستغلال الاسلامى ، وها هى الرجعية قد جندت مبشريها الجدد لتروج خرافاتها وعقائدها البالية التى لم تعد تصلح لهذا العصر ، ان هؤلاء المشعوذين تجندوا لنشر الاسـلام (افيـون المغرب) الذى ترك هذا المغرب مستعمرا من طـرف الغزاة المسلمين الرجعيين ، واخذوا يستغلون المنابر والمساجد للتشهير بأفكار التحرر والاشتراكية ومحاربة المد الشيوعى المظفر فى مغربنا الماركسى ، واننا لن نتهاون فى محاربة وهدم صوامعهم ، واحراق مساجدهم وزواياهم ، وان اللجنة المركزية للماركسيين تخبر كافة المناضلين بأنها قررت تنفيذ الاعدام فى كل من تسول له نفسه أن يدعو الى الاسلام « افيـون المغـرب » ويعرقل مسيـرة الشيوعية الظافرة فى المغرب الماركسى اللينينى ـــ الامضاء ـــ اللجنة الموحـدة للمـاركسيين الثوريين بالمغرب » (15) ومكان الاستشهاد هنا هو قولهم : « .. الرجعية الاسلامية العميلة ،، ونشر الاسلام الذى ترك المغرب مستعمرا من طرف الغزاة المسلمين » والتهمة الاولى مشهورة ، وهى قذفة لا يفتأ الشيوعيون يرددونها ويكـررونها تنفيـذا للمخطـط الصهيونى الذى رايناه فيما سبق يوصى بالحط من كرامة رجال الدين وقذفهم بما يشوه سمعتهم لينعكس ذلك على رسالتهم ، اما الثانية ـــ الغـزاة المسلمـين ـــ فتندرج تحت « تجسيد الفتوح » حيث يشـوه سيرة الخلفاء والفاتحين لينعكس ذلك على الاسلام اقتداء بصاحب كتاب « الخليفة عمر المستعمر العربى » الذى حاول تشويه سمعة عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستهدفا ايقاف مد الاسـلام مـن خـلال ذلك (16)

---

(10) مجلة الفكر الاسلامى اللبنانية عدد 3 سنة 2 ص 67 .
(11) البروتوكولات ترجمة محمد خليفة التونسى ص 204 .
(12) نقلا عن الافعى اليهودية فى معاقل الاسلام ص 16 .
(13) مـن هنـا نبـدأ ص 24 .
(14) الاستعمار احقاد واطماع ص 429 .
(15) دعـوة الحـق دجنبـر 73 ص 40 .
(16) انظر ما يقال عن الاسلام ص 71 .

والشيوعيون هنا يضربون على نفس الوتر عند ما يرددون نغمة المستعمرين الغزاة .

ويبقى اخيرا محاولة تجسيد الاسلام فى حياة المسلمين ، ثم اتخاذ ذلك دليلا على تأخر الاسلام ويجب ان نعترف ان هذه التهمة أمضى سلاح تلجأ اليه الحرب العقائدية فى سبيل تحطيم الاسلام ، ومحاولة اظهار تأخره ، لا فى نظر الاجانب فحسب بل فى نظر معتنقيه ليتحللوا منه او على الاقل من شريعته ومذهبه الاقتصادى والاجتماعى ، وهم فى محاولة تضخيم صورة التأخر يقولون : انظروا الى الامم المسيحية وانظروا الى المسلمين ، لماذا هؤلاء متحضرون ويحيون حياة راقية ؛ ولماذا نرى المسلمين عكس ذلك ؟ الجواب بسيط ؛ ان العلة فى الدين الاسلامى الذى هو دين الجمود والبداوة وهذه التهمة تردد على نطاق واسع خاصة بين الطبقات المتخلفة ، وهى ليست بنت اليوم فقد ولدت مع بداية الهجوم العقائدى على العالم الاسلامى ، يقول القسيس « زويمر » « . . ان المحاضرات التى يلقيها القسس المبشرون على الحاضرين المسلمين اثناء تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحرى والخرائط الاحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام كل ذلك يتم بوسائل التعليم البروتستانتى (17) » وفى نفس المعنى يقول القسيس هاريك : « . . . يرى بعضهم أن الموازنة بين حياة وأخلاق النصرانية وحياة وأخلاق الامم الاسلامية تنتج دائما رجحان النصرانية على الاسلام » (18) . والملاحظ ان الاستعمار وهو يحاول استغلال المقارنة بين المسلمين وغيرهم ، كان يتعمد خلق الظروف التى تتيح ابقاء المسلمين على جهلهم وتأخرهم ، وتاريخه فى افريقيا السوداء وآسيا خير دليل . فانه كلما دخل قطرا متعدد الاديان الا وسلط عذابه على المسلمين دون غيرهم ، فيصادر ثرواتهم ويبعدهم عن التعليم والادارة والحكم ، وبالمقابل يرفع من شأن المسيحيين واليهود ويسلمهم مقاليد الامور ، نعم ان هذه حالة جزئية ، لا تحل مشكلة التخلف العام بالنسبة لكل العالم الاسلامى ، والفكرة التى تطرحها الحرب الفكرية — وهى ان تأخر المسلمين يرجع الاسلام — لا زالت تلقى القبول فى بعض الاوساط ، واعتقد ان على حركة البعث الاسلامى ان تعير هذه التهمة قدرا غير يسير من جهودها ، لان البناء لا يتم الا على اساس سليم ، واعتقد ان الجهود العاجلة يجب ان تتجه الى ابراز وايضاح ان تخلف المسلمين لا علاقة له بالاسلام ، وانما هو ناتج اساسا عن الابتعاد عن الدين واهمال مبادئه وانظمة تشريعاته . اما الجهود الأساسية — ذات المردود الآجل — فتتجه الى العمل على الرفع من مستوى الحياة فى المجتمع الاسلامى ، والدفع بالمسلمين فى مدارج الرقى والتقدم ، وبغير هذا لا يمكن ابدا لتهمة تأخر الاسلام ان تزول من الاذهان ، مهما دمنا نقول ونكرر ان العلة فينا لا فى الدين (19) . . والى اللقاء فى الحلقة القادمة مع اسلوب « الحصر والعزل وكف الفعالية » .

(17) الغارة ص 97 .
(18) نفسه 69 .
(19) انظر الكتاب الهام جدا « حتى يغيروا ما بأنفسهم » للاستاذ جودت سعيد .

التحديات التي تواجه التاريخ الإسلامي

للأستاذ أنور الجندي

كان من اخطر ما اعلنته مناهج الارساليات فى معاهدها وجامعاتها منذ وردت ارض الاسلام انها تلقن التاريخ وتعلمه لطلبتها كأنه علم من العلوم الطبيعية المبنية على الاستقراء ، فلا يكف النقل فيه ، بل يجرى تطبيقه على قوانين الاجتماع الجديدة» .

وهذا التصريح ثابت لاحد مؤسسى هذه المعاهد وهو الخطة التى اعتمدت وسار العمل عليها خلال هذه السنوات الطويلة التى اتمت المائة منذ وطئت هذه المعاهد ارض الاسلام وسيطرت على عدد كبير من مثقفيها وشبابها وما تزال .

وما تزال دراسة التاريخ فى معاهد الارساليات والجامعات من اخطر التحديات التى تواجه المسلمين والتى هى بعيدة الاثر فى تكوين اجيالهم وشبابهم عاما بعد عام وعصرا بعد عصر .

والقضية ليست فى محاولة تفسير التاريخ تفسيرا ماديا صرفا ، وانما القضية ابعد من ذلك كثيرا لانها تبدأ بالشاب المسلم من غير المنطلق الصحيح له فهى تفرض اساسا انه ليس عربيا ولا مسلما ولذلك فهى تعلمه تاريخ العالم من وجهة نظر غربية ، ثم تسير معه الى اعلاء شأن حضارة اليونان والرومان مقدمة لاعلاء حضارة الغرب الحديثة .

فاذا جاء ذكر العرب والمسلمين فهو لا يرد الا فى باب الامم المستضعفة التى سيطر عليها الغرب رغبة فى تمدينها ونقلها من عالم التخلف الى عالم التحرر ومن ثم تبنى فى تفكير الشباب المسلم مسلمات بعيدة عن الحقيقة ، أو تبنى وجهة نظر الغربى نفسه فى النظر الى العرب والمسلمين حيث يجرى تبرير استعماره لارضهم واحتلاله لبلادهم .

فاذا ما اريد اعطاء دور للعرب والمسلمين فانما هو دور تابع او تكميلى ، فالنظرية الغربية تقوم على أن البحر الابيض المتوسط هو صاحب الحضارة قبل الاسلام بألوف السنين ، وأن الاسلام حين جاء انما كان جزءا من هذه الحضارة وذلك من المفاهيم الخاطئة التى يراد بها زعزعة ايمان المسلم والعربى بذاتيته وحضارتــه وتاريخــه .

ومن ثم فان هذه الاجيال المتوالية التى تعلمت فى مدارس الارساليات قد آمنت بوجهة النظر الغربية الاستعمارية هذه على أنها هى الحقيقة العلمية ، بينما اختفت الحقيقة وراء ركام ضخم من النظريات الزائفة

ولا ريب ان كل امة لها تراثها ومنهجها وقيمها : تكون لها فلسفتها التاريخية ونظرتها الى الكون والحياة وتطور الامم ، فلم يتبنى المسلمون والعرب وجهة نظر الغرب التى هى فى اقل الفروض مختلفة تماما عن وجهة نظرهم ان لم تكن متعصبة ومخطئة

وذلك ان الفكر الغربى قد شكل مفهومه التاريخى فى ضوء التفوق الذى احرزه فى القرون الاخيرة وفى ظل

اندفاعته الاستعمارية الى ارض المسلمين للسيطرة على ثرواتهم وخاماتهم واسواقهم .

ومن ثم فانه يحاول ان يبرز موقفه من خلال نظرية تاريخية يفترض منها تخلف هذه الامم ليكون ذلك مبررا لسيطرته ، ثم انه يحاول ان يلقن هـذا المعنى لابناء هذه الامة ليخلق منهم اتباعا يومنون به وينبهـرون لعظمته ويرون رأيه فى ان مستقبل هذه الامة مرتبط بحضارته ومعطياته ، وليس الامر كذلك فى الحقيقة ، فان المسلمين والعرب لهم ماض وحضارة وتاريخ بعيد المدى فى احقاب الخليقة ، وهم الذين قدموا للبشرية هذا الميراث الضخم من المعرفة والعلم والخبرة قبل ان ينشأ الغرب ، من خلال رسالات النبوة التى توالت قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام كانت اوربا تعيش عصورها الوسطى المظلمة التى اخرجها منها المنهج العلمى التجريبى الاسلامى ومعطيات الفكر الاسلامى التى حررت الغرب من الوثنية والعبودية والرهبانية ودفعتها الى مجال النهضة .

وما من علم من علوم العصر الا وللمسلمين فيه اثر وعمل واضافة ، وكل هذا مما تغمط حقه دراسات التاريخ التى تقدمها معاهـد الارساليات وجامعاتها . حيث تقدم الصورة من نحو آخر ، كانما الغرب هو وحده العالم وان تاريخه هو تاريخ العالم . ولقد ظلت مناهج الغرب تتنكر لفضل الاسلام واثر حضارته وقتا طويلا وما يزال الاستعماريون ينكرون هذا الفضل ويغمطون هـذا الحـق .

ولقد شكل التاريخ الاسلامى صفحات مشرقه من البطولة والنضال والكفاح ومقاومة الغاصب والمحتل والدخيل على مدى العصور ، وهذه الصفحة كلها مما تحجبه الدراسات العصرية الجامعية او تحاول التشكك فيها واثارة الشبهات حولها ، بل ان بعـض رجال الارساليات يهاجم بشدة ان يتخذ التاريخ وسيلة للنهضة او منطلقا الى بناء الامة ، ولقد كان تاريخ الامم ولا يزال عاملا هاما فى اثارة النفوس ابان الازمات ووسيلة هامة للتربية ، ولقد جـددت الامم الغربية اجيالها وشبابها بواسطة احياء التاريخ واعادة الكشف عـن صفحاته الباهرات ، فكيف ينكر على المسلمين والعرب وحدهم ان يتخذوا هـذا الاسـلوب مـن اساليـب النهـوض والبنـاء .

نحن نعلم ان الغربيين اتخذوا على تاريخهم ، كل على حدة ، ما يرفع شان الناشئة ويبعث فى قلوبهم الحماسة وفى نفوسهم الايمان بوطنهم وابطالهم وقيمهم وجعلوا هذا أمرا منفصلا عن دراسات التاريخ الخاصة بتقييم الاحداث ، فماذا يمنع المسلمين والعرب مـن ان يفعلوا ذلك ؟ ولماذا يقدم التاريخ الاسلامى على صورة الصراع بين الخلفاء والامـراء والقادة ، وعلى صورة التضارب بين الفرق والاحزاب ، ولماذا الاصرار على ابراز هذه الزوايا وتجاهل عمل النهضة والتقدم ومعطيات الحضارة والتمدن ، ولماذا يتخذ هذا الاسلوب بالنسبة لتاريخ الاسلام وحده ولا يتخذ فى تاريخ مـا قبل الاسلام ، وحينما تقرأ ، دائرة المعارف الاسلامية، بروكلمان ، المنجد ، جرجى زيدان ، فيليب حتى ، تجد هذه الشبهات وهذا الانتقاص ، وتشويه صور الحضارة الاسلامية وتجميع الافتراءات والاتهامات على الاسلام ونبى الاسلام ، ومن هذه المصادر يأخذ مدرسو التاريخ وعليها يعتمد اساتذة الجامعات ، وخاصة وان عدد كبيرا من غير المسلمين يتولى الآن تدريس التاريـخ الاسلامى على انه تاريخ عربى ، بينما لا يوجد فاصل يفصل بين تاريخ العرب وتاريخ الاسلام منـذ نـزل الاسلام الى اليوم .

ولا ريب ان كثيرا من الباحثين قد تنبه الى ذلك واشار اليه ، فالاستاذ يوسف العش يقول فى مقدمة كتابه عن الدولة الاموية :

«لقد حاول الكثيرون ان يصموا تاريخنا بكثـرة الفتن والحروب والمكايد والاضطرابات وليس هناك مجال للرد عليهم ، غير ان النظرة الصحيحه الى التاريخ من خلال عوامله العديدة تعطى البيان الواضح عن ان هذه الوصمات لا اصل لها صحيح وان كل ما فى الامر ان هناك تفاعلات فى المجتمع الاسلامى العربى تأخذ طريقها ولابد ان تأخذ طريقها الى ذلك المجتمع ، وان هذه التفاعلات سنة من سنن الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وهى تفاعلات تحدث فى كل امة ، بل ان الامم الاخرى كانت تتلقاها بعنف اكبر مما تلقاها به المسلمون والعرب ، وتاريخ الامم دائما ممزوج بالحروب والفتن والاضطرابات اكثر من التاريخ العـربى» .

واذا قارنا بين تاريخ الاسلام والعرب وتاريخ الامم الاخرى لوجدنا فروق عميقة ، فالتاريخ الاسلامـى تاريخ كرامة وايمان وسماحة وبطولة ، ولكنه بعيد عن

العدوان والدماء والمقاصل ومحاكم التفتيش واساليب القتل الجماعي الذي تحفل بها تواريخ الامم ، ومن هنا فانه جدير بأن يدرس على انه نموذج لامة كريمة ، واهله احق بأن يعرفوه على حقيقته ، وان يدرسوا انتصاراته وهزائمه على السواء ، فالانتصارات هي الضوء الكاشف للمسلمين والعرب الى مواجهة المواقف المتجددة ، والهزائم تدلهم على اوجه القصور والتقصي سواء في السلاح او في الوحدة او الايمان مما يدعوهم الى ان ينتفعوا بها في حاضرهم ومستقبلهم .

وليس صحيحا كل ما يثار حول التاريخ الاسلامي من ان المسلمين يرغبون في الرجوع اليه ، وما من عاقل يصدق ان التاريخ يرجع القهقرى ، واكثر الناس فهما لتطور الزمن وتغيير البيئات والظروف هم المسلمون الذين تعلموا كيف يقيمون ترابطا صادقا بين الثوابت والمتغيرات وبين الماضي والحاضر ، وبين التاريخ والواقع ، هذا فضلا عن انهم يفرقون تماما بين النظام الاسلامي والتاريخ الاسلامي ، فالنظام الاسلامي هو القانون الثابت ، أما التاريخ فهو تجربة التطبيق والممارسة ، وفيها الخطأ والصواب وليس خطأ التاريخ في الممارسة راجع الى النظام ولا يتحمل النظام عجزه وقصوره ، وانما يتحمل المسلمون اخطاء انحرافهم وعجزهم عن مواءمة انفسهم مع المنهج الاصيل الحق .

كذلك فنحن يحق لنا ان نذكر ان محاولات تزييف تاريخنا لم يتوقف ، وان محاولات تفسيره تفسيرا ماديا او اقتصاديا او استعماريا لم يتغير ، وان هناك محاولات للتشويه وللتجزئة وللاهمال وللتجهيل ، ترمي الى عرض مقاطع مختارة لتصور على غير حقيقتها ، او تمزيق اوصالها ، واهمال كل ما هو مدعاة للفخر والاعتزاز .

كذلك فقد جرت المحاولات لاحياء جوانب غامضة من التاريخ واعطائها طابعا يوصف بالثورة او التقدمية وفي مقدمة ذلك الاهتمام بالذين انقضوا على الدولة الاسلامية من الخونة الذين تعاملوا مع الاعداء كالقرامطة والزنج وغيرهم وتصويرهم في صورة حركات تقدمية .

وكان مما قرره مؤتمر بلتيمور الصهيوني في امريكا : تنظيم ومضاعفة عمليات التزييف في تاريخ العرب وملء العالم بالمطبوعات والرسائل الدعائية التي تحتضن وجهات النظر الصهيونية .

كذلك هناك المحاولات المتعددة لانكار فضل العرب والمسلمين على النهضة الحديثة وانكار اثر المسلمين في الحضارة الحديثة والدور الذي قاموا به في الاندلس وصقلية .

وبعد ، فاننا نؤمن بأن تاريخ الاسلام لا يحاكم الى اي منهج من المناهج الغربية وانما له منهجه الاصيل المستمد من كيانه واصوله ، وهو تاريخ يتسم بالتوحيد والطابع الانساني ولذلك فهو يتعارض مع مناهج التفسير التاريخي التي تقوم على المادة او العنصرية او الوثنية وسوف يظل التاريخ الاسلامي ضوءا كاشفا لمسيرتنا ، وليس عبئا علينا ، وسوف ننتفع ببطولاته وانتصاراته في طريق حياتنا ، كما سوف نبحث هزائمنا ونلمس منها العبرة حتى لا نقع فيها بعد

القاهرة : **انور الجندي**

الإسلام ضرورة حضارية

للأستاذ
فاروق حمادة

1 — مما لا شك فيه ان الحضارة المعاصرة قد قفزت بالانسان المعاصر الى مرابع كانت من قبيل الاحلام التى راودت البشر من اقدم العصور ، وقدمت له من الانجازات العلمية الهائلة التى اذهلت هذا الانسان ذاته .

فقد اختصرت له المسافة الزمانية والمكانية ، وصغرت امامه ما كان كبيرا ويتهيبه ، وكبرت ما كان يراه صغيرا ويحتقره ، واختصار الزمان والمكان ليس بالامر السهل ولا البسيط خصوصا اذا عمم فى مجال الممارسة اليومية .

فاول صورة فوتوغرافية التقطها الانسان مثلا عام 1826 استغرقت ثمانى ساعات من الزمن ، والآن تستطيع آلات التصوير ان تلتقط اكثر من الفى صورة فى الثانية الواحدة ، ففى نفس الزمن الذى اخذت به اول صورة يمكننا ان نلتقط اكثر من ستين مليون صورة، اى سرعتنا زادت ستين مليون مرة !! وقس عليها سائر امور الحضارة .

وكان المأمول أن يقترب الانسان بهذا الاختصار الى واحة السعادة وافياء الاطمئنان ، ولكن الواقع اثبت غير ذلك ، فكل هذه الاشياء التى كرست ، وهذه القوى التى فجرت طاقاتها لم تدخل على البشرية نفحة السكينة ولا نسمات الدعة والاستقرار ، واصبح حاله كما قال الله تبارك وتعالى : « ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث » .

ولست الاول ولا الاخير الذى يقول : ان الحضارة او البشرية بتعبير ادق تقف اليوم على شفا جرف هار ، فلقد قال هذا كثيرون غربيون وشرقيون ، مسلمون وملحدون ، والامر فى هذا لا يقتصر على حملة الاقلام والمتخصصين فى الميادين العلمية — بل شاركهم فيه دهاة السياسة ، واصحاب المراكز الرسمية ، واذا كان الدكتور الكيسن كاريل يقول عن هذه الحضارة :

ان الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لانها لا تلائمنا ، فقد انشئت دون معرفة بطبيعتنا الحقيقية اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس واوهامهم ، ونظرياتهم ورغباتهم ، وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا ،(الانسان ذلك المجهول ص 30) اذا كان رجل العلم هذا دون شهادته هذه ، فاننا نجد مضمونها عند الرئيس الامريكى ولسون فى مقال كتبه قبل وفاته باسابيع ، وختمه بقوله : ان اختصار المسالة باسرها هو ما يلى : ان حضارتنا لا تستطيع الاستمرار فى البقاء من الناحية المادية الا اذا استردت روحانيتها .

ونجد مضمون هذه الشهادة عند الشيوعيين والملحدين ، واقوال الكاتب السوفييتى سولنجستين فى هذا الصدد تناقلتها وسائل الاعلام العالمى من اقصاه الى اقصاه ، وفى كتابه — ارخبيل كولاك — الشىء الكثير من هذا ، وناهيك باقوال العسكريين وعلماء الدين والاجتماع .

كل هذا يؤكد لنا ما نبه اليه هؤلاء على اختلاف لغاتهم واوطانهم واتجاهاتهم من ان اتجاه الحضارة نحو الجحيم ، فالمشاكل الاقتصادية تتزايد يوما بعد يوم ، والمشاكل الاجتماعية قد ازمنت واستعصت على الحل ، والاخلاق لا ترضى فى وضعها هذا احدا ، حتى ان القوانين التى وجدت لتفصل فى الخصومات بين الناس، اصبحت بحاجة الى من يفصل فى قضاياها !! وهذه

المشاكل المستعصية نرى ان حلها دائما يتناول بطريقة جزئية ، وبجور وحيف من احد اطراف المشكلة على بقية شركائه فيها ، فلو اخذنا مثلا مشكلة التضخم لوجدنا ان الحلول التى اقترحت لحلها حتى الآن لم يتفق على واحد منها لهذا السبب ذاته .

المنقذ : ان المنقذ الوحيد لهذه الحضارة هو الاسلام والاسلام فحسب !! لماذا ؟

اما على مستوى الاديان ، فالساحة البشرية تعرف الدين اليهودى ، والنصرانى ، والزاردشتى على قول ! ثم الاسلام .

واليهودية ــ كما هو معلوم ــ دين مغلق ، لا يبشر به أهله ولا يدعون احدا الى اعتناقه ، ربما لان باب الاصطفاء الالهى ــ بزعمهم ــ قد اغلق ، وامتلات رحابه !! ثم ان التشريع الموسوى فى اصله تشريع جزئى وقاس ، وجزئيته هذه تجعله لا يحيط بالمشاكل الانسانية ، ولا يلبى الحاجة البشرية المتزايدة وهو فى وضعه الراهن ومنذ قرون قد ضاع مصدره الاصيل ، وتعرض لتحريفات متوالية ، جعلت جانبا منه الغازا ومعميات ، وجانبا آخر أساطير لا تدخل العقل البدائى بله عقل انسان الحضارة !

اما النصرانية فهى على الطرف الآخر المقابل لليهودية اخذت جزءا بسيطا من الساحة البشرية وتعلقت به فاقتصرت على الروحانيات ، والتهذيب النفسى ، ولهذا تعتمد النصرانية على التشريع الموسوى فى المعاملات والنصارى يقسمون كتابهم الى قسمين : اسفار العهد القديم ، واسفار العهد الجديد ، كما ان المسيحية لم تعرف التطبيق العملى على مستوى الامة فى واقع الحياة يوما واحدا ، ولم تنتشر النصرانية، بل ترومت كما قيل ، وغلفت الاطار الوثنى للحضارة الرومانية بطلاء رقيق !!

ثم ان الوصاية الكنسية واسلوب الكهانة هو الذى سبب انحراف الحضارة المعاصرة عن الدين ، وجعلها تفر من حظيرة الايمان ، وقام بين المجتمع والكنيسة ذلك الصراع المرير الذى دام مئات السنين . اما الزرادشتية ، فعلى التسليم بانها دين سماوى ، فقد بقيت معزولة فى مجتمع الشرق الادنى ، ولم تتكامل مقومات الدين لها .

أفلا يكون هذا الانقاذ عن طريق فلسفة حية قوية، تتكلم بلغة العصر ، وتدرك الواقع الحاضر ؟ !! لا ، لن يكون الانقاذ عن طريق فلسفة مهما كان نوعها ، ومهما كانت قوتها وحيويتها وذلك للاسباب التالية :

اولا : الفلسفة منهج لمعرفة الوجود ، وليست منهجا تجعل الانسان يشعر الوجود ، فغايتها المعرفة ليس اكثر من ذلك بخلاف الدين فغايته الايمان .

ثانيا : الفلسفة هى نتاج بيئة معينة وزمان معين، فقد تصلح اليوم ، ويأتى الغد حاملا فى طياته ما يفسدها ويفسد اصلاحاتها نظرا لتغير البيئة او غيرها .

ثالثا : لا ننسى ان الفلسفة عمل انسانى ، يتحكم فيه كل ما يتحكم فى الطبيعة الانسانية من تقلب وبطء .

رابعا : القصور البشرى عن الاحاطة والشمول للماضى والحاضر والمستقبل ، هذه الاحاطة وهذا الشمول اللذان يجعلان من الانسانية وحدة متكاملة تسير فى اتجاه واحد .

خامسا : الفلسفة ليست الا معاناة شخصية ، وتجربة فى غالب الاحيان ، فردية .

على أن العلم الحديث قد ضرب الفلسفة ضربة قصمت ظهرها ، وذلك لان الفلسفة حتى العصور الحديثة كانت توجه اهتماماتها الى ما وراء الطبيعة ، وتبقى مسائل الطبيعة والواقع على هامش ابحاثها ، وقد تبخرت اوهام الفلسفة والفلاسفة فيما يتعلق بما وراء الطبيعة تحت شعاع الاكتشافات الحديثة والتقدم العلمى ، وبانتشار الفكر المادى لم يعد لها مجال فى ميدانهم ، فاضطرت الفلسفة أن تنمى ذلك الجزء الذى كانت تعده هامشيا ، وسارت فى اتجاه جديد هو اتجاه تأطير العلوم وفلسفتها .

ولا يخفى أن الفلاسفة منذ اقدم العصور كانوا فى كل مسالة متنازعين مختلفين مذاهب قددا ، وما زال هذا شأنهم ولم نجد ان فلسفة واحدة استطاعت ان تسيطر بفكرة على مجتمع واحد ، فكيف بمجتمعات عديدة ؟ ! وبأى الآراء الفلسفية المتكاثرة نأخذ ، ونزعة الانانية التى تنبثق من « الشخصانية » والاقليمية ومفاهيم الوطنية تغذى هذه الآراء ؟ ! ان هذا عائق كبير كذلك .

واذا اجلنا النظر فى عالم الواقع وجدنا ان اكثر الفلسفات المعاصرة اتباعا واشياعا هى الماركسية فهل استطاعت الماركسية ان تحل مشاكل البشرية ؟ !

انها قد عجزت عن حل المشكلات التى حملتها معهـا الى الوجود ، فأنى لها بمداواة آلام الآخرين ، وتضميد جراح المكروبين ؟ ! وفى مقال سابـق لنا بعنـوان : « شيخوخة الفكر الماركسى » بينا سخف هذه الفلسفة وفشلها الذريع فى مجال التطبيق .

ولقد ساد المذهب النفعى الذى بشر به (بنتام) الانجليزى ، واشياعه ردحا من الوقت ، فهـل حـل المعضلات ؟ هل استطاعت ان توقف (الوجوديـة) طوفان الآفات وسيلها الزاحف ؟ ؟ انها جميعا قـد ساهمت بشكل او بآخر فى تشكيل « السراب الفكرى » امام البشرى فحجبتها به عن معين الماء وسلسبيله .

اذن الاسلام هو طريق النجاة الوحيد ، لان الاسلام مبدأ الهى وتشريع سماوى فهو :

1 ــ منهج لمعرفة الوجود ، وسبيل لادراكـه حقائقه ، يجمع غاية الفلسفة مع غاية الدين ، المعرفة، ثم الايمان « فاعلم انه لا اله الا الله » .

2 ــ يشمل الزمان والمكان ، وينفذ الى دخائل الانسان ، لانه من وضع خالق هذه الاشياء .

3 ــ لا يتأثر بالزمان ولا بالمكان ، لانه ليس نتيجة المعاناة والتجربة .

4 ــ يقوم على العدل والمساواة المطلقين بدءا ونهـايـة .

وبهذه الخصائص المتميزة يستطيع الاسلام ان ينقـذ الحضارة المعـاصرة مـن اعتى ورطة عرفتها البشرية فى تاريخها .

انه وحده الكفيل **بحل المشاكل الاقتصادية** التى تعقدت ، وهى تسير فى اتجاهين اثنين :

الاول : هيمنة القلة الراسمالية عن مقـدرات الامم والشعوب ، وثانيهما : رد الفعل المتزايد والدعوة الى المساواة التامة التى تتخذها الماركسيـة سبيـلا للسيطرة على العالم الثالث .

اما الاتجاه الاول : فهو حيف وظلم حاربه الاسلام اشد المحاربة جملة وتفصيلا ، حاربه فى لون الاستعمار العسكرى حين يستولى ــ عنوة ــ صقع على صقع ، ويرغم اهله ، وحاربه فى لون الربا الذى يستتبع ذلك النظام ، وهذه الجزئية هى حجر الزاويـة فى البنـاء الراسمالى ، ولم يحل الاستعمار العسكرى فى بلد الا وسارع الى فتح « البنوك » والمؤسسات الربويـة ، كما ان المعاملات الدولية اليوم اصبحت تقوم عليه ، فتذهب من جراء ذلك اقوات الشعـوب الى جيوب المرابين الكبار .

والاسـلام وحده هو الذى حرر الانسان من شراك الربا ــ فابى اكثر الناس الا كفورا !! ــ حين قال الله تعالى فى محكم تنزيله « واحل الله البيع وحرم الربا » سورة البقرة 275 . « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » البقرة 278 ــ 279 .

والاسلام وحده الذى اقام التعامل على اساس الاخوة الانسانية وبميزان العـدل والقسـط « ويـل للمطففين ، الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ، الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم ؟ ! » .

وقد حدد طرق تحصيل المال والثروة بوسائـل مشروعة بعيدة عن الاعتداء والبغضاء ، وفتح الآفـاق النظيفة لتنمية الثروة والمحافظة عليها ، ورتب عليهـا الحقوق المعقولة المقبولة حتى انه لم ينس حق الجوار وحق الضيافة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفـه ، والضيافة ثلاثة ايام ، فما كان بعد ذلك فهو صدقـة، ولا يحل له ان يثوى حتى يحرجه » الشيخان وغيرهما .

اما الاتجاه الثانى ، مسار المساواة التامة ، وهو حلم ذوى المدارك الهزيلة التقبل !!

فالمساواة التامة فى كـل شىء لا تتحقـق الا فى العصور البدائية الهمجية ، ولن تكون الا فى عصور الانحطاط فان الاسلام قد قوم هـذا المسار ووجهـه الوجهة الصحيحة الفطرية ، فقد اهتم بالطبقات الفقيرة ايما اهتمام ، لكنه ليس اهتمام المحافظة على فقرها وبؤسها ، بل اهتمام الاخذ بيدها الى المستوى الرفيع والمرتبة العالية ، رتب لها فى اموال الاغنياء والدولة حقوقا ، ولكنها حقوق لا تدفع الى التراخى والكسل ، وفرض العمل عليها وحثها عليه ، وجعله سبيل التفاوت الدنيوى والاخروى « ولكل درجات مما عملوا ، وليوفينهم اعمالهم وهم لا يظلمون » سورة الاحقاف الآية 19 ، « وان ليس للانسان الا ما سعى » سورة النجم الآية 39 ، واموال الاغنياء كذلك مصونة اذا ادى منها حق الله وحق الامة .

الاسلام وحده الكفيل بحل **المعضلات الاجتماعية** ، وقد اصبحت من الخطورة بحيثانها لا تقل خطورة عنمهاجمة دولة لاخرى ، فمشاكل الاسرة ، الزواج والطلاق ، وما يترتب عليها من مآسى الى اخرى انتجتها الحضارة المعاصرة هى مشكلة الاولاد غير الشرعيين ، الذين ترتفع نسبتهم بشكل مذهل ففى نشرة احصائية للامم المتحدة عام 1959 ان نسبة الاطفال غير الشرعيين قد ارتفعت الى ستين بالمائة ، ففى (بناما) على سبيل المثال قد تجاوزت خمسا وسبعين بالمائة فكل اربعة اطفال بينهم طفل واحد شرعى والثلاثة الآخرون غير شرعيين (عن الاسلام يتحدى ص 256) ونتج عن ذلك (جرائم الاطفال) التى اصبحت جزءا من المجتمع الحديث ، ولم يعرفها الانسان فى تاريخه كله ، وهاتان الظاهرتان الخطيرتان لم تبرزان حتى الآن بشكل كبير فى البلاد الاسلامية ، لما للاسلام من آثار باقية فى السلوك الفردى والاجتماعى ، ومشاكل المرأة ، والسطو والاغتيال .. لن تجد لها حلا الا فى الاسلام .

وان التفات كثير من دول الحضارة الى الاقتباس من التشريع الاسلامى فى الميادين الاجتماعية ليؤكد لنا عظم الحاجة اليه .

الاسلام وحده هو الكفيل بحل مشكلة **العلاقات الدولية** ، والسلم والحرب الدولى ، والسباق الرهيب فى ميادين التسلح ، وان قانون العلاقات الدولية ماضيه وحاضره ، باستثناء التشريع الاسلامى فى هذا الميدان قانون قائم على القوة والغلب ، رغم دعاوى السلام المنشود ، والذىتطلبه التكتلات المعاصرة بدورها ولما تصل اليه بعد .

فالسلام مبدأ اسلامى اصيل ، ومثل اعلى نبيل ، دعى اليه القرآن الكريم « الله يدعو الى دار السلام » سورة يونس الآية 25 « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » سورة الانفال 61 ، وطبقه الرسول الكريم فى صلح الحديبية وغيره ، وسار على هديه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون فى غير ما مرة . ولكنه السلام القائم على العدل الذى تحترم فيه العهود والمواثيق ، وتوفى الذمم ، وتؤدى الامانات الى اهلها « واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » سورة الاسراء الآية 34 ، « يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » المائدة 1 .

ولا تكون الحرب فى الاسلام الا لضرورة من دفاع عن النفس او دفاع عن مظلومين ، او تحقيق لحرية الدين والكلمة ، كما قال تعالى فى محكم تنزيله « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » البقرة 190 ، ويقول تعالى : « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » النساء الآية 75 ، « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله » الانفال 39 ، وهذه الضرورة ان حدثت فيمنع فيها العدوان والانتقام ، « ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » سورة المائدة الآية 2 ، وليس فيها تخريب او دمار « ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها » ولا يقتل الا من اشترك فى القتال ولا يجوز قتل النساء ، والاطفال والشيوخ ، والعباد ، ولا يجوز الاجهاز على الجريح ، وتتبع الفار انه تشريع عادل متكامل فى هذا الميدان ، شتان بينه وبين القوة الطاغية بمدمراتها النووية واساطيلها البحرية ، وهى تجوب القفار والبحار تبحث عن فريسة لاقتناصها .

ان هذه المشكلات العالمية الراهنة لن تجد لها حلا الا فى هذا الدين الالهى الذى ارتضاه الله للبشرية، « اليوم اكملت لكم دينكم ، واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

● حاجة فردية : انها حاجة يحتاجها كل انسان بمفرده ، فلا يكفى تحققها فى افراد دون افراد بل هى قاسم مشترك بين جميع ابناء الجنس البشرى ، تلكم هى العقيدة الدينية ، يقول معجم لاروس للقرن العشرين : ان الغريزة الدينية مشتركة بين كل الاجناس البشرية ، حتى اشدها همجية واقربها الى الحياة الحيوانية ، وان الاهتمام بالمعنى الالهى ، وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية. (تحت مادة الدين)

العقيدة الدينية هى هذه الحاجة الفردية وتبرز ضرورتها وعدم الاستغناء عنها فى عدة مجالات :

1 — تحقيق الانسانية الكاملة ، بالتوفيق بين المادة والروح ، لان التطرف الى احد الجانبين لا يخدم مصلحة الانسان ، بل يقلقه ويضيق عليه سبل الحياة الفسيحة ، فالميل الى جانب الروح وجعلها كل شىء

بتركيز الاهتمامات نحوها فقط — كما فعلت المسيحية والمذاهب الهندوكية ، انما هو دعوة الى انقراض الجنس البشرى ، وتهديم الحضارة الانسانية ، والاسلام وقف من التطرف الى جانب الروح موقفا شديدا وحازما فالله تبارك وتعالى نص على اولئك الذين يعرضون عن مباهج الدنيا ، ويحرمون على انفسهم زينتها ، وينسبون ذلك للدين ، قال الله تعالى : « قل : من حرم زينة الله التى اخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ؟ ! قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا .. » الاعراف 32 ، وقوله تعالى : « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » الحديد 27 .

ولما بلغه عليه الصلاة والسلام خبر عبد الله بن عمرو انه يقوم الليل ويصوم النهار ، استدعاه وقال له : (يا عبد الله ان لاهلك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، فأعط لكل ذى حق حقه) . وخبر الثلاثة النفر الذين جاءوا الى حجرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : اين نحن من رسول الله وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال احدهم ، اما انا فأصوم ولا افطر وقال الآخر : اما انا فأقوم ولا ارقد ، وقال الآخر : اما انا فلا اتزوج النساء ، فلما سمع عليه الصلاة والسلام ذلك قال : اما انا فأصوم وافطر ، واصلى وارقد ، واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ، وهو فى صحيح البخارى وغيره .

والتطرف الى جانب الروح ارهاق شديد ، ومرارة قاسية لم تطلب من الانسان ، ولا تحقق له الدخول الى ملكوت السموات !! ونخشى ان تكون هى عاقبة الحضارة هذه نظرا لرد الفعل ضد المادية المعاصرة .

والتطرف الى جانب المادة جور عظيم كذلك ، وجناية كبيرة ، وهي اعظم جناية ارتكبتها الحضارة المعاصرة ضد الانسان ، حين الغت جانب الروح نهائيا واعتقدت ان الانسان مجرد لحم وعظم ، ودم وعصب ، فأصبح الانسان تحت تأثير هذه المذاهب المادية ، كمن يعب ماء البحر ليرتوى !! حتى اوشكت ان تنفجر امعاؤه ، فاختل نتيجة ذلك سائر اعضاء جسمه ، فهذا هو حال الانسان المعاصر الذى سلخ من الايمان ، وان هذه المادية الرعناء انزال للانسان من برج انسانيته الى مستوى الحيوان الاعجم الذى يتصرف بدافع الغريزة فقط ، بعيدا عن هدى الروح ، ويقظة الضمير .

ولهذا كان الدخول الى رحاب الاسلام لا يتم الا بالاعتقاد بعالم الروح التى استوى بها خلق الانسان عند ما نفخ فيه ربه تعالى من روحه « فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » سورة الحجر الآية 29 ، وسورة ص الآية 72 ، وان آخر آفة اخرجها القضاء على عنصر الروح فى الانسان ، والاغراق فى المادية ، هى سلسلة الامراض العصبية والنفسية الفتاكة ، وقد اكدت احصائية أن ثمانين بالمائة من مرضى المدن الامريكية الكبرى يعانون أمراضا ناتجة عن الاعصاب من ناحية أو أخرى ، يقول عالم النفس البروفيسور (يانج) : طلب منى اناس كثيرون فى جميع الدول المتحضرة مشورة لامراضهم النفسية فى السنوات الثلاثين الاخيرة ، ولم تكن مشكلة احد من هؤلاء المرضى الذين جاوزوا النصف الاول من حياتهم وهو ما بين 35 سنة الا الحرمان من العقيدة الدينية ، ويمكن ان يقال : ان مرضهم لم يكن الا انهم فقدوا الشيء الذى تعطيه الاديان الحاضرة للمؤمنين بها فى كل عصر . (عن الاسلام يتحدى ص 281) .

ووقفة الاسلام امام الذين قالوا : « ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » لا تحتاج الى بسط وايضاح هنا لانها معروفة معلومة .

وعظمة الاسلام فى هذا الجانب أنه اقام العلاقة المتوازنة بين هذين الطرفين المتآلفين ، طرف المادة وطرف الروح .

وتحقيق هذه الانسانية الكاملة تمكننا من الاستفادة الكاملة من انجازات الحضارة ومنتجاتها العلمية وتسخيرها لاغراض الخير والسعادة .

2 — المنهج الواضح الذى يحدد العلاقة بين الانسان وربه من جهة ، وبينه وبين ابناء جنسه من جهة أخرى ، وبينه وبين الكون والحياة من بعد ثالث ، ووضوح هذا المنهج أمام الانسان يعطيه التقييم الصحيح لنفسه وللوجود .

فعلاقته بربه علاقة مباشرة ، ودون وساطة او شفاعة ، علاقة عبودية وخضوع — يتساوى فى هذا البشر كلهم بما فيهم الانبياء — هذه العبودية ملؤها الحب والتعظيم للخالق الرازق ، القوى العليم علاقة ترفع الانسان الى ارفع درجات التكريم والاحترام .

بقوله تعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » الاسراء الآية 70 ، وباجتبائه سبحانه وتعالى « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج » الحج الآية 78 وعلاقته مع أبناء جنسه علاقة تعاون ومحبة ، واخوة ووئام « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » والتفاضل يكون على اساس القيم لا على اساس الثروة والجنس والجاه « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

واما علاقته بالكون ، فالانسان سيد الوجود ، والله تبارك وتعالى سخر له هذا الكون ليكتشف نواميسه ويخضعه لارادته ، ويستفيد من خيراته ، انها « علاقة تسخيرية » وليست علاقة صراع ، « الم تر ان الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض » سورة لقمان الآية 20 « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بامره » الجاثية الآية 12 ، « وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض جميعا منه » الجاثية الآية 13 ، « وهو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » سورة الملك 15 وان تحديد هذه العلائق فى جهاتها الثلاث لهو اكبر عاصم للانسان من تعدى طوره ، وتجاوزه حدود قدره .

3 — التصور الصحيح لبداية الكون ونهايته ، وصفات خالقه ومعبوده ، والبحث عن هذا التصور رافق مسيرة الانسانية وسيستمر ، وهذه المسالة تخبطت فيها العقول والافهام ، فالدين يقدم لنا التصور الصحيح عن ذلك ، وينفى اهم اسباب الحيرة والقلق التى عبر عنها ذلك الشاعر الحائر بقوله :

جئت لا اعلم من اين ولكنى اتيت

ولقد ابصرت قدامى طريقا فمشيت ..

والدين الاسلامى يقدم لنا الجواب الصحيح عن الكثير من الغاز هذا الوجود ، بله العالم الآخر ، وحل هذه الالغاز يتوقف عليها الكثير من التوازن البشرى واستوائه .

وان هذا التصور الصحيح هو الذى يجعل الانسان يشعر بالقرب من الله ، ويجعله مراقبا له فى كل حركة وسكنة ، ويفتح أمامه نافذة الامل والعمل ، وينفخ فيه روح الثبات والاطمئنان .

وهذه الامور الثلاثة — الانسانية الكاملة — والمنهج الواضح ، والتصور الصحيح لا تجتمع الا للدين الاسلامى ، فالاديان الاخرى قد يوجد فيها شذرات من هذه ولكنها ملفوفة بسحب الخرافة والاوهام ، اما المذاهب الفلسفية على اختلافها ، فهى قاصرة عن هذا تصورا كبيرا .

وان هذه الحاجة الفردية ملحة فى اعماق كل انسان ، ما اجمل ما قاله كريسى موريسون فى كتابه (الانسان لا يقوم وحده) : لسوف تقضى الحضارة بدون العقيدة والدين ، سوف يتحول النظام الى فوضى وسوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتماسك ، سوف ينتشر الشر فى كل مكان انها لحاجة ملحة ان نقوى من صلتنا وعلاقتنا بالله .

وصدق الله العظيم اذ يقول فى كتابه الحكيم : « ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة اعمى ، قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال : كذلك اتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » .

فاروق حمادة — الرباط

بحث في

القراءات التي تحدث عنها الزمخشري

في تفسيره الكشاف (1)

للأستاذ: محمد بن عبد العزيز الدباغ

26 ــ « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل ، وأتوا به متشابها ، ولهم فيها ازواج مطهرة ، وهم فيها خالدون . »

فى هذه الآية امر بالتبشير وهو موجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى كل مخاطب يذيع هذه الحقيقة وينشرها .

وقد حاول الزمخشرى أن يظهر الربط بين هذا الامر وبين ما قبله فى الكلام فذكر ان الغاية من هذه الآية شفع البشارة بالانذار وعطف الجملة التى تصف المؤمنين على الجملة التى تصف عقاب الكافرين ولهذا لم يكن من اللازم ان تكون مسبوقة بأمر او بنهى واتى بالمثال الآتى تثبيتا لرايه وتأييدا لتوجيهه وهو قوله : زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ثم قال ويمكن ان يكون سياق الكلام طبيعيا وفيه عطف امر على امر وحينئذ يكون معطوفا على قوله تعالى فاتقوا كما تقول يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى اسد باحسانى اليهم .

وكلا التاويلين مرتبطان بصورة هذه القراءة المشهورة وهناك قراءة لزيد بن على رضى الله عنه لم تجعل هذه الجملة طلبية ولكنها جعلتها اخبارية فقد قراها بجعل الفعل ماضيا مبنيا للمفعول معطوفا على اعدت والبشارة حينئذ تكون مرتبطة بالاخبار الواردة فى حق المؤمنين الصالحين المبشرة لهم بالجنة فى شتى المناسبات .

ومما يثير الانتباه اللغوى فى هذه الآية قوله تعالى ولهم فيها ازواج مطهرة فقد وردت فى الآية المتداولة من غير تطابق بين الصفة والموصوف ووردت على قراءة زيد بن على بالمطابقة فقد قراها ولهم فيها ازواج مطهرات .

وبناء على ورودها مفردة قال الزمخشرى : فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما فى الموصوف قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهى فاعلة ومنه بيت الحماسة :

واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت (2)

وعليه فان المطابقة حسب ما قرره الزمخشرى يظهر انها غير لازمة مع جمع التكسير اذا كان للمؤنث العاقل مثله فى ذلك مثل الجمع اذا كان لغير العاقل وهذا امر لم تنبه اليه كثير من الكتب التعليمية فهى لا تتحدث عن جواز المطابقة وعدمها الا مع الجموع غير العاقلة.

وهذه القاعدة تتعلق بالمبتدا والخبر والصفة والموصوف والحال وصاحبه اما علاقة الفاعل بفعله فهى اكثر تجاوزا خصوصا عند الكوفيين الذين يقولون بجواز اتصال الفعل بالتاء مع الفاعل اذا كان جمعا ولا يفرقون بين جمع التكسير والجمع السالم .

---

(1) جرت عادة المفسرين انهم لا يتحدثون عن القراءات العشرية فقط بل يضيفون اليها القراءات الشاذة وعلى نسقهم قدمنا هذا البحث

(2) الكشاف للزمخشرى الجزء الاول من الطبعة الاولى صفحة 44 .

ولقد استثنى ابو على الفارسى جمع المذكر السالم من هذه القاعدة وعلى رايه قال ابن مالك .

والتاء مع جمع سوى السالم من
مذكر كالتاء مع احدى اللبن

اى لا فرق فى ذلك بين العاقل وغيره كما هو الحال فى البيتين الآتيين :

قال الشاعر (3) :

اذا الرجال ولدت اولادها
واضطربت من كبر اعضادها
وجعلت اوصابها تعتادها
فهى زروع قد دنا حصادها

27) ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ... .

لقد استعمل القرآن جميع الوسائل البيانية لاقرار معانيه ولاظهار مزية الاسلام وسخافة المعارضين له وقد ضرب الامثال للناس ليبين تفاهة المشركين والمعاندين من اهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بدعوى عدم تلاؤم الامثال البسيطة وعظمة الله .

ولا شك ان هذه العلة لا يقصد بها ظاهرها وانما الغاية منها الاستخفاف بمحمد والاستهزاء به والسخرية من رسالته والوقوف امام دعوته والحيلولة بينه وبين الانتصار .

ولذلك تعرض الله الى هذه النقطة بالذات ليبين هذه الحقيقة الواضحة المتعلقة بضرب الامثال فالله لا يستحيى ان يضرب المثل بالبعوضة او بالعنكبوت او بما دون ذلك لان الغاية ليست تتعلق بهذه الحشرات وانما تتعلق بالاهداف الناتجة عن استعمالها .

وهذه الحقيقة من البدهيات نظرا لحاجة الانسان الى استغلال المرئيات فى البلوغ الى الحقائق والى الاستفادة من تجاربه ودراساته لاسرار الكون وطبيعة المخلوقات لا فرق بين جليلها وحقيرها ورحم الله الجاحظ الذى يقول : (4) « اوصيك الا تحتقر شيئا ابدا لصغر جثته ولا تستصغر قدره لقلة ثمنه ثم اعلم ان الجبل ليس ادل على الله من الحصاة ولا الفلك المشتمل على عالمنا هذا بادل على الله من بدن الانسان وان صغير ذلك ودقيقه كعظيمه وجليله ولم تفترق الامور فى حقائقها وانما افترق المفكرون فيها ومن اهمل النظر واغفل مواضع الفرق وفصول الحدود فمن قبل ترك النظر ومن قبل قطع النظر ومن قبل النظر من غير وجه النظر ومن قبل الاخلال ببعض المقدمات » .

ولا شك ان موقفهم هذا هو ايضا ناتج عن خلل فى التفكير وقصور فى المقدمات لا ينسجم مع اصول الفكر ولا مع تذوق الايمان .

اذا علمنا ذلك فلنعد الى موضوع القراءات :

اولا — قرا ابن كثير فى رواية شبل يستحى بياء واحدة وهذه اللغة كثيرة الاستعمال ومنها قول الرسول اذا لم تستح فاصنع ما شئت .

ثانيا — وردت بعوضة فى القراءات المشهورة منصوبة ووردت فى قراءة نسبت لرؤبة بن الحجاج مرفوعة .

ولكل قراءة توجيه صالح يؤدى الى معنى يستانس به السامع ويستمتع به المشوق الى معرفة ابعاد كلام الله .

اما النصب فيقتضى ان تكون ما ابهامية وهى التى اذا اقترنت بالنكرة زادتها ابهاما ويكون المراد حينئذ ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا اى مثل كان وباى نوع تركب وتالف ويجوز ان تكون للتاكيد اى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا البتة .

اما على القراءة بالرفع فان ما يجوز ان تكون موصولة صلتها الجملة التى حذف مبتدؤها والتقدير ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا الذى هو بعوضة فما فوقها ولكن الزمخشرى علل الرفع بوجه استحسنه فقال : « ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التى فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيى ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالى بما وهب ما دينار ودیناران ؟ والمعنى ان الله اراد (5) ان يتمثل للانداد

---

(3) الجزء الثالث من كتاب الحيوان للجاحظ طبعة التقدم سنة 1905 صفحة 28 :
(4) نفس المصدر صفحة 92 .
(5) كلمة اراد ساقطة من النسخة المطبوعة التى اشير اليها ولكن سياق الكلام يقتضى وجودها .

وحقارة شأنها بما لا شيء أصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذى لا يتجزأ او بما لا يدركه لتناهيه فى صغره الا هو وحده بلطفه أو المعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء فى العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القــراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب فى هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته » .

وفى هــذا التوجيه تحليل عميق لبعض المعانــي الخفية من كتاب الله وقد ابان عن القدرة على تلوين المعانى واستخراج اللطائف بحيث جعل هذه الحشرات التى استخف بها هؤلاء المعارضون أسمى منهم قدراً رغم حقارتها لانهم لم يستخدموا عقولهم استخداما يجعلهم فى مستوى المسؤولية البشرية .

28) فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم، واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ، يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ، وما يضــل بــه الا الفاسقين

هذا جزء من الآية التى تحدثنا فيها عن كون الله لا يستحيى من ضرب الامثال بالبعوضة فما دونها لان هؤلاء الذين قالوا ذلك لم يكن الغرض منهم تنزيه القرآن عن مثل هذه الحشرات الحقيرة انما الغرض نفى كون هذا القرآن من الله لتعرضه لمثل هذه الامثال .

ودعواهم هذه خطيرة جــدا ولهذا قــوبلت بدعــوى المؤمنين الذين لم ينكروا ذلك قال الله تعالى فأمــا الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ، يضل بــه كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين . اى يضل به الذين انكروا ويهدى به الذين آمنوا .

والزمخشرى كالمعتزلة يرى ان الاضلال والهدى فى الآية مجازان يراد بهما اسناد الفعل الى السبب لان اضلال هؤلاء وهدى الآخرين انما تسبب عن ضرب الامثال بهذه الاشياء التى استنكرها الكافرون ورضى بهــا المؤمنون .

وقد قرا زيد بن على هذه الآية على الشكل الآتى: يضل به كثير ويهدى به كثير وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول فى جميع الافعال وهى تؤدى نفس المعنى السابق فى القراءة الاولى .

29) واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفســد فيهــا ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى اعلم مالا تعلمون .

هذه الآية شروع فى الحديث عن قصة الكون وخلق آدم وهى حوار هادف الى ابراز المقارنة بين الملائكة الذين يطيعون الله طاعة مستمرة وبين الانسان الذى يمزج فى اعماله الخير بالشر وفيه اشعار بأن الله هو الذى يعرف الخبايا والحقائق وعلى اساس معرفته يكون الاختيار .

ان الملائكة حين تخوفوا من جعل الانسان خليفة نظروا الى غريزته الجنسية والى غريزتــه الغضبيــة واهملوا النظر فى جانبه الروحى وفى اطاره العقلى وما ينتج عنه من التطور وما يتصل به من التأمل لذلك اخطأوا التقدير واستعجلوا فى الحكم .

ولكن الله آثر أن يكون خليفته فى الارض انسانا عاقلا ليحمله الامانة وليجعله مسؤولا مكلفا وليستخدم عقله فى الضغط على الشهوات كلما حاولت ان تستبد به وتوجهه .

وسياق الآية يقتضى ايجاد خليفته لا ايجاد خليقة بالقاف ولهذا انتشرت القراءة الاولى ولم تنتشر هذه القراءة الثانية .

وقد لاحظنا ان الملائكة تخوفت من خلق الانسان لكونه سيفسد فى الارض وسيسفك الدماء وكلا العملين خطير لان الافساد فى الارض سيزيل الاستقرار ويمحو التماسك الاسروى ولان سفك الدماء يقتضى التعدى بغير حق ويؤدى الى الظلم الصراح .

والسفك وهو اراقة الدم بغير حــق ورد مــن الثلاثى المجرد كما ورد من المزيد وتعددت القراءات حسب الاستعمال اللغوى حسب ما يأتى :

اولا : يسفك من باب ضرب يضرب وهى القراءة المتداولة فى بلاد المغرب .

ثــانيا : يسفك من باب نصر ينصر .

ثــالثا : يسفك من اسفك المزيد بالهمزة .

ويذكر المفسرون ان السر فى ذكر هذه الآية هو تعليم عباده المشورة قبل الاقدام على العمل مع ان الله تبارك وتعالى فى حد ذاته لا يحتاج الى ذلك وانما اخبر ملائكته ليستمع منهم الى رايهم وليقدم لهم بعد ذلك

الحكمة المتجلية فى خلق آدم ولهذا سنجد فى الآيـات التاليـة اتماما لقصة الخلق والتكوين وذكرا للحوار الذى جرى بين الله وملائكته ليظهر لهم خطأ الاستعجال فى الحكم وخطر الاغترار بالذات مع اهمال ما للاخرين مـن مميزات .

30) وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم علـى الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين .

لقد كان موقف الملائكة فى الآية السابقة دالا على تخوفهم من الانسان وعلى اعتزازهم بأنفسهم ولم يرد الله ان يقرهم على هذا الاستعجال فى الحكم توجيها لعباده وتعليما لهم ولهذا صور المسميات لآدم ومكنه من اسمائها وعلم احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرض هذه المسميات على الملائكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ثم ذكر الله جوابهم الدال على تواضعهم لجلالـه وشعورهم بحكمته فقال سبحـانه لا علم لنـا الا مـا علمتنـا انك انت العليم الحكيم .

وفى هذه الآية تصوير للميزة التى تجعل الانسان صالحا للخلافة انها ميزة العلم والعقل والاحاطة بأصول المخلوقات وبمعرفة كنه الاشياء ولهذا كان العلم اساسا للتطور البشرى وامتدادا للوجـود الانسانـى علـى الارض (6) .

وقد تحدث المفسرون فى هذه الآية عن القراءات الآتيـة :

اولا ــ القراءة المتعلقة بقوله تعالى ثم عرضهم اى المسميات ففيها تغليب للعاقل لانه ضمن ما تقدم اليه من الاشياء وقد قرئت شذوذا بغير هذا الضمير فوردت عن ابى ثم عُرضها وعن عبد الله ثم عرضهن .

ثـانيا ــ القراءة المتعلقة بأنبئهم بتحقيق الهمزة فقد قرىء انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهمـا

ثـالثا ــ وردت قراءة فى قوله تعالى : وعلم آدم الاسماء ببناء الفعل للمفعول وليس فى ذلك تغيير للمعنى نظرا لوضوح الفاعل جل جلاله ومعرفته .

31) واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ، الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين .

يتعلق الامر هنا بتعالى ابليس حينما ابى السجود لآدم ورفض الاعتراف بخلافته .

وفى هذا الامر الالهى تشريف للانسان الذى يحمل الامانة وقد اتبعت هذه الآية بما بعدها فأخبرنا الله تعالى بالامر الذى وجهه الى آدم ليسكن الجنة هو وزوجته وليأكلا منها رغدا وليستمتعا بجميع ما فيها الا شجرة واحدة لا يسمح لهما بالاكل منها ولكن الشيطان وسوس لهما فأزلهما عنها وانزلهما الى الارض جزاء على ما ارتكباه من الخطيئة الا ان آدم تلقى كلمات من ربه فتاب عليه .

وهذه التوبة فى الحقيقة مرتبطة بالخطأ السابق اما المسؤولية فقد بقيت عامة فى الخلق وعلى اساسها قامت الخلافة وبنيت الاحكام ولهذا ختمت قصة آدم هنا بقوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهـم ولاهـم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون .

وقد وردت فى هذه الآية قراءة ضعيفة تتعلق باتباع الحركة الاعرابية فى الملائكة لضمة الجيم فـى اسجدوا بضم التاء والشأن فى ذلك شبيه بقراءة الاتباع فى الفاتحة تلك التى كسرت دال الحمد وقد تقدم الحديث عنها بتفصيل فى الملاحظة الاولى من هذا البحث .

32) وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين 35 فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما ممـا كانا فيه ، وقلنا اهبطوا ، بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين .

الخطاب لآدم وزوجه وقد تقدم تحديد قصتهما فى الملاحظة السابقة ويتعلق الامر هنا فقط بالحديث عن القراءات الواردة فى ذلك .

اولا ــ قرىء ولا تقربا بكسر تاء المضارعة وقد تقدم ان هذه الظاهرة فى حرف المضارعة لغة لجميع العرب الا اهل الحجاز وقد اشتهر بها ربيعة وبنـو تميم وبنـو اسـد .

ثـانيا ــ قرىء ولا تقربا هذه باظهار الهاء وهذى بغير اظهـار .

---

(6) اقرا ما كتبه العقاد عن آدم فى كتابه الانسان فى القرآن الكريم صفحة 57 من طبعة دار الهلال .

ثـالثا — كلمة الشجرة وردت مكسورة الشين فى احدى القراءات .

رابعا — وردت قراءة شاذة بكسر الشين وقلب الجيم ياء مكسورة وكرهها ابـو عمـرو ولعل سبب كراهيتها انها لم ترد عن فصحاء العرب وقـد ذكـر السيوطى فى كتاب المزهر ان هذه القراءة شاذة وقال : « لم يأت جيم قلبت ياء الا فى حرف واحد فقالوا فى الشجرة الشيرة فهم بعد القلب كسروا اولها لئلا تنقلب الياء الفا وهذا غريب حسن » (7)

خامسا — روى عن حمزة انه قرا قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها على الشكل الآتى فأزالهما اى اذهبهما ويكون الضمير حينئذ عائدا على الجنة .

سادسا — هناك قراءة وردت عن عبد الله بن مسعود يعود فيها الضمير على الشجرة وهى داخلة فى اطار تغيير الكلمة بتاتا فقد قـرا فوسوس لهمـا الشيطان عنها اى بسببها والغاية واحدة لان الوسوسة ادت الى ارتكاب الزلة مكان ما كان مما امر الله به عباده ليتعظوا وليجتنبوا المخالفات .

33) فتلى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم .

وردت القراءة الاولى فى هذه الآية برفع آدم على انـه فاعـل ونصب الكلمـات نظـرا لانهـا المتلقاة وقد ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت .

ووردت قراءة اخرى برفع كلمات ونصب آدم والمعنى حينئذ انها استقبلته وبلغته واتصلت به وجاءته وهى لابن كثير .

والتوبة شعار المؤمن لانها خضوع وخنوع تدل على عدم التطاول وعلى محو الكبرياء وعلى الاعتراف بالخطا وعلى عدم الرضى بالتمادى فيه وتلك شيمـة العقلاء الذين يبتعدون عن مواصلة الآثام ومزاولـة الخطـايـا .

وفى هذه الآيـات درس عملى للانسان وصـور رمزية تعلى من شانه وتعلمه الحكمة وحسن الانقياد لله فى السراء والضراء والسر والعلانية .

34) قلنا اهبطوا منها جميعا ، فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون

فى هذه الآية نقدم ملاحظتين :

الملاحظة الاولى : تتعلق بكلمة هداى فقد وردت بامتداد الالف وفتح الياء بعدها وهذه هى اللغة المشهورة المتبعة فى اضافة الاسم المقصور الى ياء المتكلم اذا لم يكن ظرفا ، ولهذيل لغة اخرى فى ذلك لانهم يقلبـون الالف ياء ويدغمونها فى ياء المتكلم فيقولون هدى .

وياء المتكلم على كلتا القراءتين تبقى مفتوحة لانها داخلة فى اطار الفتح الاجبارى فقد ورد فى كتب النحو ان ياء المتكلم يجب فتحها فى احوال اربعة : (8)

اولا: ان يكون المضاف اسما مقصورا ككلمـة هدى هاتـه .

ثانيا : ان يكون المضاف اسما منقوصا كقولك النبى هادى طريق الرشاد .

ثالثا : ان يكون المضاف مثنى او شبهه كقولك اطيـع والدى .

رابعا : ان يكون المضاف جمع مذكر سالما او شبهه كقولك يا محبى الاعزاء .

وقد تقدم لنا التنبيه فيما يتعلق بالمقصور على ان ذلك خاص بالاسماء اما الظروف فيجب قلب الفها ياء كلدى مثلا فانك تقول لدى وكذلك حروف الجر مثل الى وعلى فتقول الى وعلى .

ورغم ورود هذه القواعد فاننا قد نجد من يخالفها احيانا لاعتبار آخر كاعتبار التخفيف فى قراءة نافع الذى سكن الياء من محياى فى قوله تعالى محياى ومماتى فتعامل حينئذ معاملة الادغام وذلك غير مطرد لان الياء المتحركة اذا وقعت بعد الالف احتاجت الى ابانة وظهور قال ابن جنى (9) « ولذلك يحض المبتدئون والملقنون على ابانة هذه الياء لوقوعها بعد الالف » وعلى هذا الراى دونت قواعد اللغة ولقنت للمتعلمين .

---

(7) المزهر للسيوطى الجزء الثانى صفحة 88 .
(8) النحو الوافى الجزء الثالث صفحة 150 .
(9) الخصائص لابن جنى الجزء الاول صفحة 92 .

الملاحظة الثانية : تتعلق بقوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقد وردت قراءة اخرى تجعل لا النافية للجنس عاملة عمل ان مع بناء الاسم المفرد بعدها اي فلا خوف عليهم وهي قراءة يعقوب خاصة.

ومن المعلوم ان لا هاته عند اعمالها عمل ان تكون نصا في استغراق الجنس اما عند اعمالها عمل ليس فانها تكون صالحة لنفي الوحدة ولنفي الاستغراق وسياق الكلام هو الذي يحدد معناها (10).

فالنفي هنا استغراقي يفيد دوام انتفاء الخوف والحزن على الذين تبعوا هدى الله تبارك وتعالى فاستأنسوا بآياته واطمأنوا الى دينه واستعانوا بنور العقل في اصدار الاحكام وبممارسة الطاعات لاتمام الاسلام ولهذا عقب الله تبارك وتعالى هذه الآية بقوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون .. صدق الله العظيم

فاس — محمد بن عبد العزيز الدباغ

(10) بحثا قيما عن لا النافية للجنس في كتاب النحو الوافي للاستاذ عباس حسن الجزء الاول صفحة 506 وتعليقا مفيدا للصفدي في شرحه للامية العجم الطبعة الاولى صفحة 91 .

أسس التربية الإسلامية

للدكتور
أحمد الشرباصي

معنى التربيــة :

هناك من يقول ان التربية تعديل فى النمو الفطرى، ومن يقول ان التربية صناعة لانتاج المواطنين الصالحين ، ومن يقول : ان التربية عملية تجعل عيون الفرد تتفتح، وشخصيته تنمو ، والناحية الاجتماعية من حياته تقوى، حتى يصير عاملا فعالا فى حياة الجماعة التى ينتمى اليها ، سواء اكانت هذه الجماعة كبيرة ام صغيرة .

ولو اننا عدنا الى لغتنا ــ لغة العرب ــ لوجدنا ان كلمة « التربية » فى أصل معناها تدل على الزيادة والنمو والعلو ، تقول العرب : ربا الشيء ، اى زاد ، والربوة هى المكان المرتفع ، واربت الحنطة زكت ، وتقول : ربيته اذا غذوته ، وفى لغتنا كلمة اخرى بمعنى التربية هى كلمة « التربيب » ومن مادتها جاءت كلمة « الربيبة » بمعنى الحاضنة لانها تتكفل بشأن من تحضنه ، ومن المادة ايضا « ربة الدار » التى تتعهدها، وكلمة « الرب » بمعنى القيم والمصلح ، والعرب تقول: رب شيء اصلحه ، ورب الاب ولده اى رباه ، والله تعالى هو الرب ، لانه مصلح شؤون خلقه .

ومن هنا نلحظ فى مادة التربية ــ او التربيب ــ معنيين اساسيين هما الزيادة والاصلاح ، اى الاصلاح للموجود ، والاضافة اليه ، وهذان المعنيان نلحظهما بصفة عامة عند استعراضنا لتاريخ التربية عند العرب.

واذا كان هناك من يفرق اليوم بين التعليم والتربية بأن يجعل عماد التعليم قائما على الحفظ وشحن الذهن بالمعلومات ، ويجعل عماد التربية قائما على التدريب والتهذيب ، فان مفهوم العلم عند البصراء من رجال الامة العربية يضم معنى التأثر والتهذب بما يعلمه الانسان ، وفى القرآن المجيد : « انما يخشى الله من عباده العلماء » . ويقول ابن مسعود : « ليس العلم بكثرة الحديث ، ولكن العلم الخشية » . ويقول ابن عبدون احد رجال التربية الاسلامية : « التعليم صناعة تحتاج الى معرفة ودربة ولطف ، فانه كالرياضة للمهر الصعب الذى يحتاج الى سياسة ولطف وتأنيس حتى يرتاض ويقبل التعليم » .

ونحن نفهم اليوم ان الغرض من التربية هــو الاعداد للحياة الفاضلة ، بتكوين العقــل السليم فى الجسم السليم ، مع بناء الشخصية على اسس متينة من الاخلاق الكريمة ، وهذا المفهوم يلوح لنــا خــلال التاريخ الطويل لامتنا ، وان اختلف الاخذ به والالتزام له قوة وضعفا ، باختلاف الظروف والاحوال .

وما دمنا نؤمن بأن الامة الكريمة على نفسها ، العزيزة فى حياتها ، لا تقطع صلتها بماضيها ، وبخاصة ماضيها الذى يتضمن امورا تتصل بقيمها ومثلها التى تعتز بها وتركن اليها ، فلنعد الى هذا الماضى نستعرض فيه الاسس التاريخية التى نهضت عليها التربية عند امتنا العربيــة .

فى عصر الجــاهليــة :

هذا هو عصر الجاهلية فى تاريخ العرب .

اننا مهما اختلفنا فى تحديــد القيمــة العلميــة والحضارية للامة العربية فى العصر الجاهلى ، فلن نستطيع ان ننكر ما كان لها من عناية بالتربية ، على حد مفهومها الخاص بها حينئذ .

وكانت البيئة العربية فى الجاهلية ذات تأثير كبير فى توجيه التربية الى ما يلائم هذه الحياة ، لقد كانت الحياة العربية تنبسط فى سذاجة وسهولة على رمـال الصحراء الواسعة المتشابهة المسالك والاطـراف ، المنطلقة الهواء ، المكشوفة السماء ، القليلة النبـات والماء ، فنشأت بينهم المعارف المتعلقة بالنجوم والرياح، والقيانة والعيافة وتتبع الاثر ، ومنابع الماء ومواطن الكـلا .

وكانت الحياة قاسية عليهم ، فدعاهم ذلك الى التمدح بالكرم والشجاعة وحماية الجار والدفاع عـن الاصل والعشيرة ، واجابة الصريخ ظالما كان أو مظلوما، وكانوا يعملون على تنشئة أولادهم فى ظـلال هـذه الصفـات .

وكانت « الكلمة » ذات تأثير عميق فيهم ، سواء أكانت مادحة أم قادحة ، ولذلك عنوا بالشعر ، وتبادلوا التهنئة عند ما ينبغ فيهم شاعر .. وهكذا .

وفى ايجاز : كانوا فى تربيتهم يريدون من ناشئتهم ان يكونوا قادرين على مواجهة الحياة الخشنة فـى البادية ، وان يكونوا نافعين لاهليهم ، حربا لاعدائهم ، لا ينامون على ثأرهم ، فنحوا فى تربية اولادهم هـذا المنحى ، ولم يسلموا فى ذلك من مظالم أو مآثم ، ولا من انحراف أو اعتساف .

وقد نستطيع أن نقول ان الاساس للتربية عند اهل الجاهلية هو مواجهة الحياة ، ومحاولة التغلب على متاعبها ، والاخذ بنصيب من متاعها ، ومع ذلك كان هناك من يدعو الى اثارة الشعور وتحريك القلب وايقاظ العقل عن طريق المشاهدة والملاحظة والتدبر، فهذا مثلا كعب بن لؤى ــ الجد السابع للنبى عليه الصلاة والسلام ــ يقـول فى مطلـع خطبـة لـه : « اسمعوا وعوا ، وتعلموا تعلموا ، وتفهموا تفهموا ، ليل ساج ، ونهار ضاج ، والارض مهاد ، والجبال اوتاد ، والاولون كالآخرين .. » الخ .

وهذا قس بن ساعدة الايادى يقـول ايضا : « ليل داج ، ونهار ساج ، وسماء ذات ابـراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وارض مدحاة ، وأنهار مجراة ، ان فى السماء لخبرا ، وان فى الارض لعبرا » . ثم يوجه قومه الى لون من التفكير الدينى ، فيقول : « يقسم قس بالله قسما لاإثم فيه ، ان لله دينا هو أرضى له ، وافضل من دينكم الذى انتم عليه ، انكم لتأتون منكرا » . ثم يســوق أبياتــه المشهورة ومطلعها :

(فى الذاهبيــن الاولين من القرون لنا بصائر)

وبرغم مادية الحياة فى الجاهلية ، ووثنية العقيدة وانطلاق الحرية بلا حدود ، والعب من متع الحياة قدر المستطاع ، كان هناك من يحثهم على الوان من مكارم الاخلاق ، كالذى جاء على لسان الحارث بن كعب فى وصيته التربوية الاخلاقية : « عمل السوء يزيل النعماء ، وقطيعة الرحم تورث الهم ، وانتهاك الحرمـة يزيـل النعمة ، وعقوق الوالدين يعقب النكد ، ويخرب البلد، ويمحق العدل ، والاسراف فى النصيحة هو الفضيحة ، والحقد يمنع الرق ، ولزوم الخطيئة يعقب البلية ، وسوء الدعة يقطع اسباب المنفعة ، والضغائن تدعو الى التباين » .

وكالذى جاء فى وصية ذى الأصبع العدوانى : « الن جانبك لقومك يحبوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك ، واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبارهم ، ويكبر على مودتك صغارهم ، واسمح بمالك، واحم حريمك ، واعزز جارك ، واعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، واسرع النهضة فى الصريخ ، فأن لك اجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسالة احد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك » .

واسهم الشعر الجاهلى بنصيبه احيانا فى توجيه التربية توجيها اخلاقيا كالذى كان من زهير حين قال :

(ومهمـا تكـن عنـد امرىء من خليقة
وان خالها تخفـى علـى الناس تعلم)
(فـلا تكتمـن الله ما فى نفـوسكم
ليخفى ، ومهمـا يكتـم الله يعلـم
يؤخـر فيوضـع فى كتـاب فيـدخـر
ليـوم الحساب ، أو يعجل فينقـم !)

وقد شاع اصطلاح تقسيم التربية الى اقسام ثلاثة : التربية الجسمية ، والتربية العقلية ، والتربية الاخلاقية ، ونلاحظ ان اهل الجاهلية اعطـوا هـذه الاقسام اقساطا متفاوتة ، ولعل التربية الجسمية قد حظيت بالنصيب الاوفى ، وحظيت التربية الاخلاقيـة ــ كما نفهمها الآن ــ بالنصيب الادنى .

ولسنا فى مقام المحاسبة او المؤاخذة ، ولكنا فى مقام الرصد لواقع كان ، مع محاولة التعليل لــه ، او بيان الداعى اليه ، ومما ينبغى التسليم به ان ظروف الحياة الجاهلية هى التى دعت الى توجيه التربية هذه الوجهة التى تعتمد فى جل امرها على مواجهة الحياة ، ومحاولة التغلب على شدتها ، مع الاستمتاع بمادياتها، دون التزام بوحدة اجتماعية او قومية او اخلاقية .

والعرب فى الاسلام وبالاسلام صارت لهم عقيدة ورسالة ، واتسعت لهم مدنية وحضارة ، انبسطوا فى ارجاء المعمورة هنا وهناك ، واتصلوا او امتزجوا بهؤلاء من شعوب الارض وهؤلاء ، واعطوا واخذوا ، واثروا وتاثروا ، فكان من الطبيعى ان تتكيف فيهم اسس التربية تبعا لما جد بينهم من قيد واوضاع .

وعلى الرغم من ان عقيدة « التوحيد » التــى جاء بها الاسلام كانت مغايرة لما ساد المجتمع العربى وبقية المجتمعات من معتقدات ، فان المجتمع العربــى الاسلامى لم يتردد فى الاخذ عن غيره من مجتمعات فى مجالات العلم والمعرفة والفن والثقافة وشؤون الحياة الاخرى ، وشجعه على ذلك الاخذ العريض الواسع ان الدعوة الاسلامية التى سيطرت عليه قد دفعتــه الى ذلك الاخذ دفعا ، حيث قال القرآن الكريم : « وقل رب زدنى علما » وقال : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ويقول الحديث : (اطلبوا العلــم ولــو بالصين) . ويقول : « الحكمة ضالة المومن فحيثمــا وجدها فهو احق بها » .

ولم يقتصر المجتمع العربى الاسلامــى فى هذا المجال على النقل او التقليد او المتابعة ، بل اخذ وهضم وانتفع ، واعطى فافاد وامتع ، وتفاعــل فى فكــره وثقافته مع بيئات متعددة تفاعلا كون له هذا المزيج الفكرى الثقافى المتعدد العناصر ، واذا كان قد صحب هذا التفاعل نصيب من الاضرار او الاخطار ، فان هذا النصيب لم يستطع القضاء على المكاسب الكبرى التى حققها المجتمع العربى الاسلامى بهذا التفاعل المتعدد الجــوانب .

القــرآن والتربيــة :

مما لا شك فيه ان القرآن الكريم كان الاساس الاول للتربية والثقافة فى المجتمع العربى الاسلامى ، ولا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان اكثر من ثلاثة ارباع المكتبة العربية قد نشأت ونهضت بسبب القرآن ، ودارت حول القرآن ، تخدمه وتستمد منه وتتاثر به ، وصار القرآن هو المثل الاعلى امام المسلمين فيما يقرره من عقائد وعبادات ومعاملات واخلاق وقصص وحكم وامثال ، ولا غرو فالله جل جلاله يقول : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم » ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم من خطبة له فى مطلع الدعوة :

« ان أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه فى قلبه ، وادخله فى الاسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من احاديث الناس ، انه اصدق الحــديث وابلغــه » .

ويقول الامام على : « من فهم القرآن فسر به جمــل العلم » .

ولقد نزل القرآن الكريم اساسا للاسلام ، وكان لا بد للقرآن ان يقراه الناس ، فجاءت القراءة ، وكان لا بد للقرآن ان يكتب ليظل محفوظا فى السطور ، فجاءت الكتابة ، وكان لا بد أن يحفظه حفاظه فجــاء التحصيل له فى الصدور كما وعته السطور ، وكــان لا بد للقرآن أن يفهمه الفاهمون ، ومن هنا نشأت علوم كثيرة عملت — بطريق مباشر او غير مباشر — فى خدمة القرآن من جهة ، وفى تكوين دعائم للثقافة العربية الاسلامية من جهة أخرى .

واذا كان القرآن عقيدة ودين فانه فى الوقت نفســه كتاب تربية وعلم ، وما اوثق الصلة بين الدين والتربية ، فالدين تأديب وتهذيب ، والتربية تــدريب واصلاح . وميزة القرآن الكبرى فى هذا المجال انــه القى على التربية ثوبا الهيا تدسيا ، فصارت جزءا من الدين والعبادة ، ولامر ما بدا كتاب الله بكلمة «اقرا» والقراءة باب العلم والتربية ، وقالت الآية الاولى نزولا من القرآن : « اقرا باسم ربك الذى خلق » وكلمــة « ربك » ذات صلة قوية بالتربية ، ومادة « الرب » قد تكررت من كتاب الله اكثر من الف مرة .

وقد قال المفسرون ان الرب هو المربى الــذى يسوس من يربيه ويدبر امــره ، وربوبية الله للانسان تظهر بتربيته اياهم ، وهذه التربية قسمان : تربيــة خلقية — بكسر الخاء — بما يكون به نموهم وكمال ابدانهم وقواهم النفسية والعقلية ، وتربية شرعيــة تعليمية ، وهى ما يوحيه الى افراد منهم ليكمل بــه فطرتهم بالعلم والعمل اذا اهتدوا به .

كما يقول بعض المفسرين عند ذكر « رب العالمين » ان حظ العبد من وصف الله بالربوبية هو ان يحمد الله تعالى ويشكره ، باستعمال نعمه التى تتربى بهـا القوى الجسدية والعقلية فيما خلقت لاجله ، فليحسن تربية نفسه ، وتربية من يوكل اليه تربيته من اهل وولد ، ومريد وتلميذ ، وباستعمال نعمته بهداية الدين فى تربية نفسه الروحية والاجتماعية ، وكذلك تربية من يوكل اليه تربيتهم .

واذا كان العلم هو رائدنا وقائدنا الى تحقيق التربية فنحن نجد القرآن يحيط شان العلم بهالة كريمة من التقدير والعناية ، فهو يقول : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات » ويقـول : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ويقول : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ، ويقول : « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ، ويقول : « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » .

وجاء الحديث النبوى من وراء القرآن يؤكد مكانة العلم والعلماء ، فقال : « العلماء ورثة الانبياء » ، وقال : « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع » وقال : « من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة » .

* * *

ونلاحظ ان التربية فى الاسلام تقوم على اسس منهـا :

1 ـ العلم الصحيح العميق الواسع هو باب الخشية ، وطريق التهذيب والتربية ، ومفتاح الاستقامة ، يقول القرآن : « انما يخشى الله من عباده العلماء » ، ويقول : « وما يعلم تاويله الا الله ، والراسخون فى العلم ، يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر الا اولو الالباب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب » .

2 ـ بداية التعليم والتربية من الله عز وجل ، بالفطرة ، او الالهام ، او الوحى ، وفى القرآن الكريم : « علم الانسان ما لم يعلم » ، « وعلمك ما لم تكن تعلم » « فألهمها فجورها وتقواها » ، « وعلم آدم الاسماء كلها » ، « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

3 ـ النفس البشرية تخرج الى هذه الحيـاة وليس لديها رصيد له قيمة تذكر من العلم او المعرفة ، ولكن الله تعالى هيأ امامها وسائل التعلـم والتثقف والتربية ، يقول القرآن الكريم : « والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمـع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » ، ويقول : « الم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين » وفى هذه الآيات وامثالها حث على اثارة المشاعـر ، وايقاظ الحواس وتحريكها لتحصيل التربية والتعليم .

4 ـ التفكير فريضة اسلامية ، وطلب العلم واجب على كل فرد ، لان الحديث يقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (1) ، ولفظة «مسلم» هنـا يشمل الذكر والانثى ، ومن واجب المجتمـع المسلم ان يعمل على توفير مجموعة من العلماء الفقهاء تكفى لتربية الناس وتفقيههم ، والقرآن يقول : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كـل فرقـة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

5 ـ الاسلام يوجه الى ان تكون التربية دينية دنيوية ، مادية روحية ، علمية عملية ، لان الاسلام يأمر الانسان بان يعمل لأولاه ولاخراه ، وان يتمكن من الوسائل العلمية والتربوية والعملية لاسعاد نفسـه فى الدارين ، يقول القرآن : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » . والاثر الاسلامى يقول : « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » .

ويوجه الاسلام الى القوة فى الحياة على اختلاف انواعها ، سواء اكانت قوة مادية ، ام قوة معنويـة ، ام قوة علمية ، ام قوة اخلاقية ، ام قوة اقتصادية ، والقرآن يقول : « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

(1) ذكر السيوطى فى الجامع الصغير عدة روايات لهذا الحديث لم ترد فيها ، لفظة « مسلمة » . وهـذه الروايات هى : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وواضع العلم عند غير اهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب » ، « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وان طالب العلم يستغفر له كل شىء حتى الحيتان فى البحر » ، « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، والله يحب اغاثة اللهفان » ج 2 ص 54

ويقول الحديث : « المؤمن القوى خير واحب الى الله من المؤمن الضعيف » ؛ ولذلك يزكى الاسلام اى لون من الوان التربية يؤدى الى تحقيق اى لون من الوان هذه القوة ، كما ان الاسلام يهدف الى صيانة الجماعة المؤمنة وتحصيلها ضد عوامل الضعف او الفناء ، فيقول القرآن الكريم : « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » ، ويقول : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنيــن » .

وحين نتعمق فى دراسة التربية الاسلامية نجد انها مزاج عجيب من الاعداد الدينى والاعداد الدنيوى، وقد ظهر هذا بوضوح فيما كتبه علماء الاسلام عن التربية والتعليم ، ولعل اقرب مثل على ذلك يحضر الذاكرة هو كتاب « ادب الدنيا والدين » لابى الحسن على بن محمد الماوردى المتوفى سنة خمسين واربعمائة للهجرة ، فان هذا الكتاب شاهد على ذلك المزاج حتى بعنوانه الجامع بين كلمتى الدنيا والدين .

6 ــ يقرر الاسلام المساواة بين الناس فى حق التعليم ، فالقرآن قد جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، والرسول ما ارسله ربه الا ليكون كافة للناس بشيرا ونذيرا ، والناس كلهم فى نظر الاســلام من نفس واحدة ، ولذلك يقول القرآن : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » ، ولا يقر الاسلام فى هذا المجال تفرقة بين الذكور والاناث ، ولا بين الاغنياء والفقراء ، وانما يجعل اساس التقديم والتفضيل هو التقــوى والعمل الصالــح ، والتقوى صيانة النفس من كل سوء بسبب غضب الله عليها ، والعمل الصالح هو كل ما يحقق خيرا يرتضيه اللــه للفرد او الجماعة ، وانما تتحقق التقوى والقيام بالعمل الصالح عن طريق المعرفة والتمييز وقوة الارادة والتربية القويمة ، يقول القرآن : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

وفى سورة « عبس » اشارة واعظة وتذكــرة بحق المساواة فى التعليم ، وفى السورة جاء قوله تعالى : « عبس وتولى ، ان جاءه الاعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، او يذكر فتنفعه الذكرى ، اما من استغنى ، فانت له تصدى ، وما عليك الا يزكى ، واما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فانت عنه تلهى ، كلا انهــا تــذكــرة » .

7 ــ من اسس التربية فى الاسلام كذلك ان يكون العلم للعمل النافع ، والا يكون العلم للتباهى او التفاخر او التعالم ، وما لم يكن علمك نافعا لنفسك او للناس فانه يكون عبثا يتنزه عنه العقلاء والفضلاء ، واذا كان العلم ضارا فانه يصير مذموما فى نظر الاسلام ، ولذلك كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « اللهم علمنى ما ينفعنى ، وانفعنى بما علمتنى ، وزدنى علما والحمد لله على كل حال » . وجاء فى الحديث : « نعوذ بالله من علم لا ينفع » ؛ وفى رواية اخرى : « تعوذوا بالله من علم لا ينفع » .

ومعنى هذا ان الاسلام يهدى الــى ان يكــون التعليم والتربية للحياة وللخير وللنفع الخاص والعام وهو لا يضيق نطاق هذا النفع ، فيجعله خاصــا لعصبية قرابة أو جنس او لون ، بل يقول الحديث : « خيــر الناس انفعهم لانفسهم » . وفى التربيــة الاسلاميــة تبدو النزعة الانسانية واضحة ، ويعزز هذا ان تكريم الله للانسان جاء عاما شاملا ، فقال القرآن : « ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

8 ــ التربية والتعليم فى ضوء الاسلام ليس لهما وقت أو زمن مقيد ، لان المعرفة بحر لا ساحل له ، ولان العلم محيط كبير ، يفنى العمر قبل ان يستوعب الانسان كل ما فى هذا المحيط ، ولذلك نفهم من تعاليم الاسلام ان المرء يظل عالما ما طلب العلم ، فاذا ظن بنفسه انه قد علم كل شىء فقد بدا يجهل ، وان المرء يظل يطلب العلم من المهد الى اللحد ، والحديث يقول : « لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة » ، والحديث المرسل يقول : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء فى الجنة درجة واحدة » .

9 ــ مهنة التربية والتعليم فى نظر الاسلام اشرف المهن ، وهى وظيفة الانبياء والمرسلين ، وفى القرآن الكريم : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهــم انك انت العزيز الحكيم » ، « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

والرسول يقول : « انما بعثت معلما » ، ويقول : « لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم » ، ويقول : « العلماء ورثة الانبياء » ، ويقول الغزالى : « ادلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء » ، وجاء فى الحديث : « ان الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا ، وانما ورثوا العلم ، فمن اخذه اخذ بحظ وافر » .

10 — اذا كان هناك قدر من « الغيبيات » التى يؤمن بها المسلم ، وقدر آخر من الامور العقلية التى يفكر فيها ويتدبرها ، ويحثه الاسلام على استخدام عقله لادراكها ، فان من اسس التربية الاسلامية أيضا التوجيه الى ايقاظ الحواس والمشاعر ، ومن هنا كثرت الآيات القرآنية التى تتحدث عن مشاهد الكون ومظاهر الطبيعة ، وتلفت الابصار ومن ورائها البصائر الى الليل والنهار ، والشمس والقمر ، والنجوم والافلاك ، والارض والسماء ، والهواء والماء والانهار والبحار ، والاشجار والاطيار .. الخ .

يقول القرآن هذه الآيات :

— « اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شىء » .

— « افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ، ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد ، رزقا للعباد واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج » .

— « افلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، او آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الابصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

— « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » .

وينعى القرآن الكريم نعيا شديدا على الذين يعطلون حواسهم ، فلا ينتفعون بها فى الادراك والملاحظة والاعتبار ، فيقول :

— « صم بكم عمى فهم لا يرجعون » .

— « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » .

— « ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام ، بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون » .

11 — من اسس التربية فى الاسلام النزعة الموضوعية فى البحث ، والتجرد عن الهوى ، والبعد عن المؤثرات فى تكوين الراى او تحصيل المعلومات ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » ، ويقول : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » .

12 — للتجربة قيمتها فى هذا المنهج التربوى ، لان هذا المنهج يمثل دعوة اعتقادية تطبيقية ، لا يكفى فيها التصديق القلبى ، ولا التصديق اللسانى ، بل لا بد فيها من العمل والتطبيق والممارسة ، ولذلك اقترن ذكر الايمان بالعمل الصالح فى لغة القرآن عشرات المرات ، والامام على رضى الله عنه يقول : « العقل غريزة تربيها التجارب » ، ويقول : « لكل شىء صناعة، وحسن الاختيار صناعة العقل » .

ويمجد هذا المنهج حرية التفكير واستقلال الشخصية فى البحث والاقتناع والاعتقاد ، ويستنكر التقليد والاتباع ، وهناك من مفكرى الاسلام من يرى ان ايمان المقلد غير صحيح ، واقل ما يقوله مفكرو الاسلام فى ايمان المقلد انه غير كامل ، ولا بد للانسان من النظر والتفكير ما دام قادرا على ذلك . ولقد فسح القرآن نطاق الدائرة التى يجول فيها تفكير الانسان ويصول ، فقال : « كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة » .

ولذلك يحمل هذا المنهج على المتابعة العمياء ، والتقليد بلا وعى ، فيقول القرآن : « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا او لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ، ويقول: « وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا ، فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء ، قالوا لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص » . ويقول : « ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل » .

13 — وكما تتجه هذه التربية الى تربية الفرد تتجه الى تربية الجماعة ، فالقرآن يتجه الى الفرد ليرشده ويهديه ، فيحذره عداوة الشيطان : « ان

الشيطان للانسان عدو مبين » ويحذره الغرور : « يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اى صورة ما شاء ركبك » ويحذره الطغيان : « كلا ان الانسان ليطغى ، ان رآه استغنى ، ان الى ربك الرجعى » .

ويذكره بتحمل التبعة : « وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، ولا تزر وازرة وزر اخرى ، وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

والقرآن يتجه كذلك الى الجماعة ، فيطالبها بالوحدة والتماسك : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وبالمسؤولية الجماعية ، فيقول : « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » ، ويقول الرسول : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، ويعلمها روح الجماعة حتى فى الدعاء لله والرجاء منه : « اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ، ويذكرها باشتراك افرادها فى تحمل التبعات : « من قتل نفسا بغير نفس او فسادا فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا » .

وعلمها ان الخير فى الجمع بين التفكير الفردى والتفكير الجماعى ، فقال : « قل انما اعظكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » ، واذا كان قد قال : « عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » ، فقد قال ايضا : « وامرهم شورى بينهم » ، وقال : « وشاورهم فى الامر » ، وقال : « وتعاونوا على البر والتقوى » .

14 — اذا كان تشجيع الاسلام على طلب العلم بصورة واسعة قد دفع العرب والمسلمين الى الاغتراف من مناهل العلوم المختلفة سواء اكانت دينية ام دنيوية ، اصيلة ام دخيلة ، عربية ام معربة ، تشتد اليها الحاجة ام تخف ، فان الاسلام قد وجه الى الاختيار والاصطفاء ، حتى يكون العلم نافعا ، وحتى تكون التربية مثمرة خيرا او دافعة شرا ، اهتداء بقول الله تعالى : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال » ، وبقوله : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب » ، وبقوله : « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » .

15 — ويأخذ هذا المنهج التربوى بمبدأ التدرج فى التعليم والتربية ، ولذلك يقول الماوردى المتوفى سنة خمسين واربعمائة : « اعلم ان للعلوم اوائل تؤدى الى أواخرها ، ومداخل تفضى الى حقائقها ، فليبتدىء طالب العلم بأوائلها ، لينتهى الى أواخرها ، وبمداخلها ليفضى الى حقائقها ، ولا يطلب الآخر قبل الاول ، ولا الحقيقة قبل المدخل ، فلا يدرك الآخر ، ولا يعرف الحقيقة ، لان البناء على غير اس لا يبنى ، والثمر من غير غرس لا يجنى » .

ولا يزال الدارس يتدرج ويترقى حتى ينال من المعرفة ما يستطيع ، وقد يأخذ من كل فن بطرف ، وينتقل من علم الى علم ، وقد يعكف على احد هذه العلوم فيمهره ويتقن ويصبح فيه اماما ، ونزعة التخصص تظهر مبكرة فى تاريخ التربية الاسلامية ، وهذا هو عمر بن الخطاب يقول فى خطبة له : « من اراد ان يسأل عن القرآن فليأت ابى بن كعب ، ومن اراد ان يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت ، ومن اراد ان يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل » .

16 — عنى العرب فى مجتمعهم الاسلامى بطريقة التلقى من المعلم او الاستاذ او الشيخ او المربى اكثر من اهتمامهم بالاقتصار على الاخذ من الكتب والاوراق ، فهذا « ابن جماعة » يذكر ان بعض السلف يقول : « من اعظم البلية تشيخ الصحيفة » اى جعلها شيخا ، والاخذ عن الورقة ، والمقصود هو الرجوع الى الكتاب والاعتماد عليه دون معلم ، ويقول الامام الشافعى : « من تفقه من بطون الكتب ضيع الاحكام » .

والسبب فى ذلك ان التلميذ قد يخفى عليه معنى النص ، وقد يصعب عليه فهمه وهضمه ، والمعلم يستطيع بعلمه ودربته وتجربته ان ينفخ فى النص من روح بيانه وايضاحه ما يجعله لدى المتعلم مأنوسا مفهوما ، وما اكثر الشكوى فى عالمنا من قلة انتظام الطلاب فى الحضور بين ايدى اساتذتهم ، واقتصار هؤلاء الطلاب على شحن عقولهم بالمعلومات عن طريق

الكتب او المذكرات ، ليصبوها بلا فهم ولا هضم علـى اوراق الامتحــان .

17 ــ وعنى العرب منذ عهد بعيـد بتوجيـه التلاميذ فى التربية والتعليم حسب مواهبهم وميولهم ، وسبق العرب المسلمون غيرهم الى هذا منـذ صدر الاسلام ، فهذا عمر بن الخطاب يقول : « الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم » ، وهذا على بن ابى طالب يقول : « لا تقسروا اولادكم على آدابكم ، فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم » .

ولقد كان السلف يكثرون من الوصية بتوجيـه الناشىء فى التعليم حسب تكوينه واستعداده ، فلا يرغم على دراسة لا تقبلها طبيعته ، ولا تستريح اليها نفسـه ، وكانوا يرددون قول الشاعر :

(اذا لم تستطـع شيئـا فـدعـه
وجـاوزه الـى مـا تستطيـــع)

18 ــ قامت التربية الاسلامية على اساس دينى ، ولعل هذا هو بعض السر فى انها اتخذت المسجد لها دارا ، ثم انتقلت الى « الكتاب » الملحق بالمسجد ، ثم انتقلت الى المدرسة التى نشأت ايضا على اساس دينى ، ومع اتساع مجالها ، وتعدد اماكنها ، ودخول كثير من العلوم والفنون فى نطاقها ، ظل اغلب اهلها يرون تحقيق التقوى هدفا اساسيا لها ، ونحن نلاحظ ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قوله : « اوصيكم عباد الله بتقوى الله » ، فى صدر خطبه ، وطالما قرانا فى الخطب والوصايا والرسائل عبارة : « اوصيك بتقوى الله » ، حتى جعل بعض الائمة الامر بالتقوى شيئا لازما فى خطبة الجمعة التى تعد درسا اسبوعيا تربويا فى مجتمع الاسلام .

وكان كثير من المدارس يقام فى « الربط » ، والرباط هو الموضع الذى يتجمع فيه الصالحون والمتصوفون للعبادة ، وكانوا يجعلون الرباط على الحدود ، ويقومون فيه بالتعبد والتربية والمرابطة فى سبيل الله ، وبهذا يجمعون بين امور ثلاثة لها وثيق ارتباط بالدين ، وهى العبادة والدعوة والجهاد .

ولا ينبغى ان نفهم من هذا ان التربية فى المجتمع الاسلامى كانت شديدة صارمة ، تعتمد على التخويف والتحذير والتكليف بالاوامر فحسب ، لان الواقع التاريخى يحدثنا بأن عنصر الرياضة واللعب والتنشيط كان يلطف من صرامة هذه التربية ، وهذا هو حجة الاسلام الغزالى كان علما من اعلام الدعوة الى التربية الدينية القائمة علـى الايمان والتقـوى والعبـادة والاستقامة ، ومع هذا كان يدعو الى ان يأخذ التلاميذ حظوظهم من الراحة واللعب والتسلية البريئة .

كما يرى التاريخ ان ابا القاسم عبد الله بن محمد ــ احد علماء المغرب ــ قال لمعيقب بن ابى الازهر : ما حال صبيانكم فى الكتاب ؟

فأجابه معيقب ، ولع كثير باللعب .

فقال ابو القاسم : ان لم يكونوا كذلك فعلق عليهم التمائم .

19 ــ واذا كان عصرنا يفخر بأنه قد وضـع فى مجال التفكير والتعليم مراحل يسلكها العالم فى مجال البحث العلمى ، ويتوصل بها الى تحقيق المعرفة ، فمن الانصاف للحقيقة والتاريخ ، بل مـن الانصاف لانفسنا وشخصيتنا العربية الاسلامية ان نقـرر ان التربية الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم ، سبقت الى وضع المنهج القويم للتفكير والبحث والمعرفة .

لقد اشار القرآن الى مراحل هذا المنهج ، وهى تبدا بمرحلة التجرد من الميول والاهواء والمؤثـرات والتقليد ، يقول القرآن : « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » ، ثم تأتـى مرحلة النظر والتامل : « قل انظروا ماذا فى السموات والارض » ، « وفى الارض آيات للموقنين ، وفى انفسكم افلا تبصرون ، وفى السماء رزقكم وما توعدون » .

ثم تأتى مرحلة البحث والموازنة والاستقراء ، حيث يدرك العقل مواطن الاتفاق بين الاشياء ومواطن الافتراق ، ووحدة الشبه او وجوه الاختلاف تمهيدا لاستخلاص النتائج والاحكام ، والقرآن ينبه الى ملاحظ الموازنة فى كثير من الآيات ، كقوله : « وما يستـوى البحران : هذا عذب فرات سائغ شرابه ، وهذا ملح اجاج ، ومن كل تاكلون لحما طريا ، وتستخرجون حلية تلبسونها ، وترى الفلك فيه مواخر ، لتبتغوا مـن فضله ولعلكم تشكرون » ، وقوله : « وما يستـوى الاعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الاحياء ولا الاموات ، ان الله يسمع من يشاء ، وما انت بمسمع من فى القبور » .

ثم تأتى مرحلة الحكم المؤيد بالدليل والبرهان : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ، « وقل جاء

الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، « وان الظن لا يغنى من الحق شيئا »..

ولسنا نأتى بهذا القول بدعا من عند انفسنا ، فقد سبقنا اليه أسلاف مجدوا فى التربية الاسلامية دعوتها القوية الى حرية التفكير ، وحصانة البحث ، ومقاومة التقليد والجمود على ما كان فيه السابقون ، ففى كتاب « الوحى المحمدى » جاء ما يلى :

« كل ما جاء من الآيات فى مدح العلم وفضله ، واستقلال العقل والفكر وحرية الوجدان ، والمطالبة بالبرهان ، وذم اتباع الظن والحرص فيما يطلب فيه العلم والايمان — يدل على ذم التقليد ، وقد ورد فى ذمه ، والنعى على أهله ، آيات كثيرة ، كقوله : « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » ، وقوله تعالى : « واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ».

فذمهم من ناحيتين : احداهما الجمود على ما كان عليه آباؤهم ، والاكتفاء به عن الترقى فى العلم والعمل ، وليس هذا من شأن الانسان الحر العاقل، فان الحياة تقتضى النمو والتوليد ، والعقل يطلب المزيد والتجديد .

والثانية انهم باتباعهم لآبائهم قد فقدوا مزية البشر فى التمييز بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والحسن والقبيح ، بطريق العقل والعلم ، وطريق الاهتداء فى العمل ، ويؤيده قوله : « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل ان الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟ ».

وقال تعالى فى عبادة العرب للملائكة : « وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ، ما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يخرصون ، أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا : انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » .

الاسلام ومذاهب التربية :

ونحن نعلم ان هناك مذاهب كثيرة للمعرفة وتحصيل العلم المؤدى الى التربية ، فهناك « المذهب التجريبى » الذى يعتز بالحواس ويعتمد عليها فى الوصول الى المعرفة ، وهناك « المذهب العقلى » الذى لا يثق بالحواس وحدها ، لانها عرضة للخطأ والصواب، بل يعتمد أولا على العقل فى الادراك والفهم ، وهناك « المذهب النقدى » الذى يستعين فى المعرفة بالحواس والعقل معا ، وهناك « المذهب الصوفى » الذى يعتمد فى الادراك على الاشراق الروحى والذوق الوجدانى . . الـخ .

والتربية الاسلامية المستمدة من القرآن تؤلف من هذه المذاهب مزاجا متوازنا ، عناصره الحواس والعقول والقلوب والارواح ، فالقرآن كما عرفنا يدعو الى استخدام الحواس كالسمع والبصر فى النظر للتأمل : « ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » ، ويدعو الى استخدام العقل للادراك والتفكير : « أفلا تعقلون » ، « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » ، « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » ، ويدعو الى تطهير النفس والقلب ليكون هناك اشراق روحى : « واتقوا الله ويعلمكم الله » ، « ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » أى نورا يلهمكم الحق والصواب .

واذا كانت هناك تربية مثالية فكرية خالصة ، واذا كانت هناك تربية مادية حسية خالصة ، فان الاسلام جاء بتربية مادية عقلية الهامية انسانية واقعية ، فيها للمثالية نصيب وللمادية نصيب .

مصادر عن التربية :

والمكتبة العربية تزخر بكثير من كتب السلف التى وضعوها عن التربية ، وفصلوا فيها القول عن أسسها ومذاهبها وقواعدها وموضوعاتها وطرقها ، ونلحظ فى اغلب هذه الكتب انها توحى — حتى عن طريق عناوينها — بالارتباط بين التربية والدين والاخلاق ، ومن هذه الكتب ما يلى :

1 ــ فلسفة الاخلاق ، لابن المقنع المتوفى سنة 143 هـ .

2 ــ الادب الصغير ، له ايضا .

3 ــ الادب الكبير ، له ايضا .

4 ــ تهذيب الاخلاق ، لابن عدى التكريتى ، المتوفى سنة 364 هـ .

5 ــ تهذيب الاخلاق ، لابن مسكويه ، المتوفى سنة 431 هـ .

6 ــ مكارم الاخلاق ، لمحمد بن جعفر الخرائطى المتوفى سنة 327 هـ .

7 ــ مكارم الاخلاق ، للطبرسى ، من علماء القرن السادس الهجرى .

8 ــ ادب الدنيا والدين ، للماوردى المتوفى سنة 450 هـ .

9 ــ تذكرة السامع والمتكلم فى ادب العالم والمتعلم ، لابن جماعة .

10 ــ احياء علوم الدين ، للغزالى المتوفى سنة 505 هـ .

11 ــ أيهــا الولــد ، له أيضا .

12 ــ المنقذ من الضلال ، له ايضا .

13 ــ الرسالــة الدينيــة ، لــه أيضا .

14 ــ ميــزان العمــل ، لــه ايضا .

15 ــ فاتحة العلــوم ، لــه أيضا .

16 ــ محاضرات الادباء ، للراغب الحسين بن محمد الاصفهانى .

17 ــ تعليم المتعلم طريق التعلم ، لبرهان الدين الزرنوجى ، من رجال القرن السادس الهجرى .

18 ــ تهذيب الاخلاق ، لابن عربى الاندلسى المتوفى سنة 638 هـ .

19 ــ الذخائر والاعلاق فى آداب النفوس والاخلاق ، للباهلى الاشبيلى من علماء القرن التاسع الهجرى.

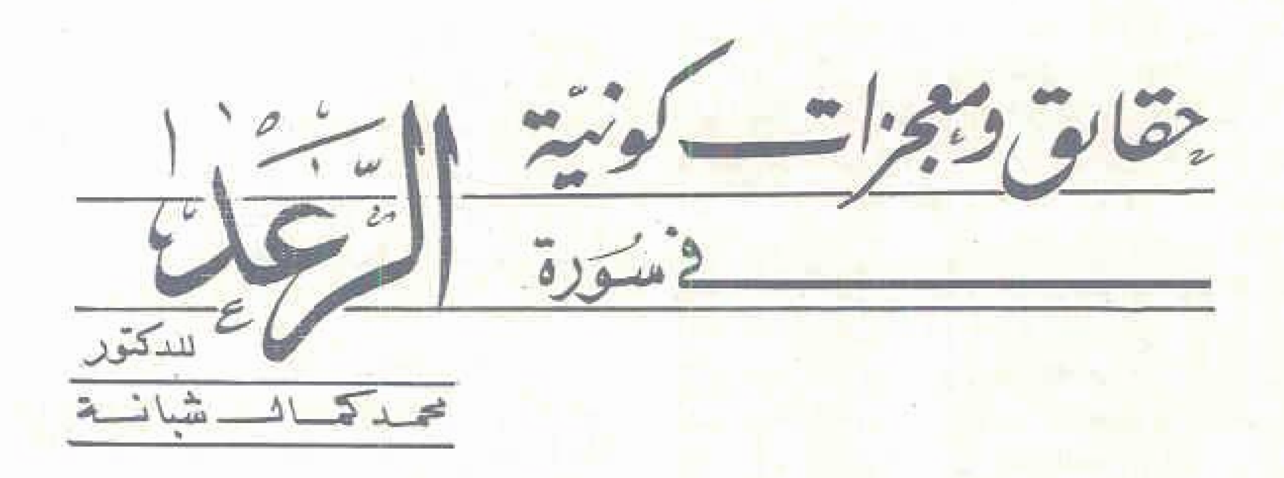
20 ــ اللؤلؤ النظيم فى روح التعلم والتعليم : لابى يحيى زكريا الانصارى ، المتوفى سنة 925 هـ .

21 ــ تحرير المقال فى آداب وأحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال ، لابن حجر الهيثمى المصرى المتوفى سنــة 974 هـ .

22 ــ جامع بيان العلم ، لابن عبد البر .

23 ــ معيد النعم ومبيد النقم ، لعبد الوهاب السبكى .

(يتبــع)



ـ الـمـــر :

هذه حروف من حروف الهجاء ، ابتدات بها اربع عشرة سورة من القرآن الكريم، احدى عشرة سورة مكية لا خلاف فيها ، وسورتان مدنيتان وهما البقرة وآل عمران ، ومنها مختلف فيها هل هى مكية ام مدنية ، وهذه السورة هى « سورة الرعد » .

آراء العلمـــاء فيهـــا :

1) الحسن البصرى وعكرمة وغيرهمـــا يـــرون انها مكيـــة .

2) قتادة والكلبى وابن عبادة فى رواية انها مدنية .

3) الحافظ ابن كثير وهو من العلماء الذين يقتفون الاثر والسند يقطع بأنها مكية ، ولم يثر خلافا ، فكأنه يجزم بأنها مكية .

بيـــان الحقيقـــة على مـــا تقدم :

والذى يقرأ آيات السورة يستطيع ان يعـــرف حقيقة السورة هل هى مكية ام هى مدنية ، وذلك لان الآيات التى نزلت بمكة تتعرض لبيان العقيدة ، واصل الدين والبعث والحشر والحساب ، ثم بيان ما ينعى به الله على المشركين من عيوب يقعون فيها ، أمـــا الآيات التى نزلت فى المدينة فانها تشتمل على بيـــان النظم التى تقوم عليها الحكومة الاسلامية والمعاملات ونظام الاسرة ، وتتعرض قليلا لبيان العقيدة ، والاشارة الى اعجاز القرآن ، واثبات قدرة الله على البعث كما كان قادرا على الانشاء . وأما ما يتصل بهذه الآيـــات من التعرض للناحية الاخلاقية فلكى يقـــرر الاخـــلاق الفاضلة ، وان المشركين كانوا على خلافها ، ولم يسلكوا سبيلها ، وعلى ذلك فقد استقر الرأى على أن هـــذه السورة مكيـــة .

« الـمـــر » اختلف العلماء فى تفسيرها :

1) فريق توقف وقال هذه من المتشابه الذى اختص به علم الله ، فهو داخل فى قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » ، ومحاولة تفسيرها يدخل فيما نهى الله عنه ، ولا يصح للانسان أن يخوض فى شئ لم يصل اليه علمه ، ولم يرد لنا نص صريح ولا قول صحيح من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين عاشروه وراوه يفسر لنا معنى هذه الحـــروف ، وهـــذا مسلك سلفـــى .

2) وهناك رأى ثان لبعض المفسرين ، وهو أن

هذه الحروف هى اسماء للسور · وهنا يرد على الخاطر ســؤالان :

ا) لماذا سميت السور بهذه الحروف ؟

ب) لم اختصت هذه السور بهذا الاسم ؟

اولا : يقول الطبرى وهو من علماء الاثر : ان المشركين من قريش كانوا اذا استمعوا للقرآن احسوا بميل اليه وانجذاب نحوه ، حتى ان بعضهم لما سمعه من الرسول قال : « والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة ، وان اسفله لمغدق ، وان اعلاه لمثمر · ما يقول هذا بشر » . فتعاهدوا فيما بينهم على عدم السماع اليه وقالوا : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهـذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » !!

فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات ، فكان النبى يقرؤها « ا ل م ر » باعلى صوته ، فكان المشركون يتساءلون فيما بينهم ويقولون : ماذا يقول محمد ؟ هل جن ؟ وحينئذ يدعوهم حب الاستطلاع الى السماع اليه، فكانوا يسمعون حيث لا يشعرون ·

هذا تعليل ذكره ابن جليل ، ولكنــه لم يعجب الحافظ ابن كثير ، وقال : كان يكون ذلك صحيحا لو ان كل هذه السورة مكية ، ولكن الامر على خلاف ذلك ·

ولكننا نرضى بذلك التعليل لامور منها :

1) ان اغلب هذه السورة مكية ·

2) الجزء الذى يتبع هذه الحروف مباشرة يتعلق بالقرآن نفسه وبالعقيدة ·

3) لا مانع أن يكون بدء هذه السورة نزل بمكة ·

ثانيا : اجاب الزمخشرى بتعليل آخر مستمد من العلوم البلاغية ، فقال :

ا) ذكر هذه الحــروف لبيــان قــوة التحدى فى القرآن ، وذلك كانه يقول : الذى عجزتم عن الاتيان باقصر سورة من مثله ، أو بعشر سور مثله مُفتريات مكون من حروف طالما كررتموها واستعملتموها فــى كــلامكم ·

ب) واجاب الزمخشرى على هذا السؤال بأن الاسماء لا تعلل ، كما اذا سميت اولادك باسماء مختلفة، فلا يصح لاحد أن يطلب منك تعليلا لهذه الاسماء ·

« تلك » اشارة الى السورة كلها ، وانما اشار اليها بالبعيد للدلالة على علو قدرها فى نفسها ، فان الاشارة للبعيد كما تدل على البعد الحسى تدل ايضا على البعد المعنوى لسمو المكانة وارتفاع المنزلة · « آيات الكتاب » المراد هنا الآيات المتلوة ، ومعنى الآية فــى اللغة العلامة ، وقد تطلق الآية فى العرف الاسلامــى على المعجزة التى تدل على الرسالة ، كآية موسى وآية عيسى وآية ابراهيم ، وقد تطلق على الآيات الكونية كقوله تعالى : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم »، وتطلق على الآية القرآنية المتلوة ، وعلى الآية القرآنية من حيث انها دالة على نبوة محمد صلى الله عليــه وسلم ، وعلامة على رسالته المقدسة ، واضافة الآيات للكتاب تدل على ان المراد الآيات القرآنية ولو انهــا اضيفت الى الكون لكانت آية كونية ، ولو اضيفت الى النبى لكانت معجزة ، واضافة الآيات الى الكتاب من باب اضافة البعض الى الكل ، كما تقول خاتم حديد ، اى خاتم من حديد فى « تلك آيات الكتاب » اى ــ آيات من الكتاب ، والمراد بالكتاب على هذا المعنى القرآن كله ، وتعريف الكتاب بال هنا للدلالة على كمال رفعته ، كانه لا كتاب سواه ·

وبعض المفسرين يقولون ان المراد من الكتــاب السورة ، وتكون اضافة الآيات الى الكتاب اضافــة بيانية ، اى تلك آيات هى الكتاب · وانما سميت السورة بالكتاب ــ مع كمال ما اشتمل عليه اللفظ من علو ــ للاشارة الى ان كل سورة من القرآن تعد كتابا كاملا فى ذاتها ، بحيث يصح أن يطلق عليها وحدها اسـم الكتاب الكامل « والذى انزل اليك من ربك » الواو هنا للعطف ، والعطف وصل الكلام بعضه ببعض ، والاصل فى الواو ان تكون للعطف كما هى هنا ، والمعطوف عليه فى هذه الآية هو « الكتاب » ، اى تلك آيات الكتــاب وآيات الذى انزل اليك · او نقول انها معطوفة علــى آيات ، اى : تلك آيات الكتاب ، وهذه الآيات هى الذى انزل عليك من ربك بالحق ، ويكون على هذين الاعرابين كلمة « الحق » خبر مبتدأ ، ويكون السياق هكذا (ولله المثل الاعلى) تلك آيات الكتاب الذى يعد مفردا فى منزلته ، وهو الامر الذى انزل عليك من ربك ، واذا كانت هذه الآيات هى الجديرة وحدها أن تسمى كتابا ، ولها فوق ذلك شرف اضافى باعتبار انها منزلة من الله ــ اذا اجتمع لها هذان الشرفان (الاضافى والذاتى)

نهى وحدها الحق ، هذا هو السياق على تقدير ان الواو عاطفة عطف مفرد على مفرد .

وهناك تخريج يقول ان الواو للاستئناف ، ويكون قوله « والذى » مبتدأ « والحق » خبره ، ويكون سياق الكلام هكذا (تلك آيات الكتاب الرفيع الشأن الذى لا جدير باسم الكتاب سواه ، وهو الذى انزله الله عليك)

وكيفما كان التخريج النحوى فالجملة الاولى تدل على ما فى السورة والكتاب من شرف ذاتى ، بما اشتمل عليه من عظات وعبر ، وما اختص به من اسلوب محكم لا يستطيع احد ان يأتى بسورة منه ولو مفتراه ، والجملة الثانية تدل على شرف اضافى ، وهو انه من عند الله العزيز العليم اللطيف الخبير ، ثم تدل الثانية على انه يتوج هذين الوصفين انه الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ويقول البيضاوى فى تفسيره : ان الجملة الثانية تعد دليلا للجملة الاولى ، او تشبه الدليل ، لان الجملة الاولى وصفت الكتاب بأنه الكتاب المفرد الذى لا يصح ان يسمى كتابا سواه ، والجملة الثانية بينت السبب فى ذلك ، وهو انه من عند الله سبحانه وتعالى ، وما يكون من عند الله تعالى فلا يكون له مثيل قط . ولكن التخريج الذى ذكرناه لعله يؤدى الى معنى اكمل مما يشير اليه البيضاوى ، لاننا نريد ان نقول : ان الجملة الاولى تدل على كمال القرآن بما اشتمل عليه ، والجملة الثانية تدل على كمال القرآن لفضل منزلته ، ويزكى تخريجنا ان الواو العاطفة تبعد ان تكون الثانية تعليلا للاولى . وقد يصح لنا ان نقبل كلام البيضاوى وأن نتممه بان نقول : ان الله ذكر الجملة الثانية لتكون دليلا على صحة الاولى ، وذكرها بواو العطف لاتيان الشرفين للقرآن : « والذى انزل اليك من ربك » والتعبير فى صلة الموصول بأن الانزال للنبى من ربه من قرآن كريم دليل على كمال عناية الله بنبيه وعلى عناية الله بكماله ، وعلى ان هذا الكتاب هو الحق ، « ولكن اكثر الناس لا يؤمنون » اى ان القرآن — ذلك الشرف الذاتى وذلك الشرف الاضافى — هو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه — كان يقتضى ان يؤمن به الناس جميعا او اكثر الناس ايمانا لا ريب فيه ولا مجال للشك فيه ، والاستدراك يدل على أن الحكم الذى يعقب اداة الاستدراك مغاير لما سبقه ، لان ما سبقه يقتضى الايمان المطلق من الناس جميعا او اكثرهم ، ولكن

الحكم الذى أعقبه كان نقيضه . « الناس » يقول المفسرون المراد بهم كفار او مشركى مكة ، لانهم هم الذين كانوا يخاطبون اولا بالقرآن عند ما كان الرسول بمكة ، ولانهم هم الذين تعجبوا من ان يكون هناك بعث او نشور ، كما دل على ذلك قوله تعالى : « وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا إ نا لفى خلق جديد » ، وهم الذين طلبوا انزال عذاب من السماء اذا كان محمد رسولا ، كما يدل على ذلك قوله « ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات » ، وهم الذين كانوا يطلبون آية غير القرآن كتفجير الانهار ، كما يقول الله تعالى « ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه » ، « لا يؤمنون » ومعناها ليس من شأنهم الايمان والاذعان ، فنفى المضارع غير نفى الماضى ، لان نفى الماضى حكم مجرد بعدم الوقوع فى الماضى ، اما نفى المستقبل فحكم بعدم الوقوع فى الماضى والمستقبل ، فهذا بيان للدلالة على انهم لم يؤمنوا فى الماضى ، وهذا دليل على انه لا يرجى منهم ايمان فى المستقبل . والآية على هذا تشير بأن الناس قسمان : قسم من شأنه الايمان ، وقسم ليس من شأنه الايمان ، والقسم الاول هو الذى لم تحط به خطيئته ، وأما القسم الثانى فهو الذى احاطت به خطيئته وغلبت عليه شقوته . فكأن الحق لا يصل الى نفسه لما احاط بها من غشاوة الشهوة ، فكأن اصحابها لا يعقلون .

وبعد أن بين المولى سبحانه وتعالى مقام الكتاب الكريم وأن من شأنه ان يحمل الناس على الايمان به اذا كانت لهم قلوب تدرك ، ولكن اكثر الناس لم يؤمنوا لان الايمان لم يكن شأنا من شؤونهم ، وقد بينا ان النفوس قسمان : نفوس تذعن للحق وتؤمن به ، ونفوس قد غشى الله عليها — باغشية من الشهوات ، فتركت الحق ولم تهتد اليه — بعد ذلك اخذ المولى يسوق نظم الكون وآياته ، مبينا ان كل آية من شأنها ان تحمل الناس على التفكير فى عجائب صنعه ، فقال : « الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها » صدر الكلام بلفظ الجلالة لتربية المهابة فى النفس ، وليحس القارىء بالجلال والعظمة للمنشىء لهذا الكون ، ولان معنى « الله » الذى لا معبود بحق سواه . وكان هذا التصدير بمثابة القضية او الحكم ثم سوق البرهان بعده ، والكلام الآتى هو بمنزلة الدليل على ذلك الحكم وبرهان عليه . « رفع السموات » « رفع » هذا تعبير نسبى ، اى رفع السموات بالنسبة لنا

نحـن معشـر سكـان الكـرة الارضيـة ، وذلك لاننا نرى السماء بعيدة عنا بعدا راسيا · « بغير عمد » العمد جمع عمود ، وقد تكون جمعا لعماد ككتاب وكتب ، وبعضهم يجعل عمدا اسم جمع اى مفرد وفى معنى الجمع ، ولكن الظاهر غير ذلك ، اننا لما راينا السماء متماسكة اجزاؤها ومتينة وقوية فلا تنطبق على الارض، ولا يحدث فيها اى خلل — ظننا او خيل الينا قائمة على اعمدة فقال الله ، وهو القدير على كل شىء « رفـع السموات بغير عمد » ، ليدل على عظمتـه وقدرتـه وجبروته · « ترونها » هذه الجملة قال بعضهم انهـا استئنافية للدلالة على المنفى او لاثبات النفى ، والمعنـى ان الله رفع السموات بغير عمد ، والدليل على ذلك ان الله رفعها هكذا ، اى قدرة الله رفعتها ، ويصح ايضا تخريج الآية على اساس ان (ترونها) حال من السموات ، ويكون المعنى : الله الذى رفع السموات بغير عمد مرئية لكم ، واعتبارها صفة لعمد يكون النفى للرؤية على سبيل الادراك ، لان الاسلوب العربى فى الموصوف من المنفى يكون النفى منصوبا على الصفة لا على ذات المنفى ، فتكون الآية على هذا الوجه دالة على أن الله لا ينفى وجود العمد ولكن ينفى رؤيـة العمد ، ان الله سبحانه وتعالى ربط السموات والارض برباط محكم دقيق ، ونظم الكون واوجده رابطا له ، وان كنا لا نراه ولا نحسه ، وهذه القوة الرابطة بين الافلاك وبين الارض والسموات هى التى يفكـر العلمـاء فى تفسيرها ، فقال بعضهم انها الجاذبية ، وقال آخرون انها النسبية · ولكن مهما يكن قول القائلين فان الروابط للافلاك والسموات والارض حقيقية ثابتة لقدرة الله · « ثم استوى على العرش » هذا التركيب كله كناية عن سلطان الله الكامل على الكون ، اذ يصح ان نقول ان فى الكلام استعارة تمثيلية ، شبه الله سلطانه الكامل على الكون يدبره أعظم تدبير ويفصل آياته اعظم تفصيل، شبه هذا بمن يجلس على عرش ويستولى على مملكة · ويدير أمرها · هذا هو المعنى الذى يفهمه القارىء من غير ان يطلع على كلام الخلف او السلف ، وان كان هناك كلام آخر فى مثل هذه الآية ، من ادعاء ان هناك رايا للسلف يقول : هناك عـرش واستواء لا نعلـم حقيقتهما ، والخلف يقولون ان هناك عرشا ، ومعنى الاستواء عليه الاستيلاء ·

ونحن نرى مما ذكرنا ان الجملة تدل على كمال سلطان الله فى الكون ، وانه بعد ان خلقه وانشاه مـن العدم كان له كمال السلطان فيه ، يدبر ويفصل آياته ، ويعلم خفاياه فلا يغيب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء · بقى التعبير بثم وهذا للدلالة على عظم خلق السموات والارض ، وعظم سلطان الله عليهما ، وكأن هذا يشير الى ان السموات — لعظم وجودها وتباعد أطرافها وتماسك اجزائها وابداع نظامها — كانت تحتاج هى فى ذاتها الى وقت ، بحيث يتراخى التكوين عن السلطان ، ولكن الذى خلقها هو الذى اذا قال للشىء كن فيكون ، فعظمها وتباعد أطرافها — وان كان الظاهر للناس انه يتراخى — قد خلق فى ستة ايام ، على مـا سنبين معنى الايام « سخر الشمس والقمر » الشمس والقمر هما الجرمان العظيمان اللذان يظهران لاهـل الارض ، ويدرك الناس بعض تأثيرهـا فى معـاشهم وأمورهم ، فبالقمر يعرفون مواقيتهم ، وكان دليـل العرب فى صحرائهم ومعرفة أيامهم ، وهم الاميون الذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، وبالشمس يعرفون مظاهر الجو ، وما يترتب على ذلك من امطار ورياح وما شابه ذلك · ولذلك كله اثر عظيم فى معيشتهم ، ولهذا خص الله هذين الجرمين بالذكر ليبين أنهما خاضعان لسلطانه، وهو الذى ذللهما للناس · فقال : وسخـر الشمس والقمر اى ذللهما ، وجعلهما يسيران على مقتضى نظام محكم ، ثم بين ذلك النظام فقال : « كل يجرى لاجـل مسمى » الاجل المسمى : اما أن نقول انه الحركة التى تكون لكل واحد منهما فى دورته الكاملة ، او نقول : الاجل المسمى هو الاجل الذى ينتهى عنده العالم ، ولكن الراى الاول اقرب الى الصواب ، وذلك لانه عن الشمس والقمر ينشأ الليل والنهار والفصول الاربعة ، من شتاء ينزل فيه المطر فيحيى الارض بعد موتها ، وربيع ينبت فيه البذر وتخضر فيه الاوراق ، وتكثر الازهار وتغرد الاطيار ، وصيف ينضج فيه الثمر ، وخريف يجمع الناس فيه الثمار ويجنون فوائد صيفهم ، « يدبر الامر » اى أمر السموات والارض ، وعلاقة الافلاك بعضها مع بعض ، تدبيرا فيه الخير للناس جميعا والعوالم كلها · ويجب أن نتعرض هنا لاعراب هذه الآية فنقول :

1 — « الله » مبتدأ ، « الذى » خبره ، ويدبر الامر ، ويفصل الآيات ، حالان او استئناف بيانى · ونحن لا نميل الى هذا الاعراب ، وهو اعراب يخالف الاعراب الثانى وهو :

2 — « الله » مبتدأ « الذى » صفة ، « يدبر الامر »

خبر ، « يفصل الآيات » خبر بعد خبر . وهــو راى لبعضهم ، ونحن نميل الى هذا الاعراب ، لان الاعراب الاول معترض عليه ، لان القاعدة النحوية تقول : اذا اتحد المبتدا والخبر فى اداة التعريف ، والتبس الخبر بالصفة وجب ضمير الفصل ، اللهم الا اذا قيل ان لفظ الجلالة اعرف المعارف كلها ، فهو علم وليس معرفا بال ، فعلى هذا الوجه لا اعتراض .

والمراد بالآيات هنا الآيات الكونية على راى بعض العلماء ، « ونفصلها » اى نعرفها ونبينها لكم لاجل ان تعتبروا وتؤمنوا بان الذى اتى بها قادر على ان يعيدكم الى حالة العدم كما كنتم . وبعض العلماء الآخرين يرى

ـــ ان المراد بها هنا الآيات القرآنية . ونحن نرجح هذا الراى ، ومعنى تفصيل الآيات القرآنية ان الله يصرفها ويوضحها ، ويذكرها باساليب شتى ، لتوقنوا بهــذا الدين الحكيم ، ويكون تقدير الكلام هكذا :

الله الذى انشا الكون ذلك الانشاء البديع ، فرفع السموات بغير عمد ترونها ، وسخر الشمس والقمر ، وجعل حركتهما لخير العالم وصلاحه . هو الذى يدبر الامر ، ويفصل آيات القرآن الكريم الذى له المنزلة العالية ورفعة الشان ، وعلى ذلك تكون هذه الآيــة بمثابة التزكية للآية السابقة « لعلكم بلقاء ربكم توقنون » اى فصل هذه الآيات القرآنية وصنفها ذلك التصنيف الحكيم المعجز لتوجيه انظاركم الى عظيم ما انشا وجليل ما انعم ، ورجاء أن تؤمنوا بلقاء ربكم ، لان الرضا من الناس مقصود ، ولان الرجاء هو طلب لامر للانسان مطمع فيه ، ومثل ذلك لا يتصور من الله . ولذا قال العلماء : ان « لعل » معناها هنا التعليل ، وان كانت لا تنقطع عن اصل معناها وهو الرجاء ، والله سبحانه وتعالى ينبهنا الى ان هذه الآيات فصلها لنؤمن ، ولتجعل اليقين قريبا الى قلوبنا ، لكن القلوب عميت ، والآذان صمت فلم ينتبه احد الى ذلك . ويجب أن نتعرض هنــا لتعبير ورد فى هذه الآية :

1 ـــ يقول عز وجل « بلقاء ربكم » لماذا عبــر بكلمة الرب هنا ؟

لانه هو الذى انشا واوجد وربى هذا الكون ، فهو يشعرهم بوجوب الايمان ، لان الذى يطالبهم بالايمان هو ذلك الذى له هذه الصفات المتقدمة ، فهو قادر على ان يمحقهم اذا لم يؤمنوا .

2 ـــ لماذا عبر بكلمة « اللقاء » بدل البعث ا اليوم الآخر أو الحساب أو النشور ؟

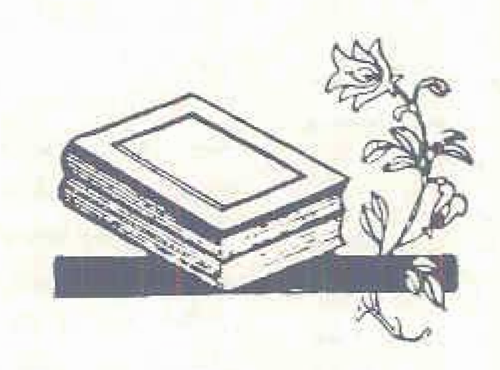
لان كلمة اللقاء فيها تربية للمهابــة فى النفس وتحريض على الايمان باليوم الآخر ، لان لقاء الله يكو بعد قيام الناس من قبورهم للبعث ، فيتوجهون لاجل الحساب . « وهو الذى مد الارض » بعد أن بين الل نعم آياته الكونية فى السماء ، برفعها من غير عمد وتسخير الشمس والقمر امر الاكوان ـــ اخذ يبين نعم ظاهرة وباطنة ، فقال : « وهو الذى مد الارض » اي بسطها وجعلها سهلة مبسوطة ، ليسهل الانتقال فيه من مكان الى آخر ، فليست مضطربة الاجزاء بحيث يكثر علوها وانخفاضها كثرة لا يسهل على الانسان الانتقال فيها من اقليم الى اقليم ،بل جعلها ممهدةالاجزا والمــراد بالمــد تعبيدهــا ، حتــى يسهل على الانسان السير فيها راجلا او راكبا لان نظرية الارض اصبحت قضية بديهية ، ولما ذكر بسط الارض تبادر الى الذهن ما فيها من نتوء ومرتفعات ، فقال : « وجعل فيهــ رواسى » وهى جمع الراسى وهى الجبال ، ورواسي تجمع على رواسى ، لان فاعل تجمع على فواعــل ، وسميت الجبال رواسى لانها فى اغلب احوالها تكــون صلبة لا تجرى عليها عوامل المد والخسف ، « وانهارا » الانهار مقابلة للرواسى ، والتقابل من ناحيتين ، وذلك لان الانهار تكون منخفضة لان جريان الماء فيها ، والمقابلة الثانية ان الجبال صلبة والمياه ليست كذلك . وهنــاك حكمة اخرى وذلك ان المياه التى تتساقط على رءوس الجبال تتكون منها الانهار ، ومن اجل هذا التقابل قرنت الانهار بالجبال .

ثم بعد الانهار ذكر ما يعد مسببا عاديا من الانهار فقال : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ذكر المفسرون عدة اوجه لمعنى الزوجية ، وقبل ان نبين هذه الاوجه نقول : ان معنى زوج يطلق باطلاقين : يطلق على الاثنين المتحدى الجنس ، ويطلق على الاثنين المتقابلين . فما المراد اذا من زوجين ؟ المراد هنا الزوج الواحد فى مقابل الآخر اى « الشيئان المتقابــلان » ، والتأكيد باثنين لكى يبين للقارىء ان المــراد بالزوجين الشيئان المتقابلان ، وانما عبر بالزوج هنا لرفع ابهام ان المراد بالزوجين اثنان ، ولتعيين الارادة واحد مــن اثنين متقابلين ، فكلمة اثنين اذا لبيان معنى التقابل فى الزوجية . وما معنى التقابل المراد ؟ بعض المفسرين

يرجح ان المراد من الزوجين المتقابلين التقابل فى اللون والرائحة او الطعم »، فمعنى كلمة جعل من الثمرات زوجين اثنين : اى جعل بعضها احمر وبعضها ابيض ، وبعضها حلوا وبعضها مرا ، وبعضها ذا رائحة زكية وبعضها غير ذلك · فمعنى هذه الآية للدلالة على الاختلاف

والتشاكل ، مع اتحاد الارض التى تنبتها ، والشجرة التى تثمرها ، والماء الذى يسقيها ، وهذا يدل دلالة قاطعة على قدرة منشئها ، لانه انشاها بارادة وقدرة واختيار ، ولم تنشأ عنه نشوء المعلول من علة ، ولا المسبب من سببه ، لانه لو كان كذلك لا تحدت ، وما تقابلت وما تخالفت ولكن الاختلاف كان لان المنشىء مريد مختـــار ·

د · محمد كمال شبانه ـــ القاهرة



حول النفي في كلمة الإخلاص

للأستاذ عبد القادر العافية

في بداية النصف الثاني من القرن العاشر الهجري، تمخض النـــزاع العنيف الطويـــل بين الوطـــاسيين والسعديين ــ بالمغرب ــ عن انتصار الجيش السعدي بقيادة محمد الشيخ الذي احتل فاس عاصمة الوطاسيين ودخلها منتصرا سنة 956 هـ ــ 1549 م وذلك بعد حصار شديد وقتال مرير حول اســوار وابــواب المدينـــة .

ودخل محمد الشيخ المدينة واخذ يوطد حكمه فيها وكان من جملة ما قام به ، استدعاؤه لعلماء المغرب للاجتماع عليه بفاس ، وفي هذه الاثناء والناس بالمدينة ما بين مؤيد للسلطان ، وبين حذر مترقب . . وردت على علماء فاس رسالة من الشيخ الخروبي العالم الطرابلسي (1) الذي كان يقطن بالجزائر وتحمل هذه الرسالة العنوان الآتي :ــ

« رسالة ذي الافلاس الى خواص اهل مدينة فـــاس » :

وهي رسالة « ذكر فيها الخروبي آدابا علـــى القواعد الخمسة (2) وجاء فيها عن القاعدة الاولى وهي : لا اله الا الله : « ومن الآداب ان يتناول نفيك عند النطق بحرف النفي ما ادعاه المشركون من الالوهية سوى الله تعالى ، (وليكن الحق جل جلاله ثابتا في النفي والاثبات) فالنفي لما يستحيل كونه ، والاثبات لما يستحيل عدمه » (3) .

وبالطبع اطلع العلماء بفاس على نص هـــذه الرسالة الموجهة اليهم ، ولا شك ان بعض عباراتها اثار نقاشا حادا ، وفي هذا يقول صاحب الدوحـــة « فنقم الناس عليه هذه العبارة ــ اي العبارة المتعلقة بما يطلبه الخروبي من الآداب في فهم النفي والاثبات في لا اله الا الله ــ ولما وقف الشيخ ــ ابو محمـــد عبد الله الهبطي (4) على هذه الهفوة كتب جـــوابا للشيخ الخروبي . . »

ويؤكد ابن عسكر ان جواب الشيخ الهبطي كان رصينا ولبقا بحيث اعتبر أن ما صدر من الخروبي انما كان سبق قلم ، وفي نفس الوقت يبين له مصدر خطئه ، وبأن ما هفا به القلم لم يكن مقصودا . . وان ــ لا اله الا الله ــ فيها نفي واثبات فلا معنى للقول بأن النفي لا يتناول الا بعض المنفي دون سائر ما دخل عليه لما يبرم على ذلك من عدم صدق الخبر وهو غير لائـــق . . »

ورأى الشيخ الهبطي أنه من حسن اللياقـــة والمجاملة ان يطلع الشيخ اليسيتني مفتـــي الحضرة الفاسية على نص الجواب وعند ما اطلع الشيخ اليستني على الجواب راى ان لهجته غير قوية ولذلك كتب بهامشه تعليقا شنع فيه على الشيخ الخروبي ومما جاء في تعليقه : « انما يتسلط النفي على الآلهة المعبودة بالباطل بوجه واعتبار ، وهي ثابتة بوجه واعتبار » (4) ولما رجع الكتاب الى الشيخ الهبطي وقرأ التعليق راى ان صاحب التعليق وقع في خطأ فظيع ولذلك حاول الشيخ الهبطي اقناع الشيخ اليستني بالرجوع عـــن خطئه فابى الشيخ اليستني ذلك واخذ يدافع عن تعليقه وملاحظاته . . وكتب رسالة مطولة في الموضوع ،،، وبهذا تحول النزاع من نزاع مع الشيخ الخروبي ، الى نزاع بين الشيخين الهبطي واليستني !! (5)

احتدم هذا النزاع وشغل الاوساط العلمية في ذلك الوقت .

وبداية هذا النزاع كانت سنة 956 هـ اى سنة ورود رسالة الخروبى على فاس وهى السنة التى فتح فيها محمد الشيخ السعدى فاس (6) وهى كذلك السنة التى استدعى فيها السلطان محمد الشيخ علماء المغرب للاجتماع عليه بفاس ، واستمر النزاع بين الشيخين ، الهبطى واليستنى اكثر من ثلاث سنين واخذ الناس ينقلون اقوال هذا وذاك ، وكل فريق يدعى أن الحق فى جانب صاحبه وفى سنة 959 هـ كان قد بلغ هذا النزاع اقصاه ، ولذلك حاول السلطان محمد الشيخ (7) وضع حد له بعقد مناظرة بين الشيخين يحضرها العلماء وبعض رجال الدولة ..

وتلبية لدعوة السلطان حضر الشيخ الهبطى من مقر سكناه بضواحى مدينة شفشاون ، وحضر معه فى نفس الوقت قائد شفشاون محمد بن على بن راشد ،

ويحدثنا صاحب دوحة الناشر المعاصر لهذه الاحداث عن هذه المناظرة وعن ظروفها وعن الجو الذى عقدت فيه .. فيقول :

« ثم بلغت هذه الحكاية الى السلطان فبعث يبحث على ظهور الحق فى هذه المسألة ، وكتب للشيخ وطلب منه الحضور ، ولما شعر اليسيتنى بذلك حملته نفاسة الرياسة وحب العلو والجاه وعدم الانصاف على ان اتفق مع ابن راشد قائد شفشاون فى ذلك الوقت ، وكان فى نفسه من جانب الشيخ غضاضة لانه كان كثيرا ما ينكر عليه افعاله ، وشاركهما فى ذلك الكاتب ابن عيسى (7) ، ووشوا بالشيخ الى السلطان وقالوا له يخشى منه على الملك (8) واتوه من ذلك الباب فلما قدم الشيخ على فاس ونزل بزاوية الشيخ ابى عبد الله المعروف بالطالب (9) مشى ابن راشد وابن عيسى وصاحبهما المفتى عند مشايخ الفقهاء وقالوا لهم : ان السلطان مراده أن يهلك هذا الرجل فلا تصوبوا كلامه، ولا تنصروه بوفاق ، وقالوا للسلطان : ان أصحاب هذا الرجل يقولون للناس ان السلطان هو الشيخ — ليغيضوه بذلك .. » وهكذا يصور لنا ابن عسكر بداية هذه المؤامرة التى حاول المقربون من السلطان حياكتها ضد الشيخ عبد الله الهبطى ، وذلك بتهيئة الجو المناسب لانهزام الهبطى امام منافسه ، وبكف العلماء عن نصرته ، وباظهاره بالمظهر المنافس للسلطان فى الملك ..

ويعطينا صاحب الدوحة مزيدا من التفصيل عن هذه المناظرة فيقول : « ولما اجتمع الشيخ مع السلطان جاء اليسيتنى ومن تبعه ، وتخلف مشايخ الفقهاء عن الحضور مثل الشيخ ابى محمد عبد الوهاب الزقاق ، والشيخ ابى زيد عبد الرحمن بن ابراهيم واخيه الشيخ بلقاسم وغيرهم ، فما كان الا أن قام اليسيتنى وقعد بين يدى السلطان وقال له يامولاى : ان هذا المبتدع دمه حلال اقتله على رقبتى ، فقال السلطان : ما تقولون فى مسائلكم بعد ، فقال اليسيتنى : ما عنده ما يقول ، والشيخ — الهبطى — ساكت بل غائب عن حسه ثم استيقظ ورفع يديه وقال ، اقرأوا الفاتحة عسى الله أن يظهر الحق ، ثم قام الى المسجد الذى بالمشور ، فتكلم اليسيتنى واصحابه ، وخاطبوا السلطان فى شأنه ، فلم يجبهم الى مقصودهم .. »

وبهذا نرى أن المناظرة قد اصيبت بأزمة حادة منذ بدايتها ، لانها بدات بطلب الشيخ اليسيتنى من السلطان اعدام الشيخ الهبطى ، وأن دمه حلال .. وهكذا تحولت المناظرة الى مؤامرة مدبرة ، ولا شك أن الشيخ الهبطى قدر خطورة هذا الموقف واكتشف هنالك مؤامرة حيكت ضده فى الخفاء ، وخشى أن يكون السلطان قد تأثر بدسائس المتآمرين ولذلك رايناه يطلب قراءة الفاتحة ثم ينصرف الى المسجد المجاور لقاعة المناظرة بالقصر السلطانى بفاس ولا شك أن الجو الذى خيم على المناظرة لم يكن جوا علميا متفتحا ، ولعل هذا هو الذى جعل الشيخ الهبطى يلوذ بالصمت ، ومما زاد فى قتامة هذا الجو ، عدم حضور المشايخ الكبار فى المناظرة وهكذا تأكد الشيخ الهبطى أن المناظرة اصبحت مؤامرة ..

ويلاحظ هنا أن السلطان أدرك مبلغ حقد اليسيتنى على الهبطى ، كما ادرك أن ما قيل له عن منافسة الهبطى له انما هو من باب التلفيق لا غير ..!! ولذلك كان محمد الشيخ وهو ينظر الى ما يجرى حوله هادئا ورصينا ، وهداه تفكيره الى التصرف بحكمة .. وهذا يدل على مبلغ ذكائه وتبصره ، بالرغم من أن الشيخ اليسيتنى يعد من شيوخه ، وهو فى نفس الوقت معلم اولاده ، وقبل كل هذا وذاك هو فى طليعة المناصرين له من علماء فاس ومن المعلوم أن السلطان قلد اليسيتنى المناصب الدينية الكبرى بفاس كالخطابة والامامة والافتاء — لكن بالرغم من كل هذا فان

السلطان كان حكيما وذا بصيرة نافذة ، ولذلك خاطب الشيخ اليسيتني وجماعته بلباقة تنم عن ذكائه في محاولته لانقاذ الموقف قائلا : « حسبكم ، انه لا ينازعكم في مسالتكم » .

فالسلطان بعد ما ادرك مبلغ حقد اليسيتني وجماعته على الهبطي اراد ان تنتهي هذه المناظرة بسلام لكن المتآمرين حاولوا على الاقل ان يعترف الهبطي بانهزامه ، وان يسجلوا ذلك عليه ، وبالتالي يجعلونه يوقع صك الانهزام ، ولذلك رأينا قائد شفشاون ابن راشد يتدخل لتحقيق هذه الغاية ، ويقترح كتابة عقد — انهزام — يضع الهبطي خطه عليه .. وكتب العقد فعلا وقدم للهبطي ليوقعه ، قال صاحب الدوحة : « فقال ابن راشد اكتبوا عقدا يضع عليه خطه بانه رجع الى قولكم ، فكتبوه .. »

وبالطبع تولى ابن راشد بنفسه الكلام مع الهبطي ومحاولة توقيعه لصك الانهزام فذهب اليه وقال له : « سالتك بالله العظيم ونبيه الكريم أن تضع خطك على هذا الرسم ، لان السلطان بعثه اليك ، فقال هاته ، فكتب بخطه ما نصه : « قلدت في ذلك السلطان واليسيتني » فرجع ابن راشد بالصك الممضى الى السلطان « فلما رآه قال لهم : ان الشيخ لم يرجع الى قولكم ، لان التقليد ليس بشيء ، لكن قصروا عن هذا الامر » .

وكان هذا الامر السلطاني ختاما لهذه المناظرة العجيبة ..!!

ثم يقول صاحب الدوحة : « قام السلطان واخذ بيد الشيخ — الهبطي — وادخله معه الى داره وصار يعتذر له ، ويستعطفه ، ويتنصل مما فعله اليسيتني ثم ودعه الشيخ وانصرف » .

وهكذا صور لنا صاحب دوحة الناشر بوضوح قصة هذه المؤامرة الفاشلة التي دبرت للقضاء على الشيخ الهبطي ولولا يقظة السلطان محمد الشيخ لكانت نهاية هذه القصة شيئا آخر .. ومهما يكن من امر ، فما هي الدواعي الى كل هذا ياترى .. ؟ !

وهنا نرى أن موقف ابن راشد قد اوضحه ابن عسكر حيث قال : « وكان في نفسه من جانب الشيخ غضاضة لانه كان كثيرا ما ينكر عليه افعاله .. »

وبالطبع فان الشيخ الهبطي رائد الدعوة الاصلاحية في ذلك الوقت كان من واجبه أن ينتقد وبدون هوادة كل خروج عن السنة .. وكل انحراف عن الجادة ،،، وهذا جعله يصطدم بكثير من الناس وخاصة ذوى الرئاسة منهم .

وأما بالنسبة لدواعي الفقيه اليسيتني فلقد علل ذلك بعض معاصريه بأنه كان عصبي المزاج وكان عنيدا في التشبث برايه (10) الا انه يبدو أن الامر كان اكثر من ذلك ، فاليسيتني لكي يحافظ على سمعته ، وعلى مكانته العلمية .. كان يريد ان يتخلص من خصمه باى وسيلة ولو كانت القتل والاعدام .. !! وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ضيق الافق الفكري عند الرجل ، واما بالنسبة للسلطان فيبدو أن موقف علماء فاس من الدولة السعدية كان هو الارتياب والحذر في أول الامر حتى أنه بالرغم من ضعف الملوك الوطاسيين فان علماء فاس كانوا يقدرونهم .. وهذا هو السبب في التشبث ببيعتهم ذلك التشبث الذى ادى الى الحصار الطويل لفاس ، وادى كذلك الى اغتيال شيخ الجماعة بفاس عبد الواحد (11) الونشريسي ، الذى كاتبه السلطان السعدى أثناء حصار مدينة فاس فأجابه « ان بيعة هذا الرجل لا تزال برقبتي » يعني السلطان الوطاسي ولا شك ان السلطان الوطاسي هذا كان يقدر علماء فاس وينزل عند فتاويهم فكان هذا الاحترام متبادل بين الطرفين (12) وهنا ينبغي أن نتذكر موقف ابى محمد عبد الوهاب الزقاق من الدولة السعدية وهو من كبار علماء فاس في ذلك الوقت وكل هذا يشير الى ان هناك جماعة من العلماء ظلت مترقبة ، ولذلك اغتنم عبد الوهاب الزقاق أول فرصة لينتقد الدولة الجديدة ، اعنف انتقاد فعند ما استطاع ابو حسون الوطاسي استرجاع فاس (13) من يد محمد الشيخ كان الزقاق اول من مد اليه اليد ، وسبقت الاشارة الى ان الزقاق وجماعته لم يحضروا المناظرة بين اليسيتني والهبطي في محرم 959 ورأينا انه بمجرد تغلب محمد الشيخ السعدى على خصمه ابى حسون الوطاسي انتقم من الزقاق شر انتقام حيث قتله تلك القتلة الشنيعة التي أبدى فيها الزقاق شجاعة نادرة وصراحة متناهية (13)

ولعل هذا يوضح ان السلطان محمد الشيخ لم تجتمع عليه كلمة كبار علماء فاس في أول الامر ولذلك كان يسعى جهده في تلطيف الجو وجمع الكلمة .. ومهما يكن من أمر فان السلطان محمد الشيخ وجد بغيته في اليسيتني وجماعته .. ويبدو ان موقف الهبطي من

السلطان لم يكن موقف المنساق مع السياسة الجديدة تمام الانسياق خاصة ونحن نعرف ان الهبطى قد اشتهر بمواقفه الانتقادية ، وبمعارضته لرجال الحكم (14) وعرف بكونه داعية يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .

وهذا هو ما كان يحقده عليه ابن راشد كما لاحظنا ذلك من قبل .

واذا علمنا ان الحياة لم تطل باليسيتنى بعد هذه المناظرة الا بأيام معدودة وعلمنا كذلك بجزع السلطان محمد الشيخ لوفاته حتى انه بكى بصوت مرتفع ونحيب مسموع (15) ادركنا ان السلطان كان يرى فى اليسيتنى طليعة الجانب المؤيد له من علماء فاس وبالطبع ان السلطان كان يريد لهذا الجانب ان يقوى ..

النفى فى لا اله الا الله :

لم يهدأ الجدل حول (لا اله الا الله) بتهدئة السلطان لتلك الزوبعة التى كادت ان تودى بحياة الهبطى ، بل تدخل فى المسالة غير واحد من العلماء ، وفى طليعة الذين شغلوا انفسهم بموضوع النزاع حول النفى فى (لا اله الا الله) الهبطى واليسيتنى انفسهما فكلاهما كتب فى الموضوع واطال الكلام حوله .. ثم انصار كل من الرجلين حيث لاحظنا ان مجموعة من العلماء تصوب رأى الهبطى فى حين ان مجموعة اخرى تصوب ما ذهب اليه اليسيتنى (16) .

ومن اشهر تلامذة الهبطى الذين الفوا فى هذا الموضوع ولده ابو عبد الله محمد الهبطى ، ومن اشهر كتبه فى الموضوع كتابه كنز السعادة فى معرفة بيان ما ما يحتاج اليه من نطق بالشهادة (17) ولقى هذا الكتاب استحسانا من طرف العلماء واثنى عليه غير واحد . وله كذلك : تقييد فى معنى كلمة التوحيد وتحقيق نفيها واثباتها بطريق الحد والبرهان .. (18) وله مقالات فى هذا الموضوع .

ثم ابو عمران موسى الوزانى (19) ويعد هذا من اهم اصحاب وتلامذة الشيخ الهبطى وصفه صاحب الدوحة بقوله : « غزير العلم عظيم الفهم الف التاليف وجمع فتاوى فقهاء عصره فى مجلد ، والف فى الرد على الفقيه اليسيتنى فى مسالة الهيللة ، والف فى الرد على ابى الحسن الاغصاوى وله اجزاء كثيرة ما بين منظوم ومنثور .. » (20) وتعرض ابو الحسن على بن عيسى العلمى الشفشاونى النوازلى فى مؤلفه المعروف بنوازل العلمى لهذه القضية واتى باجوبة واقوال فى هذه المسالة ، واورد بعض اجوبة العلامة ابى عبد الله محمد بن جلال التلمسانى (21) فقال : « سئل الفقيه المفتى سيدى محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمسانى الفاسى الدار رحمه الله تعالى عن معنى (لا اله الا الله) — يقول العلمى — وكان وقع بين ولى الله تعالى سيدى عبد الله الهبطى والمفتى اليسيتنى اختلاف فى معناها ، وحصلت بينهما مناظرة بين يدى السلطان الشريف مولاى محمد الشيخ الحسنى ، فوقع من المفتى اليسيتنى فى ذلك كلام لا ينبغى ذكره ، (22) ولما طلب من سيدى محمد بن جلال ما عنده فى ذلك اجاب بموافقة سيدى عبد الله الهبطى وقال : « كلام اليسيتنى فى المسالة كلام لا يعقل ، وتكرر جوابه فى المسالة (23) ثم اتى صاحب النوازل بنص جواب مطول للشيخ ابن جلال ثم اردفه بجواب ثان وفى نهاية الجواب الثانى قال ابو الحسن العلمى ، « وعقب بخط بعضهم — اى جواب ابن جلال — ولعله ابو على سيدى الحسن بن عرضون الزجلى — يقول المعقب : « انظر جواب الفقيه المفتى سيدى محمد بن جلال رحمه الله تعالى ورضى عنه ، على ماذا يتسلط النفى فى كلمة الشهادة ، هل على المعبود بحق — اى لو كان — او على المعبود بباطل ؟ . ه » ويزيد صاحب النوازل قائلا : « ويتلوه — اى التعقيب — بخط الفقيه ابى العباس سيدى احمد بن عرضون (24) ومن خطه نقلت : « بل جواب المفتى صريح فى ان النفى لا يتسلط على المعبود بباطل فلا معنى للتردد فى ذلك — واذا كان التعقيب على الفتوى السالفة للحسن بن عرضون كما يرجح العلمى ، فيكون احمد بن عرضون ينتقد اباه فى تردده ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ان العواطف عند بعض علمائنا رحمهم الله لا مجال لها فى ميدان البحث العلمى — ويستمر احمد بن عرضون فى توضيح تدخله فيقول : « وقد قال — اى المفتى ابن جلال — بأن النفى انما يقع على ما لم يكن لا على ما كان ، والذى لم يكن هو المعبود بحق غير مولانا جل وعز ، فهذا هو الشىء الذى يتسلط عليه النفى ، واما المعبود بباطل منها فهو موجود ، ولكن لا عبرة بالوهيته وبتسميته الها .. »

وبعد ما انهى العلمى مناقشة احمد بن عرضون اتى بنقول هامة تلقى اضواء كاشفة على هذه القضية التى شغلت الاوساط العلمية فى ذلك الوقت وخاصة

ذلك النص الذى نقله الشيخ عبد القادر بن على الفاسى عن ابى العباس احمد بن على البوسعيدى الذى يقول :

« رايت كتابا كتبه سيدى عبد الله الهبطى لبعض معاصريه يشكو ما لقى من بعض العلماء من المشاتمة والوقاحة والتنازع فى كلمة (لا اله الا الله) . . » الى ان يقول : فشنع عليه منازعه المذكور ــ اى اليسيتنى ــ واغلظ عليه بالقول حتى ادى ذلك الى ان جمع سلطان الوقت بينهما وتناظروا وكان السلطان يكره ان يغلب منازعه لانه من خاصته فلما تحقق الشيخ الهبطى خائنة الاعين انفصل بلا اذن ولحق ببلده فرموه بمنجنقات البهتان ، وتولوه فى توحيد الله . . » (25) .

وبعد ما اورد لنا العلمى هذا النص الهام الذى اقتطفنا منه الفقرات السالفة يقول : « قلت وما ذكره الشيخ الهبطى فى بيان المنفى (لا اله الا الله) هو الموافق لما فسر به الا له ، وفسره بعضهم بالواجب الوجود المستحق للعبادة ، وفسره بعضهم بالمستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه ما عداه ، وهو الذى اعتمده الشيخ السنوسى . . » ثم اتى العلمى باقوال عن القرافى ، والسعد ، والشيخ زروق كلها تؤيد ما ذهب اليه الهبطى الى ان قال : « وللشيخ الهبطى رحمه الله فى هذا المعنى كلام ، نظما ونثرا مما وقفت عليه من ذلك . . » (26) .

وهكذا اشغلت الناس هذه القضية مدة طويلة من الزمن ، وافتى فيها المفتون ، واعتنى بها اصحاب كتب النوازل وكتب العقائد . . واستمر الجدال فيها اكثر من قرنين من الزمن . واعتنى بالاشارة اليها كتاب التراجم فكثير من الذين يترجمون للهبطى او لليسيتنى يتعرضون لهذه القضية التى اثارت ذلك النزاع الطويل . . واحتفظ لنا بعض كتاب التراجم بفتاوى هامة ، ومن ذلك ما اورده الشيخ احمد بن عجيبة فى كتابه ازهار البستان عند ترجمة الشيخ عبد الله الهبطى حيث قال : « وقد رايت سؤالا فى المسالة اى مسالة النزاع بين الهبطى واليسيتنى ــ ونص السؤال : « ساداتنا اعلام الهدى ارضاكم الله وابقاكم ما هو المنفذ الذى يجب ربط القلب عليه فى معنى (لا اله الا الله) هل ما اشار اليه الهبطى من انها لم تتعرض لمعبودات الكفار وانما النفى فيها مسلط على النفى المقدر ، أم ما صرح به اهل الحق من انها لنفى جميع انواع الشرك وضروبه ، ناسخة لدعوى الجاهلية الوهية الاصنام ، معترضة للرد عليهم معرفة بخطاياهم كما عند الامام المنجور (27) وغيره ، فان طائفة من المتطلبة ــ كذا ــ جنحت الى ما للهبطى ونسبت من يعتمد خلاف ذلك الى الضلال . . فما وجه الصواب ؟ ولكم الثواب . فأجاب سيدى عبد القادر الفاسى (28) فقال . . » (27).

اذن فهذه المسالة شغلت الاوساط العلمية فى ذلك الوقت وكثر حولها الاخذ والرد ، وتضاربت فيها الآراء واثير هذا النقاش فى حلقات الدروس وخارجها وبين الاساتذة والطلبة . . ويبدو ان حدة هذا النقاش كانت عنيفة ، ولعل هذا هو الذى حمل ابا على بن مسعود اليوسى (30) على تاليف كتابه القيم الذى سماه : «مشرب العام والخاص ، من كلمة الاخلاص»

ومما جاء فى مقدمة هذا الكتاب قول المؤلف :
« وقد كانت هذه الكلمة المشرفة نشأ فيها نزاع بين المتأخرين من زمن ابى محمد عبد الله الهبطى ، وذلك فى المنفى المستثنى منه ، اهو المعبود بالحق ؟ ام غيره ؟ ثم لم يزل الى الآن يثور فيها بين الطلبة النزاع والقراع وربما انجر ذلك الى كلام بشع ومنكر شنيع وتضليل وتشنيع ــ . . ــ فأردت ان ابين ان شاء الله معناها واسس مبناها . . » (31) .

وبالطبع فان ابا الحسن اليوسى رحمه الله قد كشف لنا عن اطلاعه الواسع فى موضوع علم العقائد ؛ حيث عرض الافكار وحللها وناقشها ، وانتقد واستنتج واستخلص . . مستعملا فى ذلك ملكته الواعية وحافظته العجيبة ، واسلوبه البارع . . وبعد جولاته الهامة فى هذا الموضوع نرى اليوسى يقرر هذه الحقيقة فيقول :
« وتعلم مما أوضحنا ان الخلاف الواقع فى هذه الكلمة المشرفة بين المتأخرين ليس اختلافا يرجع الى التوحيد فى الاعتقادات ، كلا ومعاذ الله ، بل كلهم متفقون على الحق وهو ان الله تعالى لا شريك لـه فى الوهيته سبحانه . . وانما هو اختلاف يرجع الى القدير والتحرير وهو كالخلاف فى حال ، سببه فى المتكلم قلة التأنق والاستبصار فى العبارة والاعتبار ، وفى المعترض سوء التأمل والمؤاخذة على ادنى تخيل ، فوقع للهبطى رحمه الله انه لم يتحفظ فى اكثر عباراته بل لا زال يقول : الاصنام خارجة ولم يبين بأى اعتبار خرجت ، وان بينه لم يبين الاعتبار الذى به تدخل . . ووقع للمعترضين عليه كذلك ، انهم لم يتأملوا ما انتهج ولا التمسوا له احسن مخرج .

واما كل من يخلط الى زمننا هذا فى المسالة فهم غالبا علـى هذيـن النحيين ، ولكـل نصيب ممـا اكتسبوا » (32) .

وفى اثناء تحليل اسباب النـزاع بين الهبطـي وخصومه يقول اليوسى : « نعم حكم ـ الهبطى ـ بأن الاصنام لا دخل لها فى النفى ، وله فى ذلك مجالان واعتباران .. فكيف ساغ لذى المجال الواحد ان يشنع وينكر على ذى المجالين ،، ؟ . ان ذا لمن العجب مع انه لا نزاع ولا خلاف أصلا ، اذ كل منهما يسلم فى نفس الامر مقال الآخر ، وينشا النزاع مـن مجـرد الاوهام وعدم التشبث فى الكلام وقلة التدبر فى العبارات والاحاطة بأنواع الاعتبارات .. » (33) .

واثبت المؤلف هذا بعد ما نفى ما نسبه خصوم الهبطى له ، واتى بجملة من كلامه نظما ونثرا ، اى بمقتضيات من تلك المقالات التى كان يصدرها الهبطى بيانا ودفاعا عن وجهة نظره فى فهم كلمة الاخلاص .

وهكذا نلاحظ ان الجدال حول كلمة الاخـلاص شغل جمهور المثقفين بالمغرب مدة طويلة من الزمان .

ونحن اذ نظرنا الى هذه القضية بنـوع مـن الواقعية فاننا نأسف لتلك الاوقات الثمينة التى صرفت فيهـا ..

ونأسف كذلك لذاك الجدال الذى ثار حولها بين علماء أجلاء لهم فى ميدان العلم والثقافة مكانة وايـة مكـانـة ..

فابو عبد الله محمد اليسيتنى كان مـن كبـار العلماء ، خصه غير واحد من اصحاب التراجم بالثناء على سعة علمه ، والاشادة بمشاركته فى العلوم خاصة وان اليسيتنى قام برحلات علمية هامة فى شمال افريقيا وبلاد المشرق ، واستفاد من هذه الرحـلات فوائـد كثيرة ، وكان متضلما فى كثير من العلوم ..

اما ابو محمد عبد الله الهبطى فهو المصلح الداعية الذى اوقف حياته على الدعوة الاصلاحية وناضـل فى سبيل ذلك ، ولقى كثيرا من المضايقات ومع ذلك صبر الى آخر رمق من حياته ، بل منهم من يقول : انه مات متأثرا من السياط التى ضرب بها من طـرف بعض الحكام المتسلطين ، وبالاضافة الى هذه الاستماتة فى سبيل الدعوة الاصلاحية فانه كان غزير العلم كثير المعرفة ، مشاركا فى عدد من العلوم وكان مبرزا فى علم البيان ، والاصول ، والعقائد ، وجاعلا من منزلـه مدرسة علمية اخرجت كثيرا من العلماء كولديه المحمدين ومحمد بن على بن عسكر صاحب الدوحة وابى عمران موسى الوزانى التى سبقت الاشارة اليه ونحن ان تأملنا اصل هذا النزاع نجده وقع فى كلمة فهم الناس معناها منذ ان نطق بها صاحب الرسالة محمد ـ ص ـ وجاهد المسلمون من اجل تثبيتها ونشرها قرونا طويلة ، وفهموا من اول وهلة نفيها واثباتها ..

لكن هذا النزاع نشا عن المبالغة والغلو فى حك الالفاظ وتوليد المعانى منها : مع شغف الناس بدراسة العقائد بالبراهين الارسطية وشغفهـم بالسنوسيـة الصغرى والكبرى شرحا وتعليقا .. وكل ذلك ادى الى ضياع وقت ثمين من عمر الثقافة فى بلادنا . وهذا مما نأسف له اليوم شديد الاسـف .

واثارة مثل هذه المواضيع فى العصر الحاضر يعود الى الرغبة فى الوقوف عند ظاهرة ذلك الخلاف الذى استقطب انظار العلماء والفقهاء ، والطلبة والولاة . والمجالس العلمية بل وحتى رجل الشارع .

ومن هنا جاءت اهمية تسجيل هذه الظاهرة التى لاحظنا انها كانت ذات ابعاد مختلفة ..

ولعله لا يجمل بنا ان نمر بمثل هذه الظواهر دون ان نقف عندها ، وذلك على الاقل لكى ندرك مقدار التطور الذى حصل فى حياتنا الثقافية والاجتماعية وندرك مقدار الايمان بالله تعالى الذى كان يتغلغل فى اعماق قلوب اجدادنا رحمهم الله .

ونحن ازاء هذه الظواهر يكون لزاما علينا ان نعرضها عرضا محايدا وان ندرسها كظاهرة من الظواهر الثقافيـة والاجتماعيـة .

ودراسة هذه الظواهر يتضمن فوائد كثيرة . فنحن من خلال ذلك نستطيع ان نتعرف على مستوى الحياة الفكرية والاجتماعية ـ فى عصر حدوث الظاهرة .

وبالاضافة الى ذلك نتعرف على عدد من الاعلام والشخصيات التى ساهمت فى الميدان الثقافى والسياسى والفكرى ببلادنا ـ فى وقت ما ـ وكثيرا ما تكون هذه الشخصيات مجهولة عند البعض ، او منسيـة عنـد البعض الآخر ، بالرغم من انها كانت لها مشاركة فعالة فى الميدان الفكرى والثقافى والاجتماعى .. فى وقت ما من الاوقات .

وبالاضافة الى هذا وذاك فانه من الواجب على المثقف ان يعرف الكثير عن الحياة الفكرية فى بلاده ــ اولا وقبل كل شىء ــ حتى تكون انطلاقته عن وعى بالذات وللذات .. وله بعد ذلك أن ينتقد ويرفض ، أو يحبذ ويقبل .

تطوان ــ عبد القادر العافية

هــوامش

(1) ينسبه صاحب الدوحة الى صفاقص ، وينسبه غيره الى طرابلس ، انظر فى : الدوحة : 13 ــ السلوة 2 : 258 الجذوة 1 : 322 وتحدث صاحب الاستقصا عن سفارته للمغرب : 5 / 27 ط دار الكتاب .

(2) اى قواعد الاسلام الخمس : الشهادة ــ الصلاة ــ الزكاة ــ صوم رمضان ــ الحج .

(3) دوحة الناشر، ص ــ 8 ــ ط حجرية بفاس .

(4) عبد الله الهبطى هو الشيخ أبو محمد الذى اشتهر بدعوته الاصلاحية وبمدرسته العلمية على النهج الصوفى السنى وله بعض الآثار نظما ونثرا ، واشتهرت الفيته السنية ، التى انتقد فيها الاوضاع الاجتماعية السائدة فى عصره ــ ترجم له الكثيرون وفى مقدمتهم ولده محمد الهبطى ، وصاحب الدوحة .. وغيرهما توفى سنة 963 هـ . ويعد من أبرز تلامذة الشيخ الغزوانى ، واخذ عن الهبطى الكثيرون انظر الجذوة : 2 / 470 الدرة ص : 345 ط ، الرباط ، والدوحة ص : 7 وأزهار البستان ص ، 138 والاكليل للقادرى ص 56 .. وشجرة النور ص : 284 .

(5) فى ترجمة اليسيتنى انظر الدوحة .. ص ودرة الحجال : ترجمة : 631 ط ، الرباط 1934 والفهرست لاحمد المنجور مخطوط الخزانة العامة بالرباط ونشر الاستاذ محمد حجى

(6) يذكر الذين ارخوا للدولة السعدية أن سنة 956 هـ هى السنة التى فتح فيها محمد الشيخ فاس الا أن ابن القاضى ــ فى لقط الفرائد ــ جعل ذلك من احداث سنة 955 هـ قال « وفى هذه السنة ــ 955 ــ دخل ابو عبد الله المهدى مدينة فاس من يوم الاثنين 27 حجة زوالا وبعد الدخول صلى صلاة الفتح » ــ لقط الفرائد مخطوط خ ــ ع ــ ر ــ رقم 5270 .

(7) انظر ترجمة محمد الشيخ (كمالم) فى الجذوة لابن القاضى ، 1 / 212 ط دار المنصور بالرباط .

(8) هذا يبين مقدار الشعبية التى كانت للشيخ الهبطى والا لما كان لهذه الوشاية موضوع .

(9) محمد الطالب هذا كانت له صلة وثيقة بالشيخ الهبطى لان شيخهما واحد وهو : أبو محمد عبد الله الغزوانى الصوفى الشهير ترجم له صاحب الدوحة ص : 46 وصاحب السلوة : ج 2 ص 32 .

(10) انظر الدوحة ص 11 .

(11) الاستقصا ــ ج 5 ــ ص 22 طبعة دار الكتاب ــ الدوحة ص 41 .

(12) انظر ترجمة الونشريسى عبد الواحد فى الدوحة ص ــ 41 حيث يذكر صاحب الدوحة شيئا من ذلك .

(13) نفس المصدر ــ ص ــ 43 ــ والاستقصا ــ ص ــ 29 ــ ج ــ 5 .

(15) الاستقصا ــ ج 5 ص 27 .

(16) ونجد صدى هذا الخلاف بين الهبطى واليسيتنى فى كتب التوحيد والعقائد حيث تعرض له كل من الشيخ مبارة فى الدر الثمين والشيخ الطيب بن كيران ، وجل الذين شرحوا السنوسية أو علقوا عليها.

(17) الكتاب مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2279 د .

(18) رقمه : 2076 د ، خ ، ع ، ر ، انظر ترجمة محمد ابن عبد الله الهبطى فى الصفوة للافرانى ص 86 ، وازهار البستان لاحمد بن عجيبة ص 184 بالخزانة الملكية بالرباط ، تحت رقم : 417 .

(19) هو من تلامذة الشيخ عبد الله الهبطى انظر ترجمته فى الدوحة ص 32 توفى سنة 969 هـ .

(20) المصـــدر السالف .

(21) محمد بن عبد الرحمن بن جلال التلمساني (907 — 981) ولد بتلمسان ورحل الى فاس سنـــة 958 هـ وتقلد الفتيا والتدريس والخطابة بجامع الاندلس ثم بالقرويين . كان مبرزا في علم العقائد ، ترجمه ابن عسكر في الدوحة ، وابن القاضي في درة الحجال وغيرها . . انظر الدوحة ص 91 ، والدرة ج 2 ص 214 ط دار التراث القاهرة ، ونيل الابتهاج ص 340 . .

(22) لعله يشير الى ما صرح به ابن عسكر من قول اليسيتني للسلطان : « ان هذا المبتدع دمه حلال ، اقتله على رقبتي . . » كما سبق .

(23) نوازل العلمي ج 2 ص 366 ط حجرية بفـــاس 1303 هـ .

(24) احمد بن عرضون من فطاحل فقهاء بني زجل بغمارة . ولي قضاء شفشاون لاكثر من ربع قرن ، له اجتهادات فقهية عجيبة ، وكان من اشهر واذكى قضاة وقته له عدة مؤلفات هامة ترجم له غير واحد توفي سنة 992 هـ ، فهو من صميم القرن العاشر الهجري .

(25) نوازل العلمي ج 2 ص 368 .

(26) نفس المصـــدر .

(27) الامام احمد المنجور ترجم له غير واحد وفي مقدمة من ترجم له تلميذه ابن القاضي في الجذوة ودرة الحجال حيث خصصه بترجمة هامة ذكر فيها انواع العلوم التي كان الامام المنجور مبرزا فيها وذكر تاليفه ، واعماله في الميدان الثقافي . واتى بنبذة من نظمه واثنى عليه بالغ الثناء ، واشتهر المنجور بفهرسته التي الفها لاحمد المنصور الذهبي . . انظر جذوة ص 67 والـــدرة : 1 / 84 ط ، الربـــاط سنة 1934 م والنيل ص : 95 ، والصفوة ص : 4 والسلوة : 3 / 60 وفهرس الفهارس 2 / 6 — 8 وشجرة النور 1 / 287 .

(28) يكنى بابي السعود وهو عالم جليل مشهور ترجم له الكثيرون وله بعض المؤلفات ، انظر الدليـــل للاستاذ عبد السلام بن سودة ص : 62 ط دار الكتـــاب والصفوة ص : 181 وشجرة النور ص : 314 توفي سنة 1091 هـ .

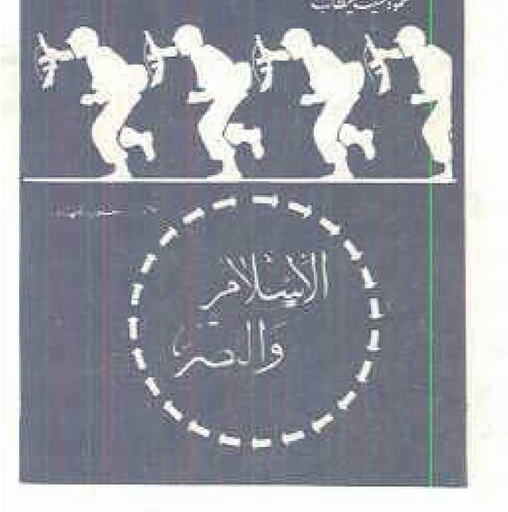
(29) ازهار البستان لابن عجيبة ص : 138 مخ ، خ ، م ، ر ، 417 — انظر الجواب هناك .

(30) ابو علي اليوسي (1040 — 1102) ولد بآية يوسي بالاطلس المتوسط وصفه الافراني بانه آخر علماء المغرب على الاطلاق ، واليوسي عالم جليل ومؤلف بارع قام بعدة جولات علمية مفيدة داخل المغرب ، وهو من ابرز اساتذة مراكش ، وزاوية الدلاء ، وفاس ، وله مؤلفات كثيرة وقصائد رائعة ، ومواقف شجاعة . . رحل الى المشرق مرتين ولقي اكابر العلماء . . ترجم له غير واحد من كتـــاب التراجم انظر فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ج 2 حرف الياء ، والصفوة ، 205 . .

(31) مشرب العام والخاص من كلمة الاخلاص ، المقدمة ص : 2 طبع على الحجر بفاس سنة 1327 هـ .

(32) نفس المصدر 209 .

(33) نفس المصدر 84 وما بعدها ، ولقد اشار الى هذا النزاع حول كلمة الاخلاص الاستاذ عبد الله كنـــون في كتابه النبوغ المغربي بالجزء الاول عند كـــلامه عن التوحيـــد .



"الإسلام والنصر"

الإعداد المعنوي للجهاد - ٢ -

اللواء الركن محمود شيت خطاب

1

رددت اجهزة الاعلام العربية كثيرا تعبير : (الحرب النفسية) بعد نكسة سنة 1967 ، فاصبح هذا التعبير شائع الاستعمال في البلاد العربية .

وقد صدرت في اللغات الاجنبية دراسات مستفيضة عن (الحرب النفسية) ، تتحدث باسهاب ودقة عن معانيها واساليب تطبيقها واجهزتها واهدافها والوسائل الفعالة في استخدامها ومظاهرها الاساسية وطرق الوقاية من شرورها .

واطلعت على تلك الدراسات الاجنبية ، فوجدت طرق الوقاية من شرور (الحرب النفسية) معقدة صعبة لان الباحثين الاجانب اعتمدوا على الوسائل (المادية) في معالجتها ، فهم يزنون كل شيء في الحياة بميزان المادة وحدها ويعتبرون المادة هي المشكلة وهي الحل ووازنت بين حلول الاجانب وحلول الاسلام لمعضلات (الحرب النفسية) ، فلمست كيف يبسط الاسلام ما عقدوه ويسهل ما صعبوه ! !

فما هي الحرب النفسية ؟ وما الفرق بين الحرب الفعلية والحرب النفسية ؟ وكيف يدفع الاسلام اخطارها عن المجتمع الاسلامي ؟

الحرب : هي القتال الناشب بين دولتين او اكثر للحصول على مقاصد سياسية واقتصادية بقوة السلاح

والحرب النفسية هي الجهود السلبية والايجابية التي تبذل في ايام الحرب والسلام ، لتحطيم المعنويات وفرض الاستسلام .

والمعنويات : هي القوى الكامنة في صلب الانسان التي تكسبه مزية ارادة القتال .

وارادة القتال : هي التصميم على خوض الحرب دفاعا عن العقيدة والارض والعرض ، وتحمل اعباء الحرب بذلا للاموال وتضحية بالانفس واستهانة بالاضرار والعقبات ، وصبرا على البأساء والضراء ، مهما طال المدى وبعد الشوط وكثر العناء وازدادت المصائب وسالت الدماء .

والهدف الاصلي من الحرب ، هو تحطيم القوات المعادية جيشا وشعبا ، بحيث لا تقوى على المقاومة وترضى بشروط المنتصر .

وتحطيم القوات العادية يشمل تحطيم طاقاتها المادية والمعنوية لفرض شروط الاستسلام عليها .

تلك هي تعاريف موجزة لمصطلحات عسكرية شائعة اصبح تفهمها ضروريا للعرب والمسلمين ، خاصة في هذه الظروف التي يجتازها العرب والمسلمون .

ومن الواضح ان هدف لحرب الفعلية هو القضاء على جسد الانسان بالدرجة الاولى ، وهدف الحرب النفسية هو تحطيم نفسيته .

والحرب النفسية تشن قبل الحرب الفعلية للتاثير في معنويات العدو ، وفي اثناء الحرب للتاثير في ثباته ومقاومته ، وبعد الحرب لاجبار العدو على الاذعان الى المنتصر .

2

ان الحرب النفسية تعبير يرادف تعابير : حرب

الدعاية ، وحرب الاعلام ، والحرب الباردة ، والحرب العقيدية ، والحرب السياسية .

وهذه الحروب قديمة قدم التاريخ ، لاتختلف فى شكلها الحالى عما كانت عليه من قبل الا فى الوسيلة والتطبيق ، وقد ظل هدفها الرئيسى هو التأثير فى نفسية العدو والقضاء على معنوياته . ويتم التأثير فى نفسية العدو ومعنوياته باستخدام علم النفس وتطبيقاته الاجتماعية ، للتشكيك فى الافكار والمعتقدات ، وزعزعة الايمان بالنصر ، واشاعة الانهزامية ، وتأجيج الاحقاد باستثارة الطائفية ، والتفرقة العنصرية ، والعقيدية واثارة الكراهية بين الشعب وحكومته ، ومحاولة كسب العناصر المحايدة والمترددة ، والتخويف من الموت والفقر والمجهول ، وبث الذعر واطلاق الاشاعات ، والمبالغة فى قوة العدو والزعم بأنها لاتقهر .

ويستعين العدو بشتى الوسائل لتحقيق اهداف الحرب النفسية ، فهو يستعين فى الحرب بنشرات الاستسلام التى يوزعها بالطائرات على القوات المقاتلة وفى الصفوف الخلفية وعلى القواعد المتقدمة والامامية والخلفيــــة .

ويستعين فى الحرب بمكبرات الصوت والاذاعة للحث على الاستسلام ، وللقيادة الحصيفة المسيطرة هى التى تمنع العسكريين وغيرهم من التقاط منشورات العدو والاصغاء الى مكبرات صوته واذاعته

وقد استعان الحلفاء والمحور فى الحرب العالمية الثانية (1939 — 1945) بأساليب الحرب النفسية ، فنجح الحلفاء فى تحطيم معنويات الايطاليين مما ادى الى استسلامهم للحلفاء بأعداد ضخمة ، ولم ينجحوا فى تحطيم معنويات الالمان واليابانيين .

كان الالمان واليابانيون يرفضون سماع الاذاعات المعادية ، وكان الايطاليون يقبلون على سماع الاذاعات المعادية ويتناقلون اخبارها ويصدقونها فى اغلب الاخبار لذلك انهاروا بسرعة وقبلوا شروط الاستسلام .

ويستعيــن العــدو فى أيام السلام بنشــرات الاستسلام والمنشورات الصحفية ومكبرات الصــوت والافلام السينمائية والمعارض والملصقات والصــور والاذاعات والاشاعات والمخربين والجواسيس والوعد والوعيد واشاعات الانحلال الخلقى والفساد والذعر والخوف والتشكيك بالقيم والمثل العليــا .

3

فما هى الحلول الجذرية البسيطة السهلة التى يعالج بها الاسلام آفات الحرب النفسية ؟

ظهر لنا مما تقدم ان اهم اهداف الحرب النفسية هى : التخويف من الموت والفقر ، ومن القوة الضاربة للمنتصر ، والدعوة الى الاستسلام ، وبث الاشاعات والاراجيف ، واشاعة الاستعمار الفكرى بالغــزو الحضارى ، وبــث اليــأس والقنــوط

المؤمن حقا لايخشى الموت ، لانه يؤمن بانه لايموت الا بأجله الموعود . قال تعالى : (اذا جاء اجلهــم فلا يستأخرون ساعة ولايستقدمون) 1 ، وقال تعالى : (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) 2 وقال تعالى : (وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) 3 وقال تعالى : (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) 4 ، وقال تعالى : (قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) 5 .

ان المؤمن حقا يعتقد اعتقادا راسخا بان الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ، وما اصدق قولة خالد بن الوليد رضى الله عنه عندما حضرته الوفاة : «ما فى جسمى موضع شبر الا وفيه طعنة رمح او سيف ، وهاأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير . فلا نامت اعين الجبناء» 6 .

والمؤمن حقا لا يخاف الفقر ، لانه يعتقد اعتقادا راسخا بأن الارزاق بيد الله سبحانه وتعالى ، وانه يرزق النملة المنفردة فى الصخرة المنفردة فى البحر المحيط فكيف ينسى رزق الانسان ؟

---

1 — يونس 49 .
2 — الاعراف 34 ومن النحل 61 .
3 — آل عمران 145 .
4 — النساء 78 .
5 — آل عمران 154 .
6 — اسد الغابة 95/2 والاستيعاب 43/2 .

قال تعالى : (والله يرزق من يشاء بغير حساب) 7
وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) 1 ، وقال تعالى : (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) 2 .

والمؤمن حقا لا يخشى قوات العدو الضاربة ، فما انتصر المسلمون فى ايام الرسول القائد عليه افضل الصلاة والسلام ، وفى ايام الفتح الاسلامى العظيم بعدة او عدد ، بل كان انتصارهم بالاسلام ، قال تعالى (قال الذين يظنون انهم ملاقو الله ، كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين) 3 ، وقال تعالى : (يايها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين ، وان تكن منكم مائة يغلبون الفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون . الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً ، فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله . والله مع الصابرين) 4 ، وقال تعالى : (الذين قال لهم الناس ، ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) 5 .

والمومن حقا لا يقر بانتصار احد عليه ما دام فى حماية عقيدته ، فهو لا يستسلم ابداً ولا يفكر فى الاستسلام ، لانه يؤمن بأن انتصار العدو عليه قد يدوم ساعة ولكنه لا يدوم الى قيام الساعة . قال تعالى : (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس) 6 . وقال تعالى (ان مع العسر يسرا) 7 . وقال تعالى : (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لا يعلمون 8 ، وقال تعالى «ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا» 9 .

والمؤمن حقا لا يصدق الاشاعات والاراجيف ولا يبثها ، بل يقضى عليها فى مهدها وينبذ مروجيها ويفضحهم ولا يسكت عليهم . قال تعالى : (يا ايها الذين آمنوا ان جائكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) 10 ، وقال تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم) 11 ، وقال تعالى : (واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم 12 .

والمؤمن حقاً يقاوم الاستعمار الفكرى ويصاول الغزو الحضارى الذى لا طائل من ورائه ، لان له من مقومات دينه وتراث حضارته ما يصونه من تيارات المبادىء الوافدة التى تناقض دينه وتراثه وحضارته وتذيب شخصيته وتمحو آثاره من الوجود . قال تعالى : (قل يايها الكافرون ، لا اعبد ما تعبدون ، ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولى دين) 13 .

وقال تعالى : (قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما انا من المشركين 14 .

والمومن حقا لايقنط ابدا ولاييأس من نصر الله ورحمته قال تعالى : (لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) 15 . وقال تعالى : (قل ومن يقنط من

7 — البقرة 212 .
1 — الطلاق 2 .
2 — هود 6 .
3 — البقرة 249 .
4 — الانفال 65 . 66 .
5 — آل عمران 173 . 174
6 — آل عمران 140 .
7 — الانشراح 6 .
8 — المنافقون 8 .
9 — يونس 64
10 — الحجرات
11 — الاحزاب 60 .
12 — النساء 83 .
13 — الكافرون 1 — 6 .
14 — يوسف 108 .
15 — الزمر 53 .

رحمة ربه الا الضالون) 1 . وقال تعالى : (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون) 2 . وقال تعالى (وان مسه الشر فيئوس قنوط) 3 .

تلك هي الحلول الجذرية السهلة البسيطة التي يعالج بها الاسلام آفات الحرب النفسية . ومن موازنة هذه الحلول بحلول الاجانب نجد عظمة الاسلام في حماية المسلمين من شرور الحرب النفسية ، وبهذه الموازنة بين حلول الاجانب المعقدة وحلول الاسلام البسيطة تذكرت قولة (برناردشو) في رسالة باللغة الانجليزية سماها : (نداء العمل) وتأكدت من انصافه ، فقد قال : «ان محمدا يجب ان يدعى منقذ الانسانية ، ولو ان رجلا مثله تولى قيادة العالم الحديث ، لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة اليهما» 4 .

4

لقد ذكرت ان الحرب النفسية لا تؤثر في المؤمن الحق فهل العرب والمسلمون اليوم مؤمنون حقاً ؟

لابد من اعادة النظر في (بناء الرجال) ليكونوا دعامة الحاضر وسند المستقبل ، ولتكون الامة الاسلامية خير امة اخرجت للناس .

والسبيل الى ذلك هو :

ا — يجب ان يتحمل الآباء والامهات واجباتهم كاملة في تربية الطفل ، لان كثيرا منهم قد أهمل هذه الناحية اعتمادا على المدرسة ، فيجب تلقين الاطفال مبادىء الدين الحنيف واسس الخلق القويم في البيت قبل الالتحاق بروضة الاطفال والمدرسة .

ان الطفل الذي لا يتلقى التربية الصالحة من والديه في بيته قبل ذهابه الى الروضة والمدرسة ، او يتلقى في البيت تربية فاسدة ، تعجز الروضة والمدرسة عن تقويم اعوجاجه التربوي ، ومن المؤسف حقا ان كثيرا من المدارس لا تعلم التدين وان البعض منها يعلم ما يتناقض مع الدين ولا يؤيد .

ان البيت هو المدرسة الاولى للاطفال ، وفيه يوجهون مبكرا الى الخير والشر ، والاطفال يقتبسون مزايا آبائهم وامهاتهم ، والمثال الشخصي للابوين يؤثر في اطفالهم اعمق التأثير ، فمن خاف على عقبه وعقب عقبه فليتق الله .

والأطفال المنحرفون والشباب المنحرف هم نسخة طبق الأصل من ابويهم ، ولا عبرة بالاستثناء .

ان الاطفال امانة لدى الوالدين ، ورب البيت الذي لا يربي اولاده تربية سليمة ولا يستطيع السيطرة عليهم في دور المراهقة خائن و جبان .

والذي يدع عرضه نهبا لاعين الفساق من الناس خائن وجبان وديوث ،

ب — اعادة النظر في تربية النشء الاسلامي ووضع مناهج تربيتهم على اسس مستمدة من تعاليم الدين الحنيف ،

ان تفشي التردي الخلقي بين ابنائنا يخدم اسرائيل واعداء العرب والمسلمين ، فلماذا نخرب بيوتنا بأيدينا ؟

ان اعداد المعلم والاستاذ اعدادا سليما هو مفتاح الاصلاح التربوي ، فلابد من اعطاء هذه الناحية أعظم درجات الاهتمام

يجب ان ندخل التعليم الديني في مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا ، وان نعد مناهج هذا التعليم باستشارة علماء الدين الحنيف .

ومن المؤلم ان التعليم الديني حورب في البلاد العربية والاسلامية محاربة لا هوادة فيها حتى تلاشى هذا التعليم في المدارس والمعاهد والكليات او كاد .

ومن المذهل حقا ان رجال التربية والتعليم العرب المسلمين هم الذين ذبحوا التعليم الديني بغير سكين وبهذا نفذوا اهداف الاستعمار والصهيونية في سلب العقيدة من المتعلمين !

فهل يمكن ان نصدق ان ذلك جرى عفوا ، ام ان الايدي الخفية كانت وراء الاكمة ، فسخرت التافهين

---

1 — الحجر 56 .
2 — الروم 36 .
3 — فصلت 49 .
4 — من رسالة بالانجليزية «نداء العمل» مجلة الازهر ، ج 10 س 4 ص 720 .

والامعات والعلماء واشباه الرجال لوضع مخططاتها التخريبية موضع التنفيذ فى ميدان التربية والتعليم .

ج ــ يجب اقامة المساجد فى كل مدرسة ومعهد وكلية وحث التلاميذ والطلاب على اداء فريضة الصلاة .

وقد دأب التلاميذ والطلاب على القيام بسفرات محلية وخارجية ، فلماذا لا يقومون بسفـرات لاداء فريضة الحج والعمرة ولو مرة واحدة فى كل قطر عربى واسلامى فى كل عـام ؟ !

اليس من الغريب ان نسافر الى الشرق والغرب ولا نزور الديار المقدسة ؟ !

لقد سافرت لاداء فريضة الحج يوم كنت فى السنة الثالثة من المدرسة الاعدادية مع جماعة من التلاميـذ والمدرسين ، فاثر ذلك فى نفسى تأثيرا لا تمحوه الايام ووجهنى الى الخير والنور ، فلماذا لا نكرر هذه التجربة على اكبر عدد من التلاميـذ والطـلاب والمـدرسين والاسـاتـذة ؟ !

د ــ مراقبة تصرفات التلاميذ والطلاب والمدرسين والاسـاتذة ووضـع حد للانحراف والمنحرفين بحزم وقوة لمصلحة اولئك المنحرفين .

ان (الحرية) التى بدون قيود هى «فوضى» ، والحرية الحقة فى التصرف ضمن اطار الفضيلة والخلق الكـريم .

اننا لسنا بحاجة الى «حرية» التفسخ والانحلال والضيـاع .

ان عقلاء الاجانب ومفكريهم متذمرون من ضياع شبابهم ، فلماذا نستورد الانحلال من وراء الحـدود باسم الحرية والمدنية ، ، ، الخ من شعارات .

هـ ــ على الدولة العربية الاسلامية ان تشجع الفضيلة وتقضى على الرذيلة وان تولى مقالد الامور الملتزمين بالفضيلة والدين حتى يكونوا اسوة حسنة لغيرهم لان فاقد الشىء لا يعطيه ، وعلى هذه الدول تحريم تقديم الخمور فى حفلاتها الرسمية وان تمنـع استيراد الافلام الخليعة وعرض التمثيليات اللا اخلاقية فى الاذاعة المرئية والمسموعة وتمنع مجلات الجنس وقصص المخدع و دب الجنس .

لقد نقلنا المراقص الخليعة بالاذاعة المرئية الى كل دار ، فالله الله فى اخلاق اطفالنا وشبابنا .

و ــ على الدول ان تختار العلماء العاملين من رجال الدين للنهوض بواجب التوعية الدينية فى الاذاعة والصحافة واجهزة الاعلام والمساجد والنوادى وقاعات المحاضرات وقصور الثقافة .

ان حاجة العرب والمسلمين اليوم الى عاملـين كأسد بن الفرات والعز بن عبد السلام وابى الحسن الشاذلى وابن تيمية ، لا تقل اهمية عن حاجتهم الـى قادة افذاذ كخالد ابن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى فمتى يعطى العلماء العاملون حقهم ، ومتى يفسح لهم المجال للنهوض بواجباتهم الدينيـة ؟

ز ــ على المسؤولين عن اختيار طلاب الكليـة العسكرية التدقيق الشديد فى اختيار العناصر المؤمنة القوية الامينة ، وعـدم اختيار غير الملتزمين بالخلـق المتين وتعاليم الدين الحنيف .

كما يجب اختيار الضباط المعلمين المتدينين مـن ذوى الكفايات العالية ليكونوا ضباطا مدربين ومعلمين فى الكلية العسكرية ، لان هؤلاء يطبعون الطلاب بطابعهم ويكونون قدوة حسنة لهم .

كما يجب الاهتمام باقامة الشعائر الدينية فى اوقاتها فى الكلية العسكرية والجيش ، وادخال التعليم الدينى فى منهج الكلية العسكرية والجيش ، ومن المهم بناء مسجد فى كل معسكر وكل كلية ومدرسة عسكرية ،

ح ــ يجب حث العسكريين كافة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ، ومن الضرورى تحريم الخمور والميسر فى الجيش تحريما صارما ومعاقبة المخالفـين اشـد العقـاب

ولا بد من تعيين «امام» فى كل وحدة عسكرية لقيادة العسكريين من الناحيـة الدينيـة

والفت الانظار الى اهمية اختيار الائمة العسكريين من العلماء العاملين لا من المرتزقة الجاهلين

ط ــ من الضرورى اجراء مسابقات دينية بين العسكريين ، كاتقان قراءة القرآن وحفظ الكتـاب العزيز وتفسير الذكر الحكيم واعداد المحاضرات الدينية والقـائهـا ، ، الـخ

واقترح ان يوفد المتفوقون سنويا لاداء فريضة الحج على نفقة الجيش مكافأة لهم على تفوقهم .

تلك مقترحات آمل ان تصل الى آذان المسؤولين

العرب والمسلمين وان يعملوا على تنفيذها نصاً وروحاً ، وحينذاك تتحطم شرور الحرب النفسية على صخـرة الايمان وينتصر العرب والمسلمون على اسرائيل وعلى من وراء اسـرائيل ، ومن تكون اسرائيل وغير اسرائيل بالنسبة للمؤمنين الصادقين ؟ !

5

وانتهز هذه الفرصة لاذكر الحقائق التالية :

ا ـ ان اسرائيل لن تنسحب من الاراضى العربية بغير القوة ، واللغة الوحيدة التى تفهمها اسرائيل هى القوة وحدها ، فيجب ان نعد العدة لحرب آتية لا ريب فيها ، وكل عربى لا يجاهد بأمواله ونفسه ليس عربيا ، وكل مسلم لا يجاهد بأمواله ونفسه ليس مسلما ، فلا بد من زج طاقاتنا المادية العربية من المحيط الى الخليج والاسلامية من المحيط الى المحيط للجهاد فى سبيل الله .

ب ـ ان السوق العربى (الاستراتيجية العربية) منذ عام 1948 حتى اليوم كان سوقا دفاعيا ، والمدافع لاينتصر ابدا كما هو معروف .

ينبغى ان نعتمد السوق التعرضى ، فذلك وحده يقودنا الى النصر ، وانا واثق من ذلك كـل الوثوق .

ج ـ تهتم اسرائيل بالخسائر بالارواح ولا تهتم بالخسائر فى المواد ، ، ، فيجب ان تعمل القوات النظامية والفدائيون على ايقاع الخسائر فى سكان اسـرائيـل فذلك وحده يهز الشعور الاسرائيلى هزا عنيفا ويؤثر فى معنوياتهم اسـوأ التاثيـر

والله اكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة واصيلا ، وصلى الله على سيدى ومـولاى رسول الله وعلى آلـه واصحابه اجمعـين .



الجالية الإسلامية فى أوربا

ان موضوع ابناء الجالية الاسلامية فى اوربا لاشك انه موضوع اخذ باهتمام كثير من الناس الا انه بالرغم من ذلك فهو مايزال موضوعا يحتاج الى العناية لانه موضوع له من الحساسية ما يجعله من اهم المواضيع الجديرة بالدراسة والبحث .

ان العمال والتجار من المسلمين الافارقة والاسيويين يدخلون الى اوربا بحثا عن العمل وطرق الكسب بعدما اتاحت لهم ظروف تلك البلاد العمل فيها والعيش بين ابنائها .

وعمالنا وتجارنا فى غالب الامر يكونون غير مصحوبين بأهلهم وابنائهم فى اول الامر ، لكنهم سرعان ما يتجرعون غصص الوحدة والفرقة وشقاوة العيش وخشونته وهم بعيدون عن اسرهم ، وكل هذا يجعلهم يفكرون فى استقدام الزوجة والاولاد ، او التأهل ان كانوا عزابا ، وهكذا يصبح الفرد الذى ذهب وحده فى اول الامر رب اسرة فى اوربا ، ولاشك ان هذه الاسرة بقدر ما سدت فراغ وحدته ووحشته وخففت من متاعب وطأة غربته . . . بقدر ما سدت هذا الفراغ فى حياة العامل او التاجر المهاجر فهى قد عرضت الاسرة بكاملها للاندماج فى المجتمع الاروبى المسيحى سواء كان العامل بفرنسا او بلجيكا او هولاندا او المانيا .

فالمهاجر اين ماكان اصبح هو واسرته عرضة للذوبان فى المجتمع الجديد وخاصة الاولاد الذين يولدون فى المهجر ، فآباؤهم وامهاتهم واخوانهم واخواتهم الذين ولدوا بالوطن الاصلى كل اولئك كانت لهم معرفة بأحوال مجتمعهم ، وكانوا قد تعودوا عاداته وتطبعوا على كثير من اخلاقه وعوائده .

اما الذين ولدو بالمهجر وما اكثرهم فهم قد انفصلوا عن وطنهم الاصلى ، ووجدوا منذ الولادة بوطن آخر ، ومهما حاول الآباء والامهات اضفاء روح وطنهم ودينهم على هؤلاء الناشئة فانهم يظلون يجهلون الكثير عن وطنهم ودينهم ومجتمعهم .

وبطبيعة الحال ان هؤلاء المولودين فى الخارج يحملون جنسية وطن آبائهم — فى الغالب — وينتسبون الى دين آبائهم كذلك ، لكن بالرغم من ذلك فان البيئة الجديدة التى يعيشون فيها تجذبهم اليها بقوة تأثيراتها المختلفة فهم يدخلون الى المدرسة صغارا ويتعلمون لغة المهجر وعوائده واخلاقه وفى بعض المدارس يتلقى بعض هؤلاء الابناء حتى مبادىء الديانة المسيحية التى تلقن لأبناء القوم هنالك لانهم ماداموا معهم ولم يقع التنبيه على ان الاطفال المهاجرين لهم ديانتهم الخاصة فانهم يلقنون ديانة البلد الذى هم به اسوة باخوانهم التلاميذ اهل البلد المهاجر اليه .

ومعنى هذا ان ابناء الجالية الاسلامية فى البلاد الاروبية يصبحون عرضة لضياع مقوماتهم الوطنية والدينية والخلقية واللغوية .

ومما يزيدهم ضياعا هو ان بعض الآباء والامهات يتعمدون التحدث مع ابنائهم باللغة الاجنبية المستعملة فى ذلك البلد ، وبعض الآباء والامهات لا يتعمدون ذلك ولكنهم يسايرون اطفالهم الذين يسهل عليهم التحدث بالاجنبية التى يقضون فى تعلمها اوقاتا طويلة ، فى حين يصعب عليهم التحدث بلغة وطنهم الاصلية لانهم

لا يستعملونها ، او لا يسمعونها الا فى فترات عابرة ، وبهذا وذلك ينسى الطفل لغته وعوائده واخلاق بلاده بالاحرى دين قومه .

استضافنى رب اسرة فى مدينة ميلوز بفرنسا وهو رجل امى لا يقرأ ولا يكتب وزوجته كذلك ولهما سبع بنات كبراهن فى السادسة عشر من عمرها وفى المنزل سلمن على بالفرنسية وحاولت ان احدثهن بالعربية الدارجة فلم يفهمن منى كلمة واحدة ، فقلت للسيدة : ماهذا ياسيدتى ألست مغربية ؟ فكيف بناتك لا يفهمن لغة وطنهم لا !

واخذت تعتذر وقالت انهن علمتنى اللغة الفرنسية واصبحت لا اتفاهم معهن الا بها ومشكلتى الكبرى هى عندما ازور اهلى ببلدى فان بناتى لا يتفاهمن مع جدهن وجدتهن وخالاتهن واقاربهن ولا يتفاهمن الا مع بعض افراد الاسرة الذين يعرفون الفرنسية ثم تكلم الاب وقال لى : ان مصيبتنا مصيبة وانحنى على وهمس فى اذنى قائلا : عندما نخلو بك سأطلعك على ما يحز فى نفسى .

وبعد خروج الزوجة والاولاد اخذ الاب يحكى لى قصته فى تأثر بالغ وقال اننى فى هذه الايام كنت راجعا من عملى وصادفت ابنتى فلانة عائدة على دراجتها من المدرسة وكان احد تلاميذ فصلها من الفرنسيين يتحدث معها ويركب دراجته موازيا لها ، وعندما اقتربا من المنزل نزلا ووقفا فى طريقهما وهما على درجتيهما وتحدثا طويلا حديثا ينم عن صداقة وتبادل العواطف ...

لاكتمك ياسيدى اننى منذ شاهدت هذا المشهد وانا افكر فى مستقبل ابنتى ، وحز فى نفسى ان تصبح ابنتى زوجة لمن ليس على دينها لان الذى شاهدته قد يتطور الى حب والى زواج وهذا شىء لا استطيع الصبر عليه بتاتا ، فقلت له : وفيما ذا تفكر الآن ؟

قال : افكر فى بيع فلتى هذه التى تعبت فى شرائها وتأثيثها وانا على يقين بأن ثمنها لن يفى بشراء مسكن بالمغرب مع العلم اننى لست فى حاجة الى السكن فحسب بل فى حاجة الى مكان ازاول فيه مهنتى التى اصبحت ماهرا فيها ، وهذه الصعوبات افكر فيها وفى التغلب عليها واجد انه بالرغم من مكوثى بالمهجر اكثر من خمس عشرة سنة فاننى مازلت افكر فى الحصول على المسكن ومكان العمل ببلدى .

وهذا الذى حدثنى به هذا الاخ العامل ما هو الا مثال من مئات الامثلة .

وهذه الامثلة فى حاجة الى دراسة اجتماعية ونفسانية وخلقية و و ...

وهذا المثال يعطينا الدليل على ان ابناء جاليتنا فى الخارج يتعرضون الى الانسلاخ عن جميع مقوماتهم بل هناك امثلة اخرى افظع من ذلك وخاصة منها بين اخواننا العمال الذين تزوجوا باجنبيات حكى لى احد الاخوان ببلجيكا وهو متزوج ببلجيكية انه يعيش فى دوامة وفى شقاوة بالغة ، وسبب ذلك هو مايتعرض له من تأنيب ضميره حيث ان له ستة اولاد مع هذه الزوجة الاجنبية منهم الاناث ومنهم الذكور ، وعلى حد قوله : انهم كلهم فى حزب امهم ، وان امهم مسيحية متشبثة بمسيحيتها والبنت الكبرى الآن لها تسع عشرة سنة ، وزوجته تصارحه بانها لن تقبل ابدا ان تتزوج ابنتها «بعربى» اى مسلم ثم ان اولاده لا يسألونه الا عن ممتلكاته فى المغرب وكيف يمكن بيعها وجلب ثمنها الى بلجيكا وهو بالرغم من وطنيته وحبه للدين فهو قد فقد كل سلطة على زوجته وبناته وابنائه وهو من اجل هذا يعيش فى دوامة وشقاوة وكثيرا ما تروج بخلده فكرة الانتحار ، الا انه يراجع نفسه ويرى ان ذلك محرم فى الديانة الاسلامية .

وهو يسأل عن الخلاص وعن المخرج من هذه الورطة ، هذا مع العلم ان الابن الاصغر لا يتجاوز السنتين من عمره ، ، ، ! !

هذه امثلة مما يتعرض له ابناء جاليتنا بالخارج وعلينا ان نحدد موقفنا من هذه المشاكل حقيقة وان العمل بالخارج قد يدر علينا شيئا من العملة الصعبة وقد ننتفع به ماديا لكن المشكل يكمن فى ان ابناء جاليتنا فى حاجة ماسة الى العناية بهم دينيا وخلقيا .

اما مشاكل عمالنا الذين يتركون ازواجهم وابناءهم ببلدهم فهى مشاكل عديدة لا حصر لها منها ان الابناء يربون بعيدا عن آبائهم ، فكثيرا من الاطفال لايعرفون آباءهم الا معرفة عابرة ولذلك فهم عندما يزورنهم يمتنعون حتى من السلام عليهم ، اما الزوجة المسكينة فهى تبقى امدا طويلا بلا زوج يؤنسها ويتقاسم معها

مشاكل الحياة ثم هي في نفس الوقت تتعرض لتأخير نفقتها التي تتلاعب بها ظروف شتى كتأخير البريد والصرف و و ٠٠٠ وفي البادية يكون الامر افظع وامر

ثم ان العامل نفسه قد تشغله شواغل عن ارسال النفقة في المواعيد المحددة ٠

وهكذا تصبح الزوجة والأولاد والاسرة بكاملها عرضة لمشاكل اليمة وعويصة ٠

ثم ان العامل المهاجر الذي هو بدون اهل او اسرة يتعرض لمشاكل عديدة منها انه يعيش عيشة قلقة غير قارة لان حياته اليومية تفتقر الى كثير من شروط الصحة والنظافة والنظام والاستقرار ثم ان العزلة قد توحي للبعض بأنه قد اصبح محررا من قيود الاسرة وبذلك يترك لشهواته العنان ويركب حبل الشهوات وخصوصاً اذا اتصل بمن يزين له طريق الغواية ٠٠

وبهذا يتضح ان اصطحاب الاسرة الى الخارج له اضراره وعواقبه ، كما ان تركها بالوطن الاصلي له مساوؤه واخطاره ٠

واذا كان الحافز العاطفي والبشري يدعو الانسان ليكون مستقرا ومطمئنا ووسط اسرة فان اصطحاب الاسرة الى المهجر او تكوينها هناك يصبح شيئا ضروريا بالنسبة للمهاجرين الذين تطول اقامتهم بديارا الغربة ٠

واذا اصبح ذلك ضروريا فمعناه التعرض لمشاكل تربية الابناء في الوسط الغير الطبيعي بالنسبة اليهم .

ولذلك فانى اقترح مايأتي :

اولا — وجوب احاطة عمالنا وابنائهم بجو اسلامي ووطني صميم ٠

وهذا يتجلى

1) في المحافظة على اللغة العربية والعناية بها ومن اهم مظاهر العناية بها حسن اختيار العناصر الصالحة لتدريس اللغة العربية في الخارج ، واول شروط هذه الفئة من المعلمين هو الخلق المتين والقدوة الصالحة ، مع سعة الصدر وحسن معاملة التلاميذ وآبائهم . كل ذلك الى جانب تربية دينية متينة ومادة مركزة ومتقنة .

2) في المحافظة على الدين : فلابد من العناية بدين ابناء عمالنا في الخارج وهذه العناية تتجلى في ان نهتم بمن يلقن لهم مبادىء دينهم الحنيف وشعائره واخلاقه وفي تحفيظهم جزء من القرآن الكريم واحاديث الرسول «ص» وعيون الادب العربي لفهم لغة القرآن الكريم ٠

ثانيا — العمل على ايجاد المساجد الكافية ، واماكن الاجتماع كالاندية الثقافية والرياضية ورعاية الموجود من ذلك واحاطته بجو اسلامي ووطني ٠

ثالثا — العمل على ايجاد مقبرة خاصة بالجالية الاسلامية حتى لا تختلط جثث موتى المسلمين بغيرهم وحتى يمكن لموتى المسلمين ان تجرى عليهم الطقوس التي تفرضها عملية الدفن عند المسلمين من صلاة وترحم

رابعا — لابد ان يكون بالسفارات والقنصليات مرشدون مختصون في الشؤون الدينية ، وهؤلاء المرشدون يكونون بمثابة مفتشين لمن تسند اليهم مهمة التربية الدينية وهم في نفس الوقت يقومون بالقاء محاضرات في التوجيه الديني والخلقي والوطني ٠

خامسا — وجوب عقد اتفاقيات مع الدول التي بها جاليات مغربية تتضمن احترام التشريع الاسلامي في الاحوال الشخصية بحيث يعتبر الزواج الشرعي زواجا في نظر محاكمهم ، والطلاق طلاقا ، وكذلك قضية الحضانة والكفالة والنفقة و و ٠ .

سادسا — تزويد الجالية الاسلامية بنشرات وجرائد ومجلات وكتب وطنية واسلامية بكيفية دورية ومستمرة حتى يشعر المواطن وهو بالخارج بأنه على اتصال دائم بوطنه .

سابعا — العناية بتقوية الدافعة للاذاعة الوطنية والعناية بتحسين برامجها حتى تسمع بوضوح في كل من فرنسا وبلجيكا وهولاندا والمانيا ، لانني لاحظت ان برامج الاذاعة الوطنية تلتقط بصعوبة هناك .

ثامنا — يجب اغتنام فرصة المواسم الدينية والاعياد الوطنية لاحياء ذكرياتها واداء شعائرها ، حتى يشعر المواطن بمتانة الروابط التي تربطه ببلده وذلك في مثل شهر رمضان المعظم ، وذكرى الهجرة النبوية وعيد المولد النبوي ، وذكرى الاسراء والمعراج وذكرى نزول القرآن وغزوة بدر ، والحديبية .

وفتح مكة ، والاعياد الوطنية كعيد العرش المغربى ، وعيد الاستقلال ٠٠ وعيد الشباب .

تاسعا ــ : تكوين جمعيات كشفية لابناء العمال فى الاماكن التى بها عدد لاباس به من المغاربة ويكون المشرفون على هذه الجمعيات ممن يحسنون التوجيه الدينى والخلقى والوطنى

وتقوم هذه الجمعيات بتبادل الزيارات على اساس ان تكون اللغة العربية هى لغة التخاطب وعلى ان يعقد من حين لآخر اجتماع عام يضم جميع الجمعيات الكشفية حتى يحصل التعارف بين ابناء الوطن الواحد وحتى يسود الشعور الوطنى والدينى بين هؤلاء الابناء الذين هم رجال الغد وعمدة المستقبل .

عاشرا ــ احداث مباريات فنية وادبية بين ابناء العمال وخاصة فى ميدان الرسم والقصة القصيرة باللغة العربية وفى بعض الالعاب الرياضية .

الحادى عشر ــ احداث جمعيات نسائية بين نساء العمال وبناتهم يكون من وظيفتها العناية بالشؤون الاجتماعية ورعاية الاطفال والعناية بالاسرة المسلمة ، والمراة التى هى محور الاسرة .

ان مثل هذه الاجراءات يمكن لها ان تعيد للمواطنين بالخارج ولابنائهم التشبع بروح المواطنة وبروح الاسلام والتقاليد القومية العريقة .

وبما ان العناية بابناء العمال تأتى فى الدرجة الأولى من حيث الاهمية فان الرعاية والتوجيه ينبغى ان يركز على ما يتعلق بانقاذ ابناء عمالنا فى الخارج من براثن المسيحية ومخالب الالحاد وبراثن التنكر للروح القومية والدينية .

وبما ان الجالية الاسلامية اصبح عددها يتكاثر وهو فى ازدياد مطرد فانه من الواجب على كل دولة اسلامية ان تولى العناية بأبنائها الذين هم خارج الوطن وان تسرع بتلبية رغائبهم فى الحفاظ على دينهم ودين ابنائهم وعلى مقوماتهم . ٠٠ حتى لا يذوبوا هم وابناؤهم فى مجتمعات ومعتقدات مغايرة تمام المغايرة .

خاصة وان عمالنا يشعرون بكل هذا ويتحسرون ولذلك فهم يطالبون باستمرار العون والمساعدة من حكوماتهم من اجل ان يحتفظوا بمميزاتهم الدينية والوطنية .

وارى انه من الواجب ان تلبى هذه الرغبة وان تستغل قبل فوات الاوان ، لانه بمضى الزمن ومع مختلف التأثيرات قد يأتى وقت تنطفىء فيه هذه الرغبة ــ لاقدر الله ــ وبذلك نخسر عددا كبيرا من ابنائنا وفلذات اكبادنا فى الوقت الذى كان من الواجب علينا ان نكسب عددا مهما من بنى الانسان ، وان نبشر بديننا الحنيف حتى يسعد به اكبر عدد ممكن من ابناء البشر .

هذه ترجمة وجيزة لبعض مشاعر عمالنا بالخارج نحو دينهم ووطنهم ورجائى ان تجد آذانا صاغية وقلوبا متفتحة ، والله الموفق والهادى للرشاد .

ع . العافية

المسيرة من منظور أخلاقي

للأستاذ المهدي البرجالي

المضمون الاخلاقى للمسيرة :

يستقى المضمون الاخلاقى للمسيرة مادته من حقيقة ان هذا التحرك التاريخى ـ الذى انطبع به ـ كمعلمة جد بارزة ـ تاريخ المغرب المعاصر ـ قد نبع من منطلقات فكرية موصولة بانبل ما يحفز الانسان ـ فردا او جماعة ـ من مثاليات مبدئية ، قوامها التعلق بالحرية ، والغيرة على الكرامة ، والحرص على الحفاظ على السيادة الوطنية ، مرتبط ذلك فى العقلية الجماعية بعمق الشعور بشمولية هذه المعانى وتكاملها ، ضمن النطاق الوطنى ، باعتباره كلية مطلقة ، لا يمكن ان يتجزأ حرية أو كرامة او سيادة ، مثلما لا يجوز أن يتجزأ هيكله الجغرافى ، أو بنيته البشرية ، أو صفته التاريخية ، أو طرازه الحضارى ، أو مقومات وجهته الفكرية فى حاضر أو مستقبل .

وقد برزت المسيرة عمليا لتجسد هذه الدلالات الاخلاقية تجسيدا قويا ، تمثل فى حرارة التجاوب الجماعى مع الاهداف المعلنة لهذه الحركة التاريخية ، وتلقائية الحماس الوطنى ، الممتزج بالمشاعر الدينية الذى اثاره الموضوع ، والانضباط الدقيق الذى اتسم به مسلك الكتل الشعبية المشاركة فى الاندفاعة ، ووضوح الرؤية لدى هذه الكتل فيما استمدته من جودة ادراكها لابعاد التحرك ومعالمه المبدئية .

ان كل هذه الدلالات لتشكل قاعدة عريضة لتبلور صورة جد معبرة ، ترى من خلالها القيمة الموضوعية لتفكير مجتمع ، ومنحاه الاخلاقى فى التفكير ، ووجهة السلوك التى يتخذها بناء على ما يعتنقه من قيم ، وما ياخذ به من مبادىء اخلاقية .

المضمون الفكرى للمسيرة على الصعيد العالمى :

اذا كانت المسيرة قد شدت اليها ـ منذ البداية ـ الى حين رجوع المتطوعين الى اقاليمهم ، الراى العام العالمى على اختلاف نزعاته ومشاربه ، فمرجع ذلك فى جملة ما يرجع اليه ، الى الاهمية الفريدة التى اكتسبتها الحركة على الصعيد الفكرى ، فيما لذلك من صلة باخلاقيات شعب بكامله ، وما للامر من انعكاسات على آفاق الفكر النضالى العالمى ، الذى تشكل المسيرة بالنسبة اليه نموذجا فلسفيا فريدا .

ويمكن اجمال بعض موجبات هذه الاهمية التى اكتسبتها الحركة فيما يلى :

1) تميزها ـ من حيث الشكل ، الذى اتخذته ، والروح التى سادتها عن صور النضال المعهودة فى العالم، بما فيها صورة النضال المنبثق عن فلسفة اللاعنف التى اتبعت فى آسيا ، والاساليب النضالية من هذا القبيل ، التى استعملتها شعوب او اخرى لتحقيق مطالبات معينة .

لقد استوعبت المسيرة فى اطارها تكتلا بشريا هائلا ، احتشد بكل قابلياته وطاقاته ، للضغط على سير التاريخ ، واستخلاص اكثر النتائج حسما تاريخيا ، تحت ثقل ذلك الضغط ، وتم الامر فى مثل لمح البصر بالنسبة لضخامة المهمة وشيوعها ، مفضيا ذلك الى تصحيح الوضع المراد تصحيحه ، بعد ان أمضى عهد الاحتلال الاجنبى فى الصحراء عشرات السنين لاصطناع ذلك الوضع ، ورعايته .

وكل هذا ، مما يختلف اختلافا بينا عن كيفية النضال السلمى عند الامم الاخرى التى احتذت فى

نضالها اسلوب اللاعنف ، ذلك ان مردود ذلك الاسلوب لم يكن فوريا مثل ما حصل فى حالة المسيرة الخضراء بل ولم يكن فى كثير من الحالات ذا مردود مضمون اطلاقا ، ومن ثم ، لم يخل الحال من أن تسعى بعض الشعوب التى جربت فلسفة نضالية كهذه ، الى تغيير منهجها فى التجربة بحثا عن النهج الذى يمكن ان تجده اكثر ملاءمة ، وربما أحيانا ، بسبب تعدد نظرتهم فى صلاحية هذا الاسلوب او غيره من الاساليب المتراوحة بين العنف او اللاعنف ، او اختلافهم حول درجات العنف فى حد ذاته ، او مستويات اللاعنف فى حد ذاته، وكل هذه التشعبات قد تكون ناجمة عن ضعف النتائج المتاتية عن الاساليب المتبعة ، ومن هذه الزاوية يمكن استبانة القيمة العملية التى كانت للمسيرة الخضراء كتحرك دقيق فى حساباته وموازينه ، وحاسم حسما فوريا فيما احدثه من تأثيرات وما ادى اليه من اوضاع.

2) القيمة الفكرية لمدلول التحدى فى الحركـة :

ولقد برزت — من هذا الاعتبار — كتحد جماعى لركام الزمن الذى انقضى على الصحراء مفصومة عن اصلها الاصيل : الكيان المغربى ؛ كتحد لمنطق القوة الـذى اعتمد فى تأمين استمرار الوجود الاجنبى فى الارض المحتلـة ، كتحد لمسلسل المناورة والمماطلـة واللف والدوران الذى اتبع ، سواء على صعيد الامم المتحدة، او خارجها ، لمجرد ربح الوقت ، وتعقيد ما هو غير قابل للتعقيد بطبيعته .

وفى طى هذه التحديات التى انطوى عليها موضوع المسيرة ، كان مدلول التحدى ، المتجلى فى شكلهـا المفرد ، المتميز عن اشكال النضال التقليدية فى العالم المعـاصر .

لقد طفرت المسيرة على سطح الاحداث العالمية محملة بشحنات قوية من دلالات هذا التحدى الناجم عن أصالة الاساس الفكرى الذى انطلقت منه ، وتأبى طبيعة هذا الاساس عن التأثر بالمنهجيات النضاليـة السائدة على الساحة العالمية ، وعمق الاثارة التـى اتسم بها الرهان المطروح بهذه الصورة ، وهو رهان مزدوج فى التزامه من جهة بتحصيل النجاح المقصود من العملية ، واعتماده من جهة اخرى على الاصـول الفكرية المغربية فى سعيه لتحقيق هذا الهدف .

3) السمة الملحمية للمسيرة : وقد تجلت المسيرة بسمتها هذه ، كاندفاعة عفوية تلقائية [illegible]

ووطنيا ، وموصول فى صميم استمداداته النفسية ، بعمق وجدان المجتمع ، واغوار أحاسيسه .

على أن الامر فى هذا المجال ، لم يكن مجرد طفرة او انتفاضة ذات طبيعة فجائية ، نظير ما يحصل من مثل هذه الطفرات او الانتفاضات ، بفعل حالة من حالات استرداد وعى كان من قبل مفقودا ، فالواقع ان الملحمة التى انطلقت فى خريف سنـة 1975 ، كـانت ذات ارتكازات متجذرة فى مكامن الفكر الجماعـى هنـا ، موصولة بوعى هذا الفكر للموضوع القومى المغربى واستيعابه لمعطياته .

واتصالا بهذا ، كانت متانة الجذور التى تصل تحرك سنة 1975 بمسلسل التحركات قبلـه سنـة 1953 وما سبقها ، حتى فجر التاريخ المغربى .

وقد استقطبت العلاقـة العضويـة للمغـرب بصحرائه ، جانبا اساسيا وعميقا ومثيرا من جوانب التاريخ المغربى فى عمق استمداده من نوازع الانسان النفسية والفكرية هنا ، واضطرامه بدينامية العوامل الاجتماعية والسياسية والحضارية التى اطرت حياة هذا الانسان على توالى أجياله .

ان دينامية التحركات التى اعتمل بهـا طويـلا الكيان المغربى ، فى تأثره بهذه النوازع والعوامل ، كثيرا ما كانت تتخذ اشكالا جماعية مثيل ما بدا فى صورة المسيرة الخضراء ، التى حملت اكثر من ثلث مليون نسمة من مغاربة الشمال للقاء مواطنيهم المغاربة فى الجنوب .

ففى غضون القرن الهجرى الخامس ، انتشر مريدو عبد الله بن ياسين نحو أقاصى الجنوب ، فى حركة اندفاع تاريخية ، ما برحت محاورها تتعـدد وتتبلور ، لتنفتح — عبر الصحراء — على ما بين مشارف افريقيا ، ومسارح البحر المتوسط .

وفى تفاعل مع هذا التحرك الذى اعتمل بـه المغرب قبيل نشوء دولة الملثمين ، تدفق رجال هذه الدولة ، الدولة المرابطية ، من صحارى المغرب فى منائى الجنوب ، حتـى سواحـل المتوسط فى اقاصى الشمال ، ضمن تحرك تاريخى اشمل ، كـان على عموم منطقة غربى البحر الابيض المتوسط ان تشهده اثناء تلك الحقبة ، وتتأثر مصايرها بانعكاساته .

وتوالت بعد ذلك التحركات الجماعية من هذا

على عهد المرينيين ، أو من اتوا بعدهم ، حتى الآن .

وفى جميع هذه الحالات ، كان الداعى لتراوح التدفقات البشرية الجماعية فيما بين الشمال والجنوب، مرتبطا بأغراض العمل على تعزيز الكيان القومى سياسيا ، وتأصيل اشعاعه ، أو درء تهديد موجه ضد وحدته البشرية أو المادية ، أو السعى لرفع قيود مفروضة على سيادته او حريته .

وواضح ما ينبىء عنه الامر ، سواء من وجهة الشكل الذى اتخذه الاندفاع الجماعى فى احواله المختلفة هذه ، او بالنظر لطبيعة الحوافز الباعثة على هذا الاندفاع ، او باعتبار تكاملية المجال الجغراقى الواقع فيه مثل هذا التحرك — واضح ما ينبىء عنه الامر ، من قوة التجاذب بين اطراف الكيان المغربى ، وحتمية التفاعل الفكرى ، وتلاحم المشاعر بين العناصر المتشكل منها هذا الكيان .

وواضح ايضا فى موازاة ذلك ، المظهر الملحمى لحركات التجاذب والتفاعل هذه ، وهو مظهر قوى الحضور ، بادى الاثارة فيما تعكسه هذه الاحوال ، وان كان هناك قدر من الاختلاف بينها من حيث الموضوع، ونوعية الملابسات ، نتيجة لاختلاف المساق التاريخى الموجود فيه .

لقد اضطرمت التحركات من هذا القبيل بوقدات روحية هائلة لا حد لما تبعثه من طاقة على التحمل والمصابرة ، وما يجليه ذلك من صور متالقة .

وسواء فى خلال ما غبر من الدهر او ما هو حاضر، فقد لبثت المثالية الاخلاقية المستوحاة من الشعور الدينى والوطنى قاسما مشتركا فى الموضوع ، مستمرة الحضور بكل ما توحي به ، وما تحفز عليه .

* * *

هذه بعض المعالم ، مما كان من الطبيعى ان يركز نظر الملأ فى العالم حول المغرب ، وهو يمور مورا بدفق المسيرة الخضراء .

وبطبيعة الحال ، فقد كان ثمت — نظرا لتعدد الدلالات الفلسفية والسياسية والتاريخية المستخلصة من المسيرة — مجال لاختلاف دواعى انفعال الملأ فى العالم بها ، تبعا لاختلاف مشارب الناس الفكرية ، ومواقع التاثر لديهم ؛ الا أن الجانب الاخلاقى فى هذه الحركة — يبقى فى كافة الحالات — كما اشير اليه — من اقوى ما كان حريا ان يشد اليها الرأى العالمى ، ويثير مكامن انفعاله بها على نحو ما حصل فى الواقع .

من مظاهر الاصالة الخلقية فى المسيرة :

تنبع نبالة الصفة الاخلاقية للمسيرة من كون هذه الحركة مرتبطة الهدف — صميميا — بالفكر الوطنى المجرد ، ومن ذلك ، بعدها فكريا عن اخلاقيات العمل السياسى العادى فيما يقوم عليه مثل هذا العمل من تجاوز لطوباوية الاعتبارات المثالية ، وتشديد على الموضوع المتعلق بالنتيجة الممكن تحصيلها ، بصرف النظر عن الملابسات الخلقية لذلك .

وبحكم موحيات المثال الاخلاقى للمسيرة على هذا النحو ، فقد وسمها أن تترفع عن استعمال الاساليب — كيفما اتفق — موثرة بهذا الخصوص — وبكل ثقة فى ذلك واعتداد به — سبيل التاثير السلمى المعتمد على استثارة النوازع الاخلاقية فى الخصم ، واستنداء مكامن انسانيته ، وكان ذلك اسلوبا مجزيا من منظور فكر المسيرة ، ومغريا بقدر ذلك ، وهى حال من رحابة الفكر وسماحته ، كان منها ما كان من دعوة الزاحفين على درب المسيرة الى مقابلة خشونة الخصم بالود والمصافاة ، واستدراجه الى ما لا بد ان يندرج اليه بحكم ضميره الانسانى ، من قبول هذا التحدى الاخلاقى ، والاجابة عليه بمثله ، مما من شأنه ان يعيد الصوارم المشرعة من طرفه الى اغمادها، **ويصون بالتالى قضية السلام فى مضمار المجابهة معه .**

ولم يكن اعتماد مثل هذا الاسلوب مجرد تكتيك فى استراتيجية المجابهة ، بل كان انعكاسا لروح نبيلة، تستجمع الحرص على تغيير الحال المقصود تغييرها ، مع شدة العناية — فى نفس الحال — بحقن دماء من يمكن ان تراق دماؤهم فى سبيل ذلك ، وتفادى وقوع ضحايا سواء عند هذا الطرف ، او الآخر .

ان مبدأ الغاية تسوغ الوسيلة ، لم يكن — فى منظور المسيرة ، مبدأ صالحا للاحتذاء بالمعنى الاخلاقى، الجائز ادراكه من هذا التعبير .

فليس من انفصام مبدئى مقبول — بحسب هذه النظرة — بين هدف ما ، وبين السبيل المتبع للتوصل اليه ، بل ان نوعية الوسيلة ، يجب ان تكون من طبيعة نوعية الهدف ، فيما يتصل بايجابية هذه الطبيعة ، ومثاليتها ، على نحو ما تتصور به المثالية .

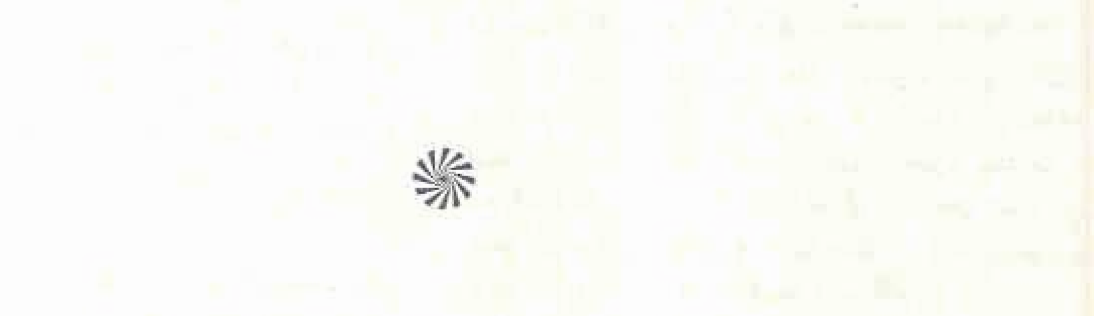
وقد اتخذ هذا الترابط بين الوسيلة والغاية — بالنسبة للمسيرة الخضراء — شكلا متلائما مع هذه النظرة المتسامية فى التقدير ، والتى لا ينـأى بهـا تساميها عن دينامية الروح العملية التى يجب ان تسود كل سعى فعال وبناء .

وكانت قضية السلام فى عمق الاهتمامات التـى فرضت بالحاح فى هذا السياق ، وقد صاحبت هـذه الرغبة العرمة فى الحفاظ على السلام وتفادى الوقوع فى احبولة العنف ، مسرى الحركة من منطلقها — الى النهاية ، وتجلى نبل هذه الرغبة وعمق حوافزها فـى وقف الزحف ، بمجرد أن تحقق — من حيث المبدأ — القصد الاساسى المتغيا منه ، وتراجع السائرون بموجب الحال ، فى جو من ايجابية الباعث والهدف ، مثلما انطلقوا كذلك محفوزين بنفس الروح الايجابية بواعث وأهدافا ، واذا كان فى وسع كل واحد أن يتبين من خلال ذلك التراجع ، مدى ما يعكسه من نجاح للقضيـة الوطنية ، فانه يسعه — بقدر ذلك — استبانة شمولية الاطار الخلقى لهذا التفكير ، الذى لم تكن الاهتمامات المنبثقة عنه متعلقة فقط بتحقيق الاهـداف الوطنيـة المتوخاة ، بل كانت تتركز كذلك حول دواعى المحافظة على حسن الجوار بين متجاورين ، وصيانة السلام فى النطاق الجوهـرى والقارى ، وملافاة احتمـالات التعرض للضرر من قبل الآخرين او ايقاع ضرر بهم هم كذلك .

* * *

هى بعض المعالم من الانعكاسات الخلقية للمسيرة الخضراء ، عرضنا لها هنا فى محاولة استشفاف لمـا ينم عنه هذا الانجاز التاريخى من ايجابيات ، تتميز بها قيمته الفكرية والعملية .

وفى وسع المرء ان يقارن بين مدلولات هذه الاصالة الخلقية فى المسيرة ، وبين حالة التهافت التى هوى اليها البعض ممن احترفوا معاكسة المغرب فى تحقيق وحدته ، ودابوا على الاستنجاد باية وسيلة مهما كانت لا أخلاقيتها ضدا على هذه الوحدة لكن اية مقارنة تصح بين اصالة وتهافت ؟ بين تفكـير اصيـل موضـوعا واستنتاجا ، وتفكير متهافت فى موضوعه واستنتاجاته؟





للاستاذ زين العابدين الكتاني

— 2 —

انتهيت في الجزء الاول من دراستي هذه عن (عدم الانحياز الاختيار الذى يؤمن به المغرب) الــى ان المغــرب :

1) أدرك مفهوم عدم الانحياز فى مستهل القــرن العشرين بمفهومه السياسى والعلمى الحالى .

2) الى انه كان من السباقين الى المشاركة فى مجموعة عدم الانحياز .

3) وان سلوك عدم الانحياز لا يمكن ان يكــون مجرد نظرية سياسية ، بل فلسفة اكثر انسانيــة وواقعية ، مما تدعو الضرورة اليه فى عالم طغى فيه التحالف والتبعية بصور شتى ووسائل تتعقد يوما عن يوم تحت شعارات براقة ، ومبادىء اصبح يؤمن البعض انها البديل الحقيقى للوطنية السياسية التــى تولدت عنها تحالفات وقوميات كانت هدف الذين خططوا للسيطرة الجديدة على العالم ، وعلى الضعفاء والفقراء بصورة اخص ، لا فرق بين المدرسة الاستعمارية وأســاليبها ، وبين الذين يتفقون اليوم لتوزيــع العــالم الى معسكرات ووحــدات

ومن هنا من هذا المنطلق ظل المغرب يعمل :

1) على اساس رسم خطة موحدة للدول غير المنحازة للعمل السياسى والاقتصادى ، وتكوين قــوة تقوم على اسس ايجابية وفعالة من اجل رسم طريق واضح لتعاون هذه الدول فى المجــالات الاساسيــة كالاقتصاد والتقنية والسياسة ولاجل السلام ، لا سلام مسلح او منتم .. بل لسلام حقيقى واضح المعالم والغايات .

2) وهذا المنطلق نفســه هو الذى دعــا ممثــل المغرب جلالة الحسن الثانى منذ البداية الى تحديد موقف بلادنا نحو القضايا التى تشغل بــال الــرأى العام ، فبالاضافة الى هذه الآراء المتعلقة بالمشاكل السياسية التى قسمت العالم الى كتلتين متضادتين فى الكفاح من اجل النفوذ فى العالم ، فقد اوضح مؤكدا الاخطار العظيمة التى تتمثل فى هذه المشاحنة ، واراد ان تنبثق اسباب عدم الاستقرار الدولى عــن عــدم التوازن الاقتصادى والتجارى والاجتماعى الموجود بين الامم الغنية والامم الفقيرة ، لان عدم التوازن اذا نما يوما بعد يوم يظل العنصر الاول لعدم الاستقرار ولعدم الثقة التى تحدث فى العلائق الدولية ، ولذلك فلم تصل دول عدم الانحياز الى المؤتمر الرابع — الذى يعتبره البعض المنطلق الجديد — حتى اصبحت هذه الدول **« تتأكد ان نتائج أعمال هذه المؤتمرات أصبحت تتضمن برنامجا عاما للعمل المشترك لا خلاف من حوله ، بل**

تبلورت فى هذا المؤتمر ، وفى ذلك اشارة الى ما احرزته مؤتمرات عدم الانحياز من نمو وانتقال من الطابع الارتجالى الى الطابع التأسيسى (15) » .

المؤتمر الرابع .. والمغرب

تميز انعقاد المؤتمر الرابع بكونه ينعقد فوق ارض افريقية وفعلا فقد انعقد المؤتمر الجديد لرؤساء دول او حكومات بلدان عدم الانحياز فى الجزائر من 5 الى 9 سبتمبر 1973 — شعبان 1395 . وقد حضره ممثلو البلدان التالية :

افغانستان — الجزائر — الارجنتين — المملكة العربية السعودية — بانغلاديش — البحرين — بوتان — بوتسوانا — بورما — بورندى — كمبوديا — الكامرون — شيلى — ساحل العاج — كوبا — قبرص — الكونغو — داهومى — جمهورية مصر العربية — الامارات العربية المتحدة — فولتا العليا — اثيوبيا — غابون — غانا — غينيا — غينيا الاستوائية — غويانا — الهند — اندونيسيا — العراق — جاميكا — الاردن — كينيا — الكويت — لاوس — لبنان — لوسوتو — ليبيريا — الجمهورية العربية الليبية — مدغشقر — ماليزيا — مالى — مالطا — جزيرة موريس — موريطانيا — المغرب — نيبال — النيجر — نيجيريا — عمان — اوغندا — البيرو — قطر — جمهورية وسط افريقيا — رواندا — السينغال — سيراليون — سنغافورة — الصومال — سرى لانكا — السودان — سوازى لاند — الجمهورية العربية السورية — تانزانيا — تشاد — طوغو — ترينيداد — وتوباغوا — تونس — فيتنام الجنوبية « الحكومة الثورية المؤقتة » — الجمهورية العربية اليمنية — جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية — يوغوسلافيا — زائير — زامبيا .

كما حضر المؤتمر ملاحظون يمثلون البلدان والمنظمات الآتية :

جزيرة بارباد — بوليفيا — البرازيل — الاكواتور — المكسيك — بناما — أورغواى — فنزويلا.

— انغولا : (حركة التحرير الشعبية فى انغولا) وايضا (الجبهة الوطنية لتحرير انغولا)

— غينيا بيساو : الجبهة الافريقية لاستقلال غينيا وجزر الراس الاخضر .

— موزمبيق : (جبهة تحرير موزمبيق)

— برنسيبا وساوتوما : (لجنة تحرير برنسيبا وساوتوما) .

— زمبابوى : (اتحاد شعب زمبابوى) .

وايضا (اتحاد زمبابوى الوطنى الافريقى)

— جنوب افريقية : (الكونغرس الوطنى الافريقى) وايضا (الكونغرس البان افريقى) .

— ناميبيا : (منظمة شعب جنوب غرب افريقيا).

— جزر سيشل : (حزب اتحاد شعب سيشل).

— جزر الكومور : (الحركة الوطنية لتحرير الكومور) .

— الصومال : (جبهة تحرير ساحل الصومال). و (حركة التحرير فى جيبوتى) .

— منظمة التحرير الفلسطينية (فلسطين) .

— الحزب الاشتراكى فى (بورتوريكو) .

— منظمة الامم المتحدة

— منظمة الوحدة الافريقية

— الجامعة العربية

— منظمة التضامن للشعوب الافرو آسيوية

كما حضر المؤتمر بصفة ضيوف مندوبون عن البلاد الآتية :

النمسا — فلندا — السويد .

دور المغرب الواضح :

واذا كان المغرب قد ذهب الى المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز باستعداد اكثر حماسة وواقعية فذلك يرجع الى أن هذا المؤتمر كما أشرت اليه من قبل سينعقد فوق ارض افريقية ، وفى منطقة يقع فيها المغرب « **الذى كان فى القديم والحديث هو المحرك الرئيسى لها ..** » ولذلك فهو يرى أن هذه الفرصة ستكون اكبر مناسبة للقيام بالدور الذى تحمله منذ تاسيس هذه المجموعة ، ومن ثم اعتبره « **من الاهمية**

---

(15) مجلة (السياسة الدولية) القاهرية عدد : اكتوبر 1973 — ص : 4 .

بمكان فى تطور حركة عدم الانحياز التى كان له كل الشرف فى انه وقف فى مقدمة مؤسسيها فى بلغراد ، والتى كان يباركها دائما فى خطواتها ، ويعمل من اجل آمالها وأهدافها « مؤكدا انه سيظل بالنسبة لهذه المنطقة » مهما كلفه الامر متمسكا بمبادئه بكل تصميم (16) ، ماضيا فى طريقه بعزيمة لا تثنى ، حتى تبقى هذه المنطقة منطقة الاصالة المغربية العربية الافريقية بكل ما تنطوى عليه هذه الاصالة من عبقرية خلاقة ، وايمان عميق ، بقيمنا الاسلامية ، وتراثنا العربى والافريقى ، وحتى تقوم بدورها فى خدمة عدم الانحياز (17) » ومن هنا من هذا المنطلق فان « **من واجبنا نحن دول العالم الثالث أن نؤمن بقوتنا الذاتية، ونعمل على تسخير مواردنا الطبيعية .. لاغراض نمونا وحل مشاكلنا السياسية ، وتحرير أراضينا من الاستعمار ، والصهيونية ، والميز العنصرى ، فان علينا ان نخرج من واقعنا واختياراتنا من مجال الملتمسات والقرارات الى ميادين العمل ، وان ننسق بكل موضوعية واتزان بين ما نريد ان نعلنه امام الملا ، وما يتعين علينا أن نعمله تلبية لحاجاتنا ، وطبقا لارادتنا فى الميادين الاقتصادية والديبلوماسية » (18).**

(الوحدة دائما .. والتجربة)

وكان على المغرب ان يسلك تجربة جديدة وهو يطرح مشكل الوحدة المغربية ، ومن هنا فانه وهو يضع المشكل امام المؤتمر انما يضع امامه هذه التجربة :

أولا : « اننا نعتقد ان العمل الايجابى يتطلب منا قبل كل شىء تحاشى المواقف التى قد لا تتخذ الا ترضية للخواطر ، او تلبية لرغبة سياسية محدودة المدى ، وليس مقصودنا فرض اى اسلوب فى العمل ، بل محاسبة أنفسنا فى نضالنا الطويل المرير ، مستلهمين من تجربة بلدنا المطروحة على دولنا فيما ينبغى ان نواجه به المشاكل » (19) .

ثانيا : كما اوضح واجبه نحو افريقية وتحريرها وتضامنه مع دولها .

ــ دوره فى معركة فلسطين والقدس الشريف .

ــ واجبه نحو المنظمات التحريرية فى افريقية ونحو الميز العنصرى .

ثالثا : « واذا كان هناك مجال ينبغى ان ينال النصيب الاوفر من اهتمامات المؤتمر الرابع .. فلا شك انه الجانب الاقتصادى والتجارى فى العلاقات الدولية ، يجب أن لا ننسى ان عالمنا الثالث هو عالم الكادحين ..

واذا كانت الموارد الاولية التى تزخر بها أراضينا وطاقتنا البشرية قد ظلت مسخرة لاغراض الدول الصناعية الكبرى طوال قرون ، فاننا اليوم قد وصلنا الى درجة من الوعى والادراك والشعور بالمسؤولية تجعلنا نستطيع ان نغير ماجريات الامور فى هذا الميدان (20) » .

رابعا : وفى نطاق هذه المبادىء طرح امام مؤتمر عدم الانحياز بكل وضوح قضية الوحدة المغربية على الصورة التالية :

« .. اريد ان ألفت نظر الدول الاعضاء الى مسألة ألقيت عليها الظلال ، وكأن تلك الارض ليست مستعمرة ، وليست مهددة بالاستيطان الاجنبى غير الافريقى ، او كأن سكانها لا يستحقون من العناية والعطف مثلما تستحقه البلدان الاخرى المستعمرة ، وأعنى بذلك اقليم الصحراء الواقع تحت النفوذ الاسبانى .. ومهما يكن من أمر فالقرارات التى اتخذتها الامم المتحدة على التوالى ، منذ سنوات طوال ، يجب أن توضع فى حيز التطبيق ، ولا ينبغى بحال من الاحوال افساح المجال للمستعمر لكى ينجح فى سياسة التفرقة ، التى ينهجها ليكسب الوقت ، وحتى يضيع الوقت ، وحتى يضيع هذا الاقليم فى النهاية ، وذلك عند ما يصبح عدد المستوطنين الاجانب يفوق فيه عدد السكان الاصليين .

(16) خطاب ممثل صاحب الجلالة فى المؤتمر الوزير الاول السيد احمد عصمان .
(17) نفس المصدر .
(18) نفس المصدر .
(19) نفس المصدر .
(20) نفس المصدر .

ونظرا لخطورة هذه القضية وابعادها ، فان المغرب الذى تربطه بهذا الاقليم روابط متعددة وعميقة، ليرى ان على مؤتمرنا واجب تنبيه الرأى العام العالمى الى هذه السياسة الاستعمارية الاستيطانية المتبعة على أرض الساقية الحمراء . . » (21) .

وهكذا فاذا ما توقفنا قليلا عند النتائج العامة للمؤتمر نتيجة لروح الصفاء الذى ميز اعمال هذه الدورة ، فان هذه النتائج ككل نأخذها مما تمخض عن كل من البيانين السياسى والاقتصادى عقب انتهاء المؤتمر باقتضاب :

اولا : تنسيق الجهود للقضاء على الاحتلال الاجنبى وجميع اشكال التدخل .

2 — تدعيم الامن الدولى بانشاء مناطق سلام وتكثيف جهود نزع السلاح العام الشامل .

3 — مساندة جميع حركات التحرير الوطنى .

4 — التأييد الكامل لنضال الشعب الفلسطينى من اجل استعادة حقوقه المشروعة .

5 — تدعيم دور الامم المتحدة والمطالبة بادخال قدر اكبر من الديمقراطية فى العلاقات الدولية .

6 — تأكيد سيادة الدول على مواردها الطبيعية.

7 — الاشراف على نشاط الشركات المتحدة الجنسية .

8 — التأميم هو حق من حقوق السيادة .

9 — الدعوة لانشاء منظمات للدفاع عن مصالح الدول المنتجة للمواد الاولية .

10 — انشاء صندوق للتعاون والتنمية تمولة دول عدم الانحياز المنتجة للبترول لصالح مجموعة هذه الدول (22) .

ثانيا : البيان المتعلق بالصحراء :

« ان مؤتمر القمة الرابع لبلدان عدم الانحياز ، المنعقد فى الجزائر من 5 الى 9 شتمبر سنة 1973 .

— اهتماما بالغا منه بموقف الحكومة الاسبانية ونواياها بخصوص استعمار الصحراء الواقعة تحت سيطرتها .

— واذ يذكر بالقرار رقم 1514 الذى صادقت عليه الجمعية العامة للامم المتحدة بتاريخ 14 ديسمبر سنة 1960 والذى يتعلق بالاعلان الخاص بمنح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة .

— واذ يذكر بقرارات الامم المتحدة ومنظمة الوحدة الافريقية ، والبلدان غير المنحازة ، المتعلقة بقضية الصحراء الواقعة تحت السيطرة الاسبانية .

اولا : يندد بالمناورات والماطلات التى تحاول الحكومة الاسبانية ان تخلص بواسطتها من التزاماتها وقرارات الهيئات الدولية وذلك لتمديد وضع ينطوى استمراره على خطر حدوث توتر فى المنطقة .

ثانيا : يعرب عن تضامنه الكامل مع سكان الصحراء الواقعة تحت السيطرة الاسبانية .

ثالثا : يؤكد من جديد تمسكه الثابت بمبدأ تقرير المصير وحرصه على ان يطبق هذا المبدأ فى اطار يضمن لسكان الصحراء الواقعة تحت السيطرة الاسبانية التعبير عن ارادتهم بحرية مطلقة وصدق طبقا للقرارات المناسبة التى اتخذتها الامم المتحدة بشأن هذه المنطقة (23) .

* * *

وبعد فان المغرب وهو يحضر المؤتمر الرابع كما حضر من قبل فى باقى المؤتمرات انما كان يرمى بطبيعته الى تحقيق هدف معين ، كما يسعى الى سد حاجيات مادية ومعنوية . . وذلك بمشاركة اعضائه فى انجاز مخطط يستهدف غاية لا يمكنها ان تكون الا نبيلة كلما حددت أثناء اجتماعات علنية ما دامت العلنية لا تسمح بخدمة مصالح خاصة او اشفاء مطامح غير مشروعة .

واذا كان هذا الاجتماع كباقى الاجتماعات الاخرى لدول عدم الانحياز يقع فى ظرف سياسى دولى يتميز بمظاهر وبأوضاع وحالات ومشاكل خاصة لا سيما فيما يهم حاضر ومستقبل دول عدم الانحياز التى يشكل سوادها الاعظم ، دولا نامية فانه مطالب بأن يعنى بمشاكل متنوعة ومتعددة وذات مرمى بعيد لا سيما وانها تبلور الشغل الشاغل للحياة الدولية ايمانا منه بأنه سيؤكد من جديد المبادىء التى تعتز بها البشرية وتفتخر ، وسيحدد وسائل ومقتضيات تطبيقها على

---

(21) نفس المصدر .
(22) انظر (الملحق الثقافى بجريدة العلم) (4 : 324 — 13 — 8 — 76 — ص : 7) .
(23) النص الحرفى والرسمى للمؤتمر .

الخلافات والنزاعات وبعض الحالات التى تستوجب اسرع الحلول وانجعها لانه مؤمن بأنه يضع الكل امام مسؤولياته ، وان يستعمل ثقل ونفوذ أعضائه فى خدمة القضايا العادلة ، وان يستعمل سلطته المعنوية والمادية لمحاربة الجور والحيف ، وان يشجع كل من له الامكانيات الضرورية والجاه ، على رعاية مصير من يحتاجون اليه . موضحا بوجهة نظر اولئك الذين لا يرتضون التبعية العمياء ، ويفضلون ان يعلنوا جهارا ، معتقداتهم ومشاغلهم او اختياراتهم ، فى وقت عاد الى الظهور شبح الاستعمار المقيت الذى يتجلى فى الف محاولة مختلفة ، ويستتر وراء مظاهر متخذدة ، وفى عدة اقطار تنمو وتترعرع مستعمرات للاستيطان وتخضع عدة دول وهى مغلوبة على امرها للميز العنصرى والتهجمات المتوالية ، ونهب ثرواتها دون ان تجد المساندات الكافية كى تتخلص من الوباء المتسلط عليها وفى نفس هذا المنطلق عمل بكل ما فى امكانياته وبما استطاع اليه جهده فى نطاق هذا المؤتمر بواقعية وموضوعية وفاعلية الى التنديد بكل ما هو مخالف للقيم الانسانية ، والكرامة بحثا عن الحلول الناجعة وبفرضها فرضا وذلك للقيام بمبادرات من شأنها ان لا تجعل حدا للظلم والحيف فقط ، ولكن كذلك يعطيه سلطة تجعله قادرا على فرض مساعدة الدول الفقيرة ، وذلك بحشد جميع ذوى النيات الحسنة حتى تصبح المساعدة المبذولة لكل من هو ضعيف لا مجرد عطاء ولكن واجبا مقدسا يفرضه الانتماء البشرى .

ولا يمكن للبشرية قطعا أن تفرض طموحها وان تحقق رغبتها فى تقدم مطرد ، الا اذا قبلت عن طواعية ان تؤدى هذا الواجب (24) ، وهو ما يتفق مع مفهوم عدم الانحياز الذى حدده الرائد المغربى - بقوله **« بان حيادنا ديناميكى نشيط ، ومتحرك ، لا يستهدف الا المحافظة على القيم الانسانية ، ولا يعمل الا لدعم السلام ، وتقدم البشرية »** .

ويمكن ان نجمل نتائج المؤتمر الرابع من مجموع البيانين السياسى والاقتصادى لنفس المؤتمر وهو يعلن :

1) عن « فتح التعاون السلمى بين البلدان المعنية » و « انشاء صندوق للتعاون والتنمية ، تموله دول عدم الانحياز المنتجة للبترول لصالح مجموعة هذه الدول جميعا » .

2) وبالنسبة للاستعمار « دعى الى انهاء الاستعمار وبالخصوص فى الصحراء الغربية » .

3) وابرز هذه النتائج الاعتراف بمنظمة فتح الممثل الوحيد للشعب الفلسطينى ، ويتأكد عندى ان انعقاد المؤتمر على أرض افريقية كان من اهم العوامل التى ساعدت على ذلك .

(له صلة)

---

(24) جريدة (الانباء) (اليومية ع : 855 — 5 / 9 / 73 — ص : 2) .

القسم الثاني
الفصل الثاني (تابع)

مؤرخو الشرفاء

مؤلفات الزياني

تأليف الاستاذ ليفي بروفنصال * تعريب : الأستاذ عبد القادر الخلادي

كيف وجد الزياني متسعا من الوقت للتأليف ؟ لقد رأينا ان حياته كانت حافلة وانه قضى معظمها متنقلا بين الحواضر والبوادي ومتجولا عبر القفار والبحار. لا شك انه اعتكف على التأليف لما تقدم به السن وسئم من الخدمة.

وعلى كل حال فانه ترك لنا عددا لا يستهان به من المؤلفات، جلها في التاريخ والجغرافية.

اننا نجد في كتابه « الترجمانة » قائمة مؤلفاته، ويبدو انه رتبها حسب التواريخ التي وضعها فيها وهي :

1) « الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب » وهو تاريخ عام، من بدء الخليقة الى القرن الثالث عشر الهجري (16).

2) البستان الظريف في دولة اولاد مولاي على الشريف » وقد سماه أيضا « الروضة السليمانية »(17)

3) ارجوزة دينية سماها « الدرة السنية الفائقة في كشف مذاهب اهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة والزنادقة » (18).

4) « الفية السلوك في وفيات الملوك » (19).

5) تحفة الحادي في رفع نسب شرفاء المغرب(20).

6) رسالة سياسية في الملك سماها « السلوك فيما يجب على الملوك ».

7) رحلة الحذاق لمشاهدة البلدان والآفاق.

8) جوهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك العلويين واشياخ مولانا سليمان (21).

9) كشف الاسرار في الرد على اهل البدع الاشرار.

10) تحفة الاخوان والاولياء في ثبوت صنعة السيميا وبطلان علم الكيمياء.

11) نصيحة المغترين في بطلان التدبير للمعتزلين.

12) الترجمانة الكبرى التي جمعت اخبار مدن العالم برا وبحرا (او في اخبار المعمور برا وبحرا) وقد ضمنها وصف رحلاته الثلاث (22).

ان بعض الكتب مكرر للبعض، وليس الثالث

---

(16) دليل المؤرخ رقم 519 (المعرب).
(17) نفس المصدر رقم 467 (المعرب).
(18) نفس المصدر رقم 1514 وقد وقع خلط في تحقيق العنوان المعرب.
(19) نفس المصدر رقم 1636 (المعرب).
(20) نفس المصدر رقم 258.
(21) ذكره صاحب دليل المؤرخ تحت رقم 1204، وقال عنها : « تقع في سفر وسط، توجد نسخة عليها خط المؤلف، بالخزانة الفاسية ضمن مجموع جعلها على نسق لم يسبق اليه، قال في حقها تلميذه ابو عبد الله محمد التهامي ابن رحمون، في اختصاره لها : عديمة المثال، غريبة الشكل، تشتمل على منظومة قليلة الوجود ... » (المعرب).
(22) ذكر هذا المؤلف في دليل المؤرخ تحت رقمين : رقم 1451 بعنوان : « الترجمانة ... » وقال : تقع في مجلد ضخم توجد منها نسخة بخزانتنا الاحمدية، وبعد رقم : 1431، تحت عنوان « اباحة الادباء والنحاة في الجمع بين الاخوات الثلاث » ... جمع المؤلف فيها بين رحلاته الثلاث، وهي الرحلة الثالثة له ؟ ! المعرب.

والخامس والسادس والسابع منها الا فصولا من الترجمان .

وعلى كل حال فان اهم كتب الزيانى هى الترجمان والبستان والترجمانة ، الاول والثانى مفعمان بالمواد التاريخية ، اما الثالث فهو ليس كما يفهم من عنوانه كتاب جغرافية فحسب ولكنه يحتوى على فوائد تاريخية وادبية وعلى تراجم ، ولذا نرى انه جدير بأن نجعله من المصادر الواجب علينا تحليل مضمونها .

عرف كتاب الترجمان عند المؤرخين الغربيين منذ مدة طويلة اذ نشر منه ، المستشرق الفرنسى هوداس ، سنة 1886 م ، القسم الخاص بالدولة العلوية ، وترجمه الى اللغة الفرنسية تحت عنوان : « المغرب من 1631 الى 1812 —
Le Maroc de 1631 à 1812

قال هوداس فى المقدمة التى صدر بها الترجمة « الترجمان تاريخ عام غير ان مؤلفه لم يتوسع الا فى فصلين منه ، الفصل الذى خصصه لتاريخ الدولة العثمانية والفصل الذى دون فيه أخبار الدولة العلوية » وقال بعد ذلك : « ان المؤلف استهل كتابه بمقدمة موجزة ثم لخص فى خمسة عشر فصلا اخبار الدول الاسلامية التى لم تعترف بسلطة الخلفاء ، وأوصاف الرحلات التى قام بها والامصار المهمة التى زارها » .

يفيد هذا التحليل ان النسخ المخطوطة التى اعتمد عليها هوداس تختلف عن النسخة التى بين ايدينا (23) فنسختنا تشتمل على عشرين فصلا لا على خمسة عشر كما اخبر هوداس ، بداها المؤلف بمقدمة فى سياسة الملك ، ثم تطرق الى ذكر تاريخ آدم ، وسلالته الى الطوفان ، واولاد نوح ، ثم الدول الفارسية فالحميرية فالفراعنة ، فالاسرائليين ، فاليونان فالرومان ، فتاريخ البعثة ، وقد ذكره بكثير من الايجاز ، ثم مر مرا سريعا بتاريخ الخلفاء الراشدين ، والامويين وفتح الاندلس ، فالعباسيين بالعراق ، الى استيلاء التتار ثم الاتراك على تلك المناطق ، فالفاطميين بافريقية وبمصر ، فالاغالبة ، فالايوبيين ، فالاتراك العثمانيين متوسعا شيئا ما فى الكلام عنهم ، منهيا بذلك القسم الاول من الترجمان .

بدأ القسم الثانى مخصصا فصلا لكل دولة من الدول الاسلامية المغربية ، والاندلس ، فالحفصيين فالمرينيين فالزيانيين بتلمسان فبنى الاحمر بالاندلس ، فالسعديين بالمغرب الاقصى والسودان ، فالشرفاء السجلماسيين بالمغرب ، ثم فصول فى شرفاء المغرب ، وفى قبائله ، فجامعة فى الدول التى لم تعترف بالخلافة ، فخاتمة قصيرة فى وصف رحلاته الى الشرق .

جعل الزيانى كتابه الترجمان على شاكلة تآليف كبار المؤرخين الشرقيين مثل البلاذرى والطبرى اذ وسع مجال ابحاثه فضمنها مواد تاريخية عالمية على خلاف من سبقه من مؤرخى المغرب الاقصى الذين اكتفوا بتدوين الاخبار الخاصة بوطنهم .

لا شك ان فكرة وضع هذا التاريخ راودته وهو يقوم بسفارته الى الاستانة ، سنة 1200 هـ ، اذ ذكر فى الترجمانة انه لما رجع من تلك المهمة والتحق بسجلماسة ، حيث عين واليا ، عرض على المولى سليمان ، وهو امير بها ، فصولا من الترجمان ، فاستحسنها وشجعه مرارا ، شفويا وكتابة ، على اكماله . ويخبرنا الزيانى ايضا انه اشتغل بتحرير تاريخه مدة استقراره بتلمسان (1207 — 1208 هـ — 1792 — 1793 م) ولكن من المحقق انه لم يكمل الفصل المتعلق بالدولة العلوية الا بعد وفاة مولاى سليمان اذ وصل به الى عام 1228 هـ — (1813 م) (24) .

ان النسخ المخطوطة التى اطلع عليها هوداس لا تشتمل على الفصل الخاص بالسعديين الا ان هذا النص مثبت لحسن الحظ ، فى النسخة التى لدينا ، ويتضمن نسب الشرفاء السعديين ، واخبار طريفة عن العساكر الاتراك الذين ساعدوا عبد الملك وأخاه احمد على الاستيلاء على فاس ، ومعلومات مفيدة دقيقة ، فى نفس الوقت ، عن واقعة وادى المخازن وعن الجيوش

(23) راينا فى التعليق رقم 2 السابق ان هوداس اعتمد على نسختين مخطوطتين احداهما من تلمسان والاخرى من وهران . واخبرنا المؤلف (ص 143 — تعليق 2 من كتابه) انه استفاد من نسخة وجدها بسلا عند المؤرخ السيد محمد بن على الدكالى ، ولهذا سماها بالنسخة السلاوية .

(24) ومن المحقق كذلك ان النسخة التى كانت بين يدى هوداس كتبت بعد سنة 1231 هـ (1816 م) سنة وفاة المولى سليمان لان الزيانى قال فى اول الفصل الذى خصصه لسيدى محمد بن عبد الله ، ما يلى : « دولة السلطان سيدى محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، والد مولانا سليمان رحمهما الله » (ص 70 من النص العربى الذى نشره هوداس) .

التى وجهها احمد المنصور الى السودان والمسالك التى سلوكها ، ويختم الزيانى فصله هذا بقصيدة ذكر فيها الاحداث والتواريخ والانساب الخاصة بسلاطين الدولة السعديــة .

ويجدر بنا ان نسجل هنا أن الزيانى انتهز فرصة ذكره للنسب السعدى ليخبرنا انه اثيرت ذات يوم ، بمجلس سيدى محمد بن عبد الله ، الاقوال المشاعة فى شأن نسب السعديين فقال : « انهم اخوتنا وابناء اعمامنا ، وكلنا من حى بنى ابراهيم بالينبع » (25) .

هذا ولم يغفل صاحب الترجمان ، مرة واحدة ، وهو يحرر حولياته ، عن ذكر تاريخ بيعة كــل مــن السلاطين العثمانيين الذين عاصروا مختلف سلاطــين الدولة السعدية ، وكذا تاريخ وفاته .

❊ ❊ ❊

لما شرع الزيانى يتكلم ، فى موسوعته التاريخية ، عن الدولة العلوية ، كانت الظروف والملابسات التــى نشأت فيها تلك الدولة ، والاحداث التى واكبت مسيرتها لا زالت عالقة بالاذهان ، ولكن لما كان الافرانى هــو المؤرخ الوحيد الذى اثبت ، فى « نزهته » فصولا تتعلق بتلك الحقبة ، لا شك أن مؤرخنا راى من الواجب عليه ان يواصل ما ورد فى النزهة فى ذلك الشأن ، وان يصف بشىء من الاسهاب احوال سلاطين اطلع عن كثب على الكثير من اعمالهم واسهم فى مساندة جوانب لا يستهان بها من سياستهم الداخلية والخارجية .

وعلى كل فانه يمكننا ان نعتبر الفصــول التــى خصصها الزيانى ، فى الترجمــان ، للاسرة العلويــة الحاكمة ، صلة متممة للعمل الذى بداه فى هذا الصدد صاحب « نزهة الحادى » اذ نراه ينسج على منواله وهو يدون حوليات السلاطين الذين تعاقبــوا علــى العرش المغربى الى سنة 1813 م . ولم يخرج عــن المسلك الذى سلكه سابقه الا بتخصيصه فصلا لسيدى محمد بن عبد الله ، وهو خليفة لابيه بمراكش ، لم يقبض بعد على زمام الحكم .

❊ ❊ ❊

ان النصوص التى استخدمها هوداس توهم أن الزيانى تعمد الاعراض عن ذكر عدة احداث ، وعــن تسجيل عدة وثائق رغبة فى الاختصار ، ونرى مؤرخنا يؤكد تلك الرغبة ، وهو يشير الى رسالة كان وجهها داى الجزائر لسيدى محمد بن عبد الله ، حيث قال : « وهى ــ (الرسالة) ــ طويلة تركناها لاجــل الاختصــار المشروط ، وهى مثبتة فى تاريخ لطيف يسمى « البستان الظريف فى دولة اولاد مولاى على الشريف » ، الذى استوفينا فيه ايامهم وفتوحاتهم وحروبهم لمن خالفهــم من الامم . وفيما بينهم ، وانما هذه النبذة جعلناها تكملة لمن سبقهم من الدول حتى يكون الكتاب جامعا وشاملا لجميع الدول ، واختصرناها مثل ما سبقها » (26) .

يتضح من هذه الفقرة ان الزيانى لــم يدون فى الترجمان النبذة التاريخية الخاصة بالدولة العلوية الا ليجعلها تكملة لتاريخ من سبقهم من الدول ، فهى اذن ملخص لما « استوفاه من اخبار تلك الدولة فى كتابه البستــان » .

اننا لا نجد اثرا لهذه الملاحظة فى النسخة المخطوطة من « الترجمان » التى رجعنا اليها واتخذناها مصدرا من مصادر هذه الدراسة (27) ، وعلى العكس من ذلك فاننا نجد فيها نص الرسالة باكملها ، الشىء الذى يثبت أن النسختين ، نسخة هوداس ونسختنا متماثلتان من حيث عناصر الموضوع ولكنهما مختلفتان من حيث طريقة التحرير (27) .

فاننــا مثــلا نجــد فى النسخــة الســلاويــة (وهــى النسخــة التــى بيــن ايدينــا) معلومات لا نجدها فى النص الذى نشره هوداس ، ومنها

---

(25) من المعروف ان سيدى محمد بن عبد الله كان كثير الاعجاب بالسلطان السعدى احمد المنصور ومقدرا لاعماله ، وانه كان يطيب له أن يقوم بنفس الزيارات التى كان يقوم بها ذلك السلطان للاولياء وللصالحين داخل المغرب (المؤلف) .
وقال الزيانى فى البستان : « ولقد سمعت من مولانا امير المومنين سيدى محمد بن عبد الله ، رحمه الله ، لما جرى ذكرهم (اى السعديين) وذكرت له الخلاف الذى وقع فى نسبهم قال لى رحمه الله : اسكت ولا تعد لمثل هذه المقالة فانهم اخواننا وبنو عمنا وجدنا واحد وقربتنا بالينبع واحدة يقال لها بنو ابراهيم » ص 8 من المخطوط د 1577 (المعرب).

(26) الترجمان المعرب ط هوداس ص 4 ، 5 .

(27) اخبرنا المؤلف ص 143 انه اطلع على نسخة مخطوطة من الترجمان ونسخة اخرى من الترجمانة بفضل المؤرخ القاطن بسلا ، الشيخ محمد بن على الدكالى ، ولهذا ينعت تلك النسخة « بالسلاوية » (المعرب)

ما ضمنه نسختنا ، اثر كلامه عن سفارته الى الاستانة، من تفاصيل عما كان ، سنة 1200 هـ ، عن عساكر بالثغور المغربية وعما احدثه ، تلك السنة ، السلطان سيدى محمد بن عبد الله من بيوت الاموال بكل مرسى من مراسى المغرب لاعانة من بها من جيش وطبجية وبحرية ، وللانعام عليهم بالرواتب والاغطية بصفة منتظمة (28) .

هذا وتبين لنا المقارنة بين النسختين ان الزيانى كثيرا ما كان يصف فى كلتيهما احداث فترة تاريخية معينة بأسلوبين متغايرين تغايرا تتفاوت أشكاله كما وكيفا .

فاذا ما قابلنا مثلا الجملة التى بدأ بها الفصل الخاص بتولية مولاى اسماعيل فاننا نجده يقول فىنسخة هوداس (ص 12) : « ولما مات الرشيد بويع بمكناسة اخوه السلطان اسماعيل وكان بقصبة الموحدين القديمة التى بمكناسة ، واسس بها قصره » .

ويقول فى النسخة السلاوية : « ولما مات الرشيد ابن الشريف بويع السلطان اسماعيل بن الشريف بمكناسة اذ كان خليفة اخيه الرشيد بها ، نازلا بقصبتها التى بناها الموحدون » .

واذا ما قارنا بين المعلومات التى أنهى بها الزيانى تاريخه فى كلتا النسختين فاننا نلاحظ أن نسخة هوداس تنتهى بأخبار سنة 1228 هـ (1813 م) وان نسخة سلا تنتهى بوصف ضاف لما امتاز به السلطان مولاى سليمان من اخلاق طيبة وبجدول أنساب كافة سلاطين الدولة العلوية الذين تولوا الحكم بالمغرب الى آخر القرن الثامن عشر الميلادى .

من المحقق ان الزيانى هو الذى كتب اصل كل من النسختين المذكورتين ، ولكن ما هى ياترى النسخ التى بدأ بها ؟ اننا نرجح أن نسخة هوداس هى الاخير نظرا لكونها تتسم « بالاختصار » الذى اشترطه المؤرخ على نفسه عند ما قرر أن يجعل من الترجمان كتاب تاريخ عام يضم نبذاً من تاريخ المغرب وعزم ان يخصص لتاريخ الدولة العلوية كتابه « البستان الظريف » . ويؤيد هذا ندرة النسخ المنقولة من الكتاب « الاصلى » الذى اختصره الزيانى فيما بعد (29) ، وتلك الندرة هى التى حملت ، حسب ما نظن ، المؤرخ اكنسوس على ان « يستقى » من « البستان » ، (اى فى الواقع من النسخة الاولى من الترجمان) ، فصولا طويلة من غير ان يذكر ، فى غالب الاحيان « مرجعه » ولا اسم مؤلفه (30) .

ان الاطلاع على محتوى التاريخ المطول (31) الذى خصصه الزيانى للدولة العلوية يحملنا على ترجيح الاستنتاجات التى اوصلتنا اليها مقارنة نسختى الترجمان ، اى نسخة هوداس ، ونسخة سلا — فان نسخ ذلك التاريخ قليلة جدا بالمغرب ، وربما تكون اقل من نسخ الترجمان ، فالنسخة التى اطلعنا عليها تحمل عنوانين ، الاول : « البستان الظريف فى دولة مولاى على الشريف » والثانى : « الروضة السليمانية فى ذكر ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدم من الدول الاسلامية » ويوهم هذا العنوان الاخير ان الكتاب لا يتضمن تاريخ الدولة العلوية فحسب ، بل يشمل ايضا تاريخ جميع الدول الاسلامية . وبالاضافة الى ذلك فان المقدمة التى صدره بها ليست فى حقيقة الامر الا تلخيص جد موجز لكتاب الترجمان ، وهو عمل كان بامكان الزيانى ان يستغنى عنه (32) .

---

(28) نجد هذه التفاصيل مثبتة فى الجيش العرمرم ج 1 ص 72 . وفى الاستقصا ج 4 ص 117 ط القاهرة (المؤلف) — (الاستقصا ط الدار البيضاء ج 8 ص 61 —) (المعرب) .

(29) راينا بفاس وبالرباط نسخا مخطوطة مماثلة لنسخة هوداس (المؤلف) .

(30) يبدو ان النسخة التى رجع اليها المؤرخ الناصرى ، عند ما كان يدون كتابه « الاستقصا » نسخة مماثلة لمخطوط سلا — (المؤلف) .

(31) أخبرنا المؤلف (ص 143 من كتابه — صلة تعليق 2 من ص 142) انه لم يتمكن من الاطلاع على نسخة مخطوطة من كتاب البستان الا مدة جد قصيرة ، وذلك انه تسنى له ، وهو بفاس (مارس 1921) ان يستعير ، لليلة واحدة ، تلك النسخة من السيد احمد بن المواز ، سفير المغرب بمدريد سابقا وقال : « وتلك النسخة هى التى كان صححها الزيانى نفسه » ووردت ترجمة احمد بن المواز فى كتاب « اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين » (ج 2 ص 28) (المعرب) .

(32) رجعت فى هذا الشأن الى دليل المؤرخ ثم الى قسم المخطوطات بالخزانة العامة ، فوجدت تحت رقم (د — 1577) مخطوطة تحمل عنوان « البستان الظريف » وتحت رقم (د — 1275) مخطوطة تحت عنوان « الروضة السليمانية » ولكن كتب ناسخها بآخرها : « انتهى بحمد الله اللطيف كتاب « البستان الظريف » على يد الفقير لمولاه الراجى مغفرته ورضاه الحسن بن محمد الحسنى الادريسى المنونى . =

وعلى كل حال فان تلك المقدمة تبين أن « البستان » لا يختلف في فحواه عن الترجمان وان كان قسمه الخاص بالدولة العلوية اوسع شمولا واوفر مادة .

ان المقدمة المذكورة عبارة عن مجموعة من القوائم لاسماء كافة الملوك المسلمين الذين تقلدوا الحكم الى اواخر الدولة السعدية ، بيد ان القسم المتعلق بأخبار الدولة العلوية يتكون من ثلاثة عشر بابا واربعة فصولا وجامعة وخاتمــــة .

حلل الاستاذ فرول (Graule) ، سنة 1913 ، في مجلة العالم الاسلامي (33) ، محتوى « البستــــان الظريف » وما يتضمـه كل قسم من أقسامه من معلومات ويتضح من ذلك التحليل ان « البستان » يختلف عــن « الترجمان » بكونه يشتمل على شذرات أدبية ، نثرية وشعرية ، اذ تحرى الزياني ان يستهل كل باب مـــن ابواب « البستان » طويلا كان او قصيرا ، بالكلام عن خلق ينهيه باشارة تثبت أن ذلك الخلق امتاز به ، حسب نظره ، السلطان المخصص له ذلك الباب ، فهو مثلا يقول في آخر كلامه عن العلم : « .. وممن عظم العلم ، واكتفى به عن الملك مولانا على الشريف » (34) ويقول في العقل : « .. فانظر الى كمال العقل كيف بلغ بالرشيد الغاية القصوى وعالج داء المغرب الى ان دان لــــه الجميع » (35) ويقـــول : « .. وبالشجاعـــة ادرك السلطان اسماعيل ما ادرك وبلغ ما بلغ » (36) ، ويقول ، « .. وسبب فساد دولة السلطان احمد بن اسماعيل والفشل .. انه لم يشاهد حربا قط ، الا دخل داره وترك الناس فـــوضى ، وهـــو في داره علـــى الهوى » (37) ويقول في العفو : « .. وكان مولانــــا على بن اسماعيل رحمه الله من أهل العفو والحلم ، متوقفا عن سفك الدماء ، فستــره الله بذلك ولـــم يفتضح » (38) .

وبهذه الطريقة تسنى للزياني أن يضفي على كل من سلاطين الدولة الذين ارخ لهم ما يناسبه من اوصاف خلقية ولكن هذا النوع من الاستطرادات استثار ما كان كامنا من حسد في صدور الادباء المعاصرين له ، فأذاعوا في الاوساط العلمية انه عاطل من كل حلية ادبية وان المبدع الحقيقي لتلك « المحسنات » هـــو ابو عبد الله محمد بن ادريس الزموري العمروي الذي اصبح فيما بعد وزيرا للسلطان مولاى عبد الرحمن (39) . وهـــذه الدعوى ، في نظرنا خرافة لفقها ادباء من الحاقديـــن على مؤرخنا الذي كان حمل عليهم حملة نكراء ورماهم بالقصور ونكران الجميل ، ومن ذلك ما قاله عنهم في مستهل كتابه « البستان » : « .. وبقى على خبـــر الدولة السعيدة الموفقة الرشيدة .. لم يضع فيها أحد من اهل الوقت تأليفا ، ولا اعتنى بجمع فضائل ملوكها مشروفا ولا شريفا .. وعلمت انه لم يبق بمغربنا مـــن يعتبر ما يسدى اليه من الاحسان ويرى المكافآت عليه ولو بمجرد اللسان » ، خصوصا من اهل هذه الطبقة الثالثة من الطلبة والكتاب الملازمين لتلك الاعتاب ،

= عام 1351 » وبعد ان تصفحت المخطوطين تبين لى ان استنتاجات الاستاذ ليفي بروفنسال مطابقة على وجه العموم للواقع وان مؤلفات الزياني متداخلة تدور مواضيعها حول محاور متماثلة لا تكاد طريقة عرضها تختلف الا من حيث الاسهاب أو الاختصار . وتوضيح هذه القضية يتوقف على دراسة دقيقـــة للكتابين سأقوم بها في فرصة اخرى ان شاء الله .

33) Revue du Monde Musulman, t. XXIV p. 311-317

(34) ص 21 من مخطوط « البستان » الموجود بالخزانة العامة ، تحت رقم : د 1577 (المعرب) .

(35) نفس المصـــدر ص 23 .

(36) نفس المصـــدر ص 27 .

(37) نفس المصـــدر ص 46 .

(38) نفس المصـــدر ص 57 (المعرب) .

(39) ذكـــر الزياني هذا الاديب في الفصل الاخير مـــن « البستان » واورد له قصيدة مطلعها :

متى يتجلى ليل التهاجـــر بالـــوصـــل
ويرجع مجرى الود عنا الى الاصل .. »

وقال بهذه المناسبة : « هذه القصيدة من انشاء الاديب السيد محمد بن ادريس ابن الحاج ، وكان في ابتداء امره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تـــآليف الترجمان ، والبستان ، والفهرسة والحادى .. وكان ملازما لى في البيت ، يدى ويده الى الليل .. مدة ثلاثة اعوام وانا اعطيه خمسة آواق في كل يوم، ولا يخرج الا ممتلىء الجراب من كل ما يدخل على من الفواكه والغلل .. ثم قد قدم على هذه الايام بهذه القصيدة الرائقة .. فانها من غرر القصائد . ولذلك عرفت به امير المؤمنين ، واظنه يخلف مقام السيد حمدون ويقرب منه (المعرب) .

الذين فيها الاموال والدور والرباع والبساتين والضياع، وقادوا الدولة بلا رسن ، لكن اهل وقتنا كما قيـل : « من احيا شرار قوم اماتوه ، ومن سابق لئاما فاتوه ، ومن زرع السباخ اتلف بدره ، ومن رفع الاخلاط جهلوا قـدره » (40) .

الترجمـانـة الكبـرى :

فرغ الزياني من تخريج كتاب الترجمانة الكبرى فى ثانى عشر المولد النبوى الشريف من عام 1233 هـ (20 يناير 1118) ، وكان له من العمر اذ ذاك ست وثمانون سنـة .

جمع الزياني فى كتابه هذا اوصاف ما شاهـده فى رحلاته الثلاث من الامصار والبحار ، واخبار من لقيه من السادات وذوى العلم والجاه بحيث يجوز لنا ان نعتبره فهرسة ورحلة ذات طابع جغرافى ، فهى شبه موسوعة لانها تضم معلومات ضافية وجد متنوعة، ويكفى للدلالة على ذلك ان نذكر عنوانه باكماله وهو : « الترجمانة الكبرى من الامصار والمدن والقرى والقفار ، والبحار والجبال والانهار ، والعيون والمعادن والآبـار وغير ذلك من عجائب خواص الحيوانات والاحجار وما يؤيد ذلك من التفسير والآثار (42) ونوازل الفقه وشـواهد الاشعـار » .

ان المواضيع المطروقة فى الترجمانة جد متنوعة ومتفاوتة من حيث الاسهاب او الايجاز الا ان مؤلفها لم يتبع فى ترتيبها خطة محددة ولم يراع فى بسطها طريقة واضحة المعالم (43) .

وعلى كل حال فانه يمكننا ان نعتبر العناوين التى اتخذها الاستاذ سالمون فى الفصل الذى كتبه عـن الترجمانة وجعلها بمثابة فهرست لمحتواه (44) .

لا شك ان الزيانى حرر فصول الترجمانة فى ظروف مختلفة من حياته السياسية والفكرية ، وخلال عدة سنوات لان مواد ذلك « الكشكول » لا يتيسر جمعها وتدوينها بطريقة فورية وفى فترات زمنية متصلة الحلقات واذا كان هو نفسه اخبرنا انه انتهى من تخريج كتاب الترجمانة سنة 1233 هـ . فاننا نلاحظ انه ذكر فيه احداثا وقعت سنـة 1234 ، بـل سنـة 1235 هـ (1819 — 1821 م) .

اجل ، كل منا يعرف ان المؤلفات التى تصنف فى هذه البلاد لا تعتبر تامة الا بعد موت مدونيها ، لان

---

(40) اقتطفت هذه العبارات من المخطوط الموجود بالخزانة العامة رقم : د 1577 — (المعرب) .

(41) اخبرنا المؤلف ، (ص 143 من كتابه) انه اطلع على نسخة مخطوطة من الترجمان ومن الترجمانة بفضل الفقيه المؤرخ ابن على الدكالى القاطن بسلا ، واطلع على نسخة مخطوطة من الترجمانة حديثة العهد اعاره اياها السيد محمد بن عبد الله المراكشى الذى كان كاتبا بالسفارة المغربية بباريز ، ثم كاتبا بوزارة التعليم (المعرب) (*) .

(42) لم يفهم المؤلف معنى لفظة « الاثار » المقصود منها هنا : « الكلام المروى او السنة ، ولذا يقال : « فلان من جملة الآثار » ، وقد ترجمها بكلمة Ruines اى « الخرائب » !! (المعرب) .

(*) توفى المؤرخ ابو عبد الله محمد بن على الدكالى الهلالى السلوى بسلا سنة 1364 هـ (1944 م) وقد ترجم له صديقنا الاستاذ عبد الله الجرارى فى كتابه « اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين » (ج 2 ص 177) (المعرب) .

(43) قال الزيانى فى مقدمة الترجمانة انه يقصد بها « الاخبار عن العالم برا وبحرا وما تخلله من الامصار والمدن والقرى والقفار ، والبحار والجبال والانهار ، والعيون والآبار والحيوانات والاحجار ، وما يؤيد ذلك من التفسير والآثار ، ولى فى كل مقام منها مقال ، وفى كل روض منها مجال ، حسبما ما يقتضيها الحال ، ويخطر على البال ، من نصوص قـرآنية وتاويلات تفسيرية ، واحاديث نبوية وفتاوى فقهية ومواعظ صوفية ، وحجج قطعية ، وادلة معقولية ، وشواهد شعرية ، وضوابط معنوية ، واسامى لغوية ، ونوادر سروجية ، وقصائد عالية ، وما يناسب كل خبر ويؤيده ، ويعتمد عليه ويعضده ، وختمها بنصوص من التوراة والانجيل والقـرقان للرد على اليهود والنصارى والصابئة والمجوس عبدة النيران ، حسبما ذكره بعض من تصدى لذلك من اهل العرفان ، ووقع عن الائمة الاجماع » (المعرب : عن الترجمانة الكبرى ، نشر وزارة الانباء الرباط ، سنة 1967 — ص 34) .

(44) مجلة المستندات المغربية (Archives marocaines) ج 2 ص 331 — وتلك العناوين هى : « وصف المغرب — الرحلة الى اسطنبول سنة 1200 هـ — وصف الاندلس — وصف اسطنبول وما فيها من آثار عمرانية — الرجوع : وصف الجزائر وتونس — الاقاليم السبعة — وصف مصر — الرحلـة الى الحجاز ومكة — تاريخ قدماء ملوك الفرس — وصف البحار والجبال — مؤلفات الزيانى — الانبياء والرسل — مدن العالم ابتداء من المغرب » (المؤلف) .

كل من الكتاب لا يغفل ، حتى من بعد تبييض مصنفه واخراج نسخ منه للقراء ، ان يسجل بهامش نسخته الاصلية ما قد يعثر عليه من معلومات جديدة لها علاقة بموضوعه وكثيرا ما تكون تلك الاضافات الهامشية طويلة ومفيدة ، وكدليل على شيوع تلك السيما فى المؤلفات المغربية يكفى ان نلقى نظرة على الصفحة رقم 111 المثبتة هنا (45) والمستخرجة من المخطوط المشار اليه سابقا والمحفوظ بخزانة المؤرخ الكريم السيد ابن على الدكالى .

فان هذه الصورة تبين لنا ان الزيانى رأى من الضرورى ، بعد الفراغ من تخريج الترجمانة ، ان يضيف بخط يده ، وبهامش الصفحة المخصصة لوصف طرابلس وخرائب مدينة صبراته حيث « تربة الشيخ الصالح احمد زروق البرنوسى » (المتوفى بها سنة 899هـ 1493 م) ، ترجمة ذلك العالم وقد اخذها برمتها من كتاب ابن عسكر : « دوحة الناشر » (46) .

هذا ومن حيث التاريخ فان كتاب الترجمانة يحتوى على معلومات تعد تكميلا لما ورد ، فى هذا الصدد ، فى « الترجمان » و « البستان » اذ نجد به تفاصيل مفيدة عن احداث السنوات الاخيرة من عهد المولى سليمان ومنها الحركة التأديبية التى قادها هذا السلطان ضد آية املو ، بغاة البربر ، وكان على راسهم ابو بكر امهاوش ، وهى حركة باءت بالفشل اذ انهزمت فيها جيوش العاهل المغربى وشقت ، اثرها ، عصا الطاعة عدة من القبائل التى كانت ، الى ذلك الحين ، منضوية تحت لوائه .

من المحقق ان الزيانى لم يصاحب السلطان فى تلك الحركة وذلك نظرا لكبر سنه ، الا انه لم يستنكف عن الغض من البربر ، ابناء ارومته ، وعن التنديد بهم « لتجردهم من الاخلاق الحميدة وتدثرهم بالغدر والخذلان » .

اننا نجد فى الترجمانة ايضا اخبارا طريفة تتعلق بسياسة المولى اسماعيل وحفيده سيدى محمد بن عبد الله الداخلية وبحياتهما الخاصة كما نجد فيها منظومة جديدة عن الدولة العلوية مغايرة للارجوزة التى ختم بها الفصل الاخير من الترجمان (47) .

ان الزيانى هو المؤرخ الفريد الذى اشتغل بالجغرافية اشتغاله بالتاريخ ولا جرم ان الظروف التى اكتنفت حياته هى التى يسرت له معرفة البلدان المحيطة بالبحر الابيض المتوسط ، الاسلامية منها وغير الاسلامية ، وان رحلاته الثلاث الطويلة اكسبته عن تلك البلاد وسكانها معلومات قل من كان يلم بها ، اذ ذاك ، من ابناء وطنه .

وبالاضافة الى ذلك فانه كان متيقظ الذهن تواقا للاطلاع ، ديدانه البحث والتنقيب والاتصال بذوى المعرفة والنفوذ ، فأتاح له تفتحه ان يؤلف كتابا يضم من المعلومات الجغرافية ما لم يتسن لسابقيه ولا لمعاصريه ، امثال العياشى والغزال ، ان يضمنوه كتبهم.

ليس من اهدافنا القيام بدراسة المعلومات الجغرافية التى يشتمل عليها كتاب الترجمانة ، ولكننا نرى من المفيد ان نضع تحت نظر القراء صورة فوتوغرافية « لخريطة البحار » المرسومة فى النسخة المخطوطة الخاصة بالمؤلف نفسه ، وهى خريطة خطها بيمينه (48) واليكم وصفها بايجاز : قسم الزيانى العالم (من الاعلى نحو السفل الى سبعة اقاليم وقسم كل اقليم (من اليمين الى اليسار) الى سبعة اقسام : فالاقليم الاول يشمل السودان والمحيط والمحيط الهندى ، والثانى : الصحراء والبحر الاحمر والجزيرة العربية والخليج الفارسى والهند والصين ، والثالث : المغرب وافريقية وطرابلس ومصر والشام وفارس وتركيا والصين ، والرابع الاندلس والبحر المتوسط والشام والعراق وتركيا ، والخامس : بلاد الروم وخليج

(45) هذه الصورة توجد بين صحيفتى 186 و 187 — من كتاب « مؤرخو الشرفاء » ولم نر من الضرورى اعادة نشرها لان المؤلف اشار هنا الى ظاهرة عادية قد لا يخلو منها مخطوط (المعرب) .

(46) هذه الترجمة مثبتة ص 38 / 40 من الدوحة (ط فاس) .

(47) من الممكن ان تكون القصيدة التى اشار اليها هنا الاستاذ ليفى بروفنصال هى التى بالصحيفة رقم 419 من كتاب الترجمانة (نشر وزارة الانباء سنة 1967) والتى مطلعها :

الشمس من مشرق تسعى لمغربنا
والبدر يتبعها بالغرب يكتمل (المعرب)

(48) طبع جزء من هذه الخريطة فى كتاب الترجمانة الذى قامت بنشره وزارة الانباء (ص 30 ، ط : 1967)

الادرياتك (ادرياس) ، واليونان والمضاييق التركية (او خليج القسطنطنية) والجزيرة وبحر الخزر وبلاد الترك والقوت ، والسادس ، جزء من انجلترا والقارة الاوربية الى البحر الاسود وتركيا الاسيوية ، والسابع : ارلندا وباقى انجلترا والدانمرك واسكلافونيا .

لا شك ان اشتمال كتاب الزيانى على هذه الخريطة اثار استغراب القراء المغاربة لانهم لم يالفوا رؤية امثال تلك الرسوم ، المنظم تخطيطها ، ومن المحقق ان الكثيرين منهم لم يفهموها (49) لان علم الخرائط الذى اضطلع بوضعه الرحالة المسلمون الاقدمون مثل الادريسى وابن سعيد وابى الحسن على المراكشى ، وحثوا على الاهتمام به ، كان فى عهد الزيانى علما مهجورا بل مدفونا فى ثنايا الاهمال ، والدليل على ذلك أن نسخ الترجمانة القليلة التى لا زالت محفوظة الى الآن فى المغرب لا تشتمل على الخريطة المذكورة والسبب ، حسب ظننا ، هو ان النساخ لم يستطيعوا ان ينقلوها بدقة وامانة ، وليس من المستحيل ان تكون الخريطة المرسومة فى نسخة الزيانى الاصلية هى النموذج الوحيد المحفوظ حاليا بالمغرب ، وهذا مما يزيدها قيمة ويستوجب الاعتناء بها (50) .

* * *

اذا كنا نجد فى « الترجمانة » عدة نصوص ، منها الطويلة ومنها القصيرة ، نقلها الزيانى من كتب عربية قصد الاستفادة من فحواها ، والاستشهاد بمضمونها فاننا نرى انه لم يذكر فى كتبه الاخرى مراجع كثيرة . فهو ، مثلا ، لم يشر ، فى القسم المنشور من كتابه « الترجمان » الى اكثر من مصدرين وهما : « محاضرات اليوسى » (51) وتاريخ اليحمدى (52) .

فمن اين كان اذن يستقى الزيانى مواد مؤلفاته ؟ انه اثبت مصادر كتابه « الترجمان » فى اوله ، وقد خصصنا لها لائحة ذيلنا بها كتابنا هذا (53) ورتبناها كما رتبها الزيانى نفسه ، اى حسب الاماكن التى اطلع فيها عليها ، اذ منها مصادر وجدها بالمغرب ، واخرى تسنى له الحصول عليها بتلمسان او بالجزائر او بتونس ، واخرى قراها بالقسطنطنية ، والمصادر التى تأتى له مطالعتها بالمغرب تتعلق بتاريخ العصور الوسطى وباخبار ملوك الدولة السعدية ، بيد ان تلك التى وجدها بالجزائر وتونس وتركيا تخص التاريخ العام الا ثلاثة منها كان موضوعها انساب البربر ، ومؤلفوها سابق ابن سليمان المطماطى ، وهانى بن يصدور (54) الكومى وكهلان بن لؤى الاوربى (55) وقد امده بها خطيب مسجد العباد قرب تلمسان ، فكانت من اهم المراجع له عند كلامه على اصل القبائل البربرية المستقرة بالمغرب الاقصى .

هذا واما المصادر التى استخدمها الزيانى اثناء تحريره للفصول الخاصة بالدولة العلوية ، فى كتابه الترجمان والبستان فانها قليلة جدا ، ونحن لا نستغرب ذلك لانه سبق لنا أن اشرنا ان مؤرخنا كان اول من اهتم بتدوين اخبار تلك الدولة بعد ما لاحظ انه « ... لم يضع فيها احد من اهل الوقت تاليفا ولا اعتنى بجمع فضائل ملوكها مشروفا ولا شريفا (56) .

---

(49) من النادر ان نصادف ، حتى فى وقتنا هذا ، ادباء مغاربة لهم دراية كافية ودقيقة بالعلوم الجغرافية ، واننا لنجد فى بعض المكتبات الخاصة كتبا عربية عصرية عديدة فى الرياضيات والفيزيا وحتى فى الطب من الكتب المتداولة فى المدارس المعربة ولكن قلما نعثر فيها على كتب فى الجغرافية والخرائط (المؤلف)

(50) لم يتسن لنا ان نتحقق هل المؤلف صادف الصواب فى ملاحظته هذه . وقد ورد فى شأن تلك الخريطة فى « تاريخ الادب الجغرافى العربى » (ج 2 ص 771) ما يلى : « ان الزيانى اراد ، احياء تقليد قديم قد عفى عليه الزمن بالمغرب وهذه المحاولة تبدو لنا وكأنها مثقلة بالوهن بعيدة عن الاتقان (المعرب) .

(51) انظر « الترجمان » (طبعة هوداس — ص 9) .

(52) ذكره الزيانى عند ما تكلم عن فرق الجيش الجديدة التى نظمها المولى اسماعيل (ص 16 من طبعة هوداس) ، وهو ابو العباس احمد اليحمدى ، وزير المولى اسماعيل ، وقد عرف به ابو الحسن على ابن احمد المصباحى الزروالى فى كتابه : « سنا المهتدى الى مفاخر الوزير ابى العباس اليحمدى » وهذا الوزير لم يؤلف تاريخا وانما اهتم بالازمة الخاصة بعبيد البخارى (عن الجيش العرمرم — ج 2 ص 146) — (المؤلف) .

(53) الملحق رقم 1 .

(54) فى تاريخ ابن خلدون (ج 6 — ص 177 — طبعة دار الكتاب اللبنانى) ورد فى التعليق الذى باسفل الصفحة : « مسرور » و « مصدور » و « يصدور » — (المعرب) .

(55) كتب عن هؤلاء النسابة الثلاثة الاستاذ رونى باسى فى Archives Marocaines vol. I fas. II p. 11.

(56) انظر التعليق رقم 40

فاذا كان الزيانى استقى من فصول « نزهة الحادى » الاخيرة بعض المعلومات المتعلقة بالملوك العلويين الاولين فان وظيفته فى البلاط العلوى والمهام السياسية التى انيطت به داخل المغرب وخارجه فى عهد ملوك تدروا خبرته حق قدرها ، كل ذلك اتاح له الاستفادة من ذوى الاخطار والاطلاع عن كتب على احوال الدولة وتتبع اطوارها كما يسر له الرجوع الى الوثائق الرسمية المحفوظة فى القصور المخزنية بفاس وبمكناس مثل الرسائل والظهائر وازمة الحسابات حسبما اعترف به هو نفسه فى كتابه الترجمان (57) ، ولهذا كله فاننا نعتبر تاريخ الدولة العلوية الذى سطرته يد الزيانى من المراجع العظيمة القيمة الجديرة بالتنويه وقد اعرب هوداس عن تقديره لها حيث قال : « ففيما يخص تاريخ الشرفاء لا يجوز لنا ان نعتبر الزيانى ناقلا جماعا لا غير » (58) .

بقى علينا ان نعرف هل الزيانى استطاع ان يتحاشى التحيز والغلو فى تدوينه لاخبار السلاطين الذين كان يعيش فى ظلهم .

يمكننا باديء ذى بدء ان نؤاخذه على تركيزه تاريخ الدولة العلوية ، خصوصا منذ عهد السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، على الاحداث التى كان هو من المشاركين فيها او من القابضين على بعض ازمة تطوراتها . نعم فاننا كثيرا ما نجده يستعمل صيغة « المتكلم » فى البستان وفى القسم الاخير من الترجمان كان يحاول بذلك ان يتباهى بما كان لمواقفه من شان وان يفتخر بما كان يحظى به من قدر وجاه . وعلى كل فان صراحته ، وهو يترجم لنفسه ، فى التنديد بالمولى اليزيد وفى وصفه الصادق لما كان عليه من سوء الحال اثر المعاملة القاسية التى عامله بها ذلك السلطان : ما يدعونا الى التغاضى عن عجبه وتباهيه .

والجدير بالذكر ان الزيانى لم يعن بالتاريخ ابتغاء عطاء او رجاء تقرب من ذى سلطان ، فانه لم يمل لتدوين الاخبار الا بعد اطلاعه ، وهو فى ريعان الشباب، على كناش من مخلفات جده النسابة على ، كما ذكر لنا ذلك فى مستهل كتابه « الترجمانة » ولم يفكر فى تسجيل الاحداث المعاصرة ولا فى تخصيص كتب لوصف احوال الدولة العلوية الا بعد ان انتهى من تحرير كتابه فى التاريخ العام .

انه لم يتردد فى تقديم كتبه الثلاثة المهمة الى السلطان المولى سليمان ولكن لم يكن عمله ذلك مشوبا بشائبة من التملق او التزيد ، فان كتابه الاول ، الترجمان ، يبين بوضوح انه لم يكن من المؤرخين المرتزقة ، ويفيد الواقع انه لم يكن ينتظر ان تبلغه اعماله التاريخية مرتبة اعلى من المرتبة الممتازة التى كان وصل اليها بفضل نجاحه فى المجال السياسى .

ومن جهة اخرى فان مؤلفاته التاريخية الخاصة بالدولة العلوية ، كتلك التى تهم الدولة السعدية ، تملأ النفوس اطمئنانا وارتياحا لانها تمتاز بالضبط والدقة ، سواء فى عرض الاحداث او فى وصف الاماكن اذ نراه يشفع المعلومات التاريخية بذكر الارقام او التواريخ او بتحديد الاماكن ، ولا يغفل عن التعريف باسماء القبائل التى شاركت فى « حركة » او واقعة ، فان كتابيه ، الترجمان والبستان ، مشحونان بالملاحظات الصائبة المتعلقة بالامكنة والمواقع .

فالزيانى لم يهتم بالتاريخ السياسى فحسب ، بل كان يتوخى الدقة فى وصف الظروف الملابسة للمعارك والثورات ويتحرى الصواب فى وصف المنشآت الحضارية والاصلاحات الاجتماعية حاذيا فى ذلك حذو سابقيه ، ابن القاضى والافرانى : فاننا نراه يطلع قراءه على ما ادخل على بعض القطع النقدية المغربية من تغييرات ، ولا سيما « الموزونة » و « المثقال » ، فى عهد المولى الرشيد وعهد المولى اسماعيل (59) ، كما نراه يتحرى الضبط فى تحديد التواريخ التى اقيمت فيها بعض المؤسسات العمومية ، وبالاضافة الى ذلك فان المعلومات التى زودنا بها فى شأن البنايات الواسعة التى تضمها القصور المخزنية فى العاصمة المكناسية ،

---

(57) طبعة هوداس ص 29 من النص العربى .
(58) هوداس : مقدمة الترجمان ص 4 .
(59) الترجمان المعرب ص 11 (ط هوداس) (المؤلف) .

حيث اقام مدة طويلة ، خير شاهد على تجربه الاستقصاء والتدقيق (60) .

واخيرا فان كتبه التاريخية الثلاثة مظنة من أفيد المظان لمن يريد ان يضع تاريخا طبوغرافيا لمدينة فاس اذ يجد فيها تفاصيل غاية فى الدقة عن البنايات والاصلاحات التى تتعلق بالمساجد والمدارس والقناطر والقصبات (61) .

ولكن الميزة الاكثر أصالة فى مؤرخنا هى ، بدون شك علمه بشؤون اوربا ، وذلك يبدو بكامل الوضوح فى النسخة المخطوطة التى بين ايدينا من الترجمان وفى « البستان » اننا نلاحظ انه يصف بشىء من الاطناب العلاقات المغربية التركية ولكن كثيرا ما يسطر قلمه نبذا مفيدة عن السفارات الاجنبية التى وردت الى المغرب وعن البعثات الرسمية المغربية الموجهة لاوربا مثبتا بذلك انه على علم بتاريخ اهم دول اوربا المعاصر وعلى اطلاع بالمواقع الجغرافية التى تهيمن عليها تلك الدول ، ونحن لا نستغرب ذلك لاننا نعرف انه ركب البحر ، وهو يافع ، وسافر عبر شواطىء فرنسا واسبانيا الجنوبية وتسنى له ان يعرف كثيرا من المواقع وان يتعلم قسطا وافرا من الكلمات والعبارات الفرنجية، ربما تكون ضعيفة الصلة باللغة الفرنسية أو الاسبانية، ولكنها متداولة فى المراسى المغربية التى كان يتوارد عليها افواج من البحرية المختلفة اجناسهم ولهجاتهم

ومهما يكن فاننا لا نملك كتمان تعجبنا عند ما نجد، من بين المعلومات التى اوردها فى القسم الخاص بالسعديين ، من الترجمان ، وصفا طويلا بعض الشىء . للحالة السياسية التى كانت عليها اوربا فى أواخر فترة الحروب الدينية وتعرض الزيانى لذكرها عند ما تكلم عن الثائر مولاى الناصر (62) وعن الاعانة التى وعد بها احمد المنصور ملكة انجلترا قبيل انكسار الاسطول الاسبانى العظيم (63) .

ان هذه الاخبار ذات قيمة لا يستهان بها لان المؤرخين الغربيين كانوا لا يعرفون عن العلاقات السياسية المغربية الانجليزية ، فى العهد السعدى ، الا ما أفادتهم به الوثائق المحفوظة بدور المستندات الفرنسية والانجليزية والتى نشرت منذ عهد قريب ، (64) وبوجه خاص تلك الرسائل العديدة التى وجهها احمد الذهبى للملكة اليزابت والتى تبين ان تلك الملكة حاولت ان تبرم حلفا مع السلطان السعدى ليساندها ضد فيليب الثانى، ملك اسبانيا وليوفر للتجار الانجليز امتيازات خاصة فى السوق المغربية .

ان لم يكن الزيانى هو الكاتب الوحيد الذى كان يعرف تفاصيل تلك العلاقات ، فهو ، على الاقل ، المؤرخ الوحيد الذى اشار اليها فى مؤلفاته ، من غير ان يغفل ، بهذه المناسبة ، عن ابراز الدور الذى لعبه اذ ذاك العاهل المغربى ، احمد المنصور الذى كاتب ملكة انجلترا ليخبرها انه زاعم على مساعدتها بقطع جميع العلاقات مع ملك اسبانيا وبمدها بما تحتاج اليه من نحاس وملح البارود ومعادن الخ (65) .

---

(60) انظر ما أورده الزيانى فى الترجمان (كراسة 11 من مخطوط سلا) عن البديع وعن القصور التى بناها المولى اسماعيل بمكناس ومن ذلك قوله : « ولقد شاهدت ضخامة بنائه بعد خرابه ونقل خشبه ورخامه فى دولة أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله بن اسماعيل ووددت لو كان الفشتالى حيا وشاهد ما بناه السلطان الاعظم مولاى اسماعيل فى قلعة مكناسة من الدور والقصور التى تزيد على عشرين أصغرها يشاكل القصر البديع ، وأوسطها اعظم منه واكبرها لا يظهر البديع فى زواياه . . » (المؤلف) .

(61) انظر مثلا ما ذكره الزيانى عن البنايات التى أقامها المولى الرشيد بفاس (الترجمان : ط ، هوداس ص 9 — 12) (المؤلف) .

(62) الامير الناصر بن عبد الله الغالب ، انظر ما ورد فى هذا الشان فى « مناهل الصفا » (ط تطوان 1964 م ص 94 وما بعدها) (المعرب) .

(63) « الاسطول الظافر » (L'invincible Armada) كان وجهه فيليب الثانى ، ملك اسبانيا ، سنة 1588 م ، ضد انجلترا قصد اخذ الثار من قتلة الملكة Marie Stuart والقضاء على اليزابات الاولى ، وغرق اكثر مراكب الاسطول وسط زوبعة بحرية . . (المعرب).

(64) « المراجع غير المنشورة » لذوكاسترى ، الجزء الاول من السلسلة الخاصة بانجلترا (المقدمة) (المؤلف) .

(65) اشار المؤلف الى مرجع هذه المعلومات ولكنى لم اعثر عليها فى نسخة الترجمان التى بقسم المخطوطات بالرباط (المعرب) .

من المحقق ان الزيانى وجد هذه القائمة الدقيقة من المواد المسموح بتصديرها ، ضمن رسائل رسمية تيسر له الاطلاع عليها ، ولكن من يا ترى زوده بالمعلومات الخاصة بالاحداث التى وقعت باوربا فى اواخر القرن السادس عشر ؟ فاننا قرانا فى النسخة التى بين ايدينا من الترجمان فصلا حافلا يتعلق بهذا الشأن ولم يمنعنا من ترجمته الا طوله (65) . وهو يشتمل على اخبار تشير الى ما بذله فيليب الثانى ، ملك اسبانيا ، بعد وفاة الكردنال هنرى خليفة دون سبستيان على عرش البرتغال ، من محاولات لضم تلك البلاد الى مملكته . كما تشير الى العراقيل التى وضعتها فى طريقه الدولة الانجليزية ومنها العمل على فل قوة اساطيله البحرية والى الحالة الاقتصادية السيئة التى كانت عليها فرنسا فى تلك الفترة ، وهكذا تكلم عن نشوء الصراع بين الكتلتين المسيحيتين ، الكاثوليكية واللوثيرية ، وعن مقتل هنرى الثالث ، وجلوس هنرى الرابع على العرش بفرنسا (65) .

لا ريب ان مثل هذه المعلومات المطابقة للواقع التاريخى لا يمكن العثور عليها فى المؤلفات المغربية الاخرى اللهم ان يكون قد اشار اليها بعض السفراء المغاربة من الذين وجهوا الى اسبانيا ، وعلى كل حال فان الزيانى قد أدرك ان المغرب كان ، فى كثير من فتراته التاريخية يهتم بما يحدث من قضايا ومن ازمات فى البلدان الاجنبية كما فهم كمؤرخ انه ليس من الضرورى ان يصحب ذكر اسماء تلك البلدان ، فى كتبه ، بالنعوت المحتقرة الجارى بها العمل فى المكاتيب المغربية ، وهكذا نراه ، فى هذه الحالة ايضا يعدل عما كان معتادا عند الادباء من ابناء وطنه ، ويتسم بسمات لها صدى طيب فى نفوسنا .

انه لمن الممكن ان تكون معرفة الزيانى بالشؤون الاوربية ، وان كانت معرفة سطحية ، سببا من الاسباب التى افسدت سمعته فى الاوساط الثقافية وجعلت الناس يحطون من قيمة مؤلفاته الا ان تلك السمعة السيئة لم تنتشر الا بعد موته لان الموظفين الذين يعملون بجانبه يوم كان وزيرا وكانوا من غير شك يحسدونه ، لم يكونوا يجرؤون على التنقيص من مؤلفاته او الغض من قيمة اعماله وذلك نظرا لعلو مكانته عند السلطان ولقوة نفوذه فى البلاط . فانه لم يكن يتردد فى التصريح بما يخطر له من آراء وملاحظات مكتفيا ، فى هذا الصدد، باجتناب ما يعكر على مخدومه صفو العيش ؛ ومن حسن حظه كان مخدومه السلطان مولاى سليمان المعروف بذكائه وحلمه .

فان التقاريظ المختومة بها النسخ المخطوطة من « الترجمانة » تبين ان الزيانى كان ، حتى فى السنين الاخيرة من حياته ، مهيب الجانب مراعى الحرمة ، سيما ان كل اصحاب تلك التقاريظ يعدون من رجالات العلم والادب (66) وكان محمد اكنسوس احدهم ، وهو اذ ذاك من الحديثى العهد بالعمل فى البلاط السلطانى ، فانه كال للزيانى الثناء بالمكيال الاوفى الا انه لم يمت مؤرخنا حتى قلب له ظهر المجن ، فلم يستح من انتحال صفحات عديدة من كتبه وضمها الى « جيشه » من غير اشارة الى من كان رب نعمته ، بل لم يتورع عن تجهيله وحتى عن تكفيره .

اجل لا زال الزيانى ، الى يومنا هذا ، يجرح بمثل هذه الوصمة لانه كان حاد اللسان لا يتأخر عن « الولوغ فى الاعراض البريئة » وعن التنديد بالصالحين والفضلاء .

الظاهر ان مبعث حقد المؤرخ اكنسوس ، الذى كان من « اساطين » الطريقة التجانية ، على مترجمنا

---

(66) وهم السادة : سليمان الحوات ، حمدون بن الحاج ، محمد بن عامر المعوانى التادلى ، ومحمد بن هتو اليازغى ، وابو بكر بن ادريس المنجرة الحسنى ، واحمد زروق بن محمد بن صابر الجعفرى وعبد الودود الاندلسى الشفشاونى واحمد بن ابى نافع ، والعربى بن محمد الدمناتى ، وابو الفضل عبد الواحد بن احمد التاودى ابن سودة واخوه العباس ، وادريس بن عبد الله الودغيرى الادريسى ، والعربى بن الهاشمى الزرهونى ، ومحمد بن الصادق العلمى بن ريسون ، ومحمد بن احمد بنانى ، ومحمد ابن منصور الشفشاونى ، وسعيد السوسى ، ومحمد بن العربى قصارة الانصارى ، واحمد بن عبد السلام بنانى والطالب ابن سودة ، ومحمد بن احمد اكنسوس السوسى (المؤلف) .

(*) نشرت اكثر هذه التقاريظ فى « الترجمانة » (ط الرباط سنة 1967) .

هو ان هذا الاخير ترفع عن الانتساب الى تلك الطريقة والانتماء الى زاوية من « الزوايا » (67) .

وانه لمن حسن الحظ ان الاوربيين ما كادوا يطلعون على ذلك الجزء الضئيل من آثاره المنقول الى الفرنسية حتى قدروه حق قدره وراوا فيه المؤرخ الذى لم يبلغ بعد مبلغه احد ممن أرخوا للدولة العلوية . فان المؤرخين المغاربة الذين تلوه فى هذا المضمار ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يقدموا التوثيق اللازم والدقيق الذى كان يحرص عليه الزيانى فى مؤلفاته ، فان كل ما كتبه عن الاسرة العلوية ليس فيه كبير عناء الا بعد العصر الذى توقف فيه الزيانى عن الكتابة ، أما كتاباتهم عـــن الفترة التى عالجها الوزير المؤرخ فليسـت الا «انتحالات» او اقتباسات من مؤلفاته ، جعلت فى قوالب مزوقة مثقلة بالمحسنات البديعية .

(67) وردت ترجمة « الفقيه محمد اكنسوس فى كتاب القاضى الحاج احمد سكيرج « كشف الحجاب » ومما قاله فيه : « هو احد القائمين على ساق الجد فى الذب عن حماها . (الطريقة) ــ ورد تهورات كل شنيع ــ » (ص 328 ط 1962 م) ــ (المعرب) .

القاضي أبو بكر بن العربي

468 - 543 هـ

للأستاذ

سعيد أعراب

— 7 —

تحدثت فى اعداد سابقة عن القاض بن العربى بالمشرق (1) ، وقد توقفت عن ذلك لسبب او لآخر ، وهانا الآن اعود للحديث عنه — وهو بالمغرب .

واستسمح القارىء الكريم عن هذا التوقف الذى كان فوق ارادتى .

عودة ابن العربى الى المغرب :

عاد ابن العربى الى وطنه (المغرب) — بعد غياب طويل ، دام عشر سنوات او تزيد ، وقد سبقه علمه ، وذاع صيته ، واشرابت الاعناق لرؤيته ، واحتشدت الجمع لملاقاته والترحيب به ، وشدت الرحال للاخذ عنه والسماع منه ، وبالغ المرابطون فى اكرامه والاحتفاء به . (... كر الى الاندلس فحلها — والنفوس اليه متطلعة ، ولانبائه متسمعة ، فناهيك من حظوة لقى ، ومن عزة سقى ، ومن رفعة سما اليها ورقى ، وحسبك من مفاخر قلدها ، ومحاسن انس ابنتها وخلدها ..) (2) .

ولا ندرى هل كانت عودة ابن العربى عن طريق البر او البحر ؟ وكل ما نعرف ، انه نزل — عند عودته — بتلمسان ، وفاس ، وأملى بهما مجالس علم كانت مثار اعجاب الحاضرين (3) . ومر فى طريقه بأرض دكالة حيث اعجب بخصوبتها ، ووفرة ثمارها ، وكثرة خيراتها ، (رايتها انبتت ثانى يوم المطر) (4) .

وهى سهول مترامية الاطراف ، طولها وعرضها خمسة مراحل ، تنبط فيها الآبار العذبة ، وتكثر بها الزرع والضرع ، وبها زيادة على عشرة آلاف قرية غير مدن السواحل ، ومدينتها العظمى فى وسطها ، وعشرون مسجدا ، وخمس وعشرون مدرسة معمورة بطلبة البربر من صنهاجة ، واهلها قلما تجد فيهم من يتكلم العربية (5) .

وهناك التقى به العالم الرحالة ابو العباس القسمطينى: (اجتمعت بأبى بكر بن العربى لما قدم من سفارة (6) العراق ، سنة اربع (7) وتسعين واربعمائة) .

ابن العربى بمراكش (عاصمة المغرب) :

دخل ابن العربى مراكش — والامل يحدوه ان

---

(1) انظر مجلة دعوة الحق س 14 ، اعداد (1 — 2) 4 ، 5 ، (6 — 7) 8 ، 9 ، (1971) .
(2) الفتح بن خاقان ، مطمح الانفس ص 71 .
(3) سراج المهتدين فى آداب الصالحين — لابن العربى — مخطوط خاص .
(4) ابن قنفذ ، انس الفقير ص 71 .
(5) الزيانى ، الترجمانة الكبرى ص 78 .
(6) —وهذا نص جديد — نضيفه الى النصوص السابقة ، يدل بكل جلاء ووضوح على ان رحلة ابن العربى الى المشرق ، كانت تكتسى صبغة سياسية ، وانظر مجلة دعوة الحق س 14 ع 8 ، ص 101 ، 104 .
(7) انظره مع ما ذكره ابن العربى فى العارضة 99 / 68 — 69 ، والعواصم من القواصم 2 / 82 ، وسراج المهتدين — مخطوط خاص .

يجد لدى يوسف بن تاشفين أحلامه التى كانت تداعبه — وهو بعد حدث ، وقد عاش مع والده وهو الوزير المستشار فى بنى عباد ، ينعم فى حلل الرفاهية والسعادة، وقد أتته الدنيا بحذافيرها ، وبين عشية وضحاها ، يرى الطفل بأم عينه دولتهم تدول ، وملكهم يـزول ، وكأنها لم تغن بالامس ! فيذوق مـرارة الحرمـان ، ويعيش الوانا من الاضطهاد والبؤس والشقاء .

ويبدو أن ابن تاشفين قابل العالم الشاب ، والسفير الموفق ، بكل ترحاب وتكريم ، وتسلم منه المراسيم السلطانية التى حملها اليه من عاصمة الخلافة العباسية — (بغـداد) — بتقليده لقب امير المسلمين ، وجعله نائبا عن الخليفة العباسى فى اقطار الغرب الاسلامى ، تعززه فى ذلك فتاوى العلمـاء ، ورسائـل الـوزراء (8) .

ولا بد أن ابن العربى تحدث طويلا أمام ابن تاشفين يشرح له حالة المسلمـين فى الشرق العربى ، ومأساة فلسطين التى تحز فى قلب كل عربى مسلم فى الشرق او الغرب ، وقدم له تقريرا مفصلا عن اتصالاته باقطاب العالم الاسلامى فى موسم الحج لسنة (489 هـ) ، والسمعة الطيبة التى يتمتع بها امير المسلمين يوسف بن تاشفين فى هذه الاقطـار ، وكيف أن الامة الاسلامية قاطبة تتلقف اخبار جهاده، وانتصاراته على عدوه ، بكل اعتزاز وفخر ، وأن كل الانظار تتجه الى هذا الجناح الغربى ، وترى أن خلاص هذه الامة سيكون على يده ، عملا بقول الصادق المصدوق : (لا تـزال طائفة من أهل المغرب ظاهرين على الحـق حتى يأتى أمر الله (9)) .

وقد تأثر ابن تاشفين — وهو الرجل الصالـح المصلح — بخطاب الامام الطرطوشى الـذى يحملـه مسؤولية هذه الامة ، ويوصيه بتقوى الله وطاعته ، واشاعة العدل بين رعاياه ، والذى يقول فيه (.. وانا لنرجو أن تكونوا اولى بقية ينهـون عـن الفساد فى الارض ، ولقد كنا فى الارض المقدسة — جبر الله مصابها — تترى علينا اخبارك ، وما قمت به من اداء فريضة الله تعالى فى جهاد عدوه ، واعزاز دينه وكلمته، ولئن كنت تستنصر بجنود أهل الارض ، فلقـد كنـا نستنصر لك بجنود أهل السماء ..) (10) .

ومهما يكن ، فقد كانت رحلة ابن العربى موفقة ، وكان لها نتائج بعيدة الاثر ، وكانت هناك — ولا شك — تأكيدات بأن ابن العربى سيحظى بعناية خاصة مـن طرف الدولة ، وستصدر توصيات بذلك الى المسؤولين فى الجزيرة الالبيرية .

صلـة ابن العربى برجال الدولة :

كانت اشبيلية — منذ أن دخل المرابطون الاندلس — تحت نفوذ الامير سير بن ابى بكر اللمتونى ، وهو بطل شهم ، له جولات موفقة فى حروب الصليبيين ، وكان ابن العربى يتتبع باهتمام — وهو فى بلاد المشرق — خطواته الجريئة ، ولا يدع اية فرصة تمر دون أن ينوه ببطولاته ، واعماله الجليلة ، وحتى فى موسم الحج وأمام الوفود المحتشدة فى سائر اقطار الاسلام ، كان يكيل له من الثناء والاعجاب ، ما جعل الانظار تلتفت اليه ، وتتحدث بأخباره ومآثره (11) ، ومن الطبيعى أن يرعى الامير لابن العربى هذا الجميل ، ويحظى لديه بكل اعتبار وتقدير ، — بالاضافة الى ما قدمه الى الدولة من خدمات جليلة ، ومساع مشكورة ، على ن سمعته العلمية ، التى طبقت شهرتها الآفاق ، تجعله فوق كل اعتبار .

وما أن مرت ايام ، حتى رأينا الامـير يدعـوه لحضرته ، ويختاره للشورى بين يديه ، وهو منصب عال لا يرقى اليه الا الصفوة المختارة من رجالات الفكر وأئمة الفقه ، يجعلهم فى مصاف الوزراء وكبراء رجال الدولة ، ومن هنا نجد بعض معاصريه يحليه بلقب الوزيـر (12) .

ولم تكن أعماله الادارية لمجلس الشورى ، لتعوقه عن مهامه العلمية ، من بحث وتـأليف ، وتـدريس ووعظ .. ولكن صلته بالسلطان ، ربما أساءت الى

---

(8) انظر شواهد الجلة ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (1020 د) .
(9) انظر مجلة دعوة الحق س 14 ع 5 ، ص 165 .
(10) انظر شواهد الجلة ص (32 — 39) .
(11) انظر مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ك 1275 .
(12) انظر احكام صنعة الكلام ، — لابن عبد الغفور ص 190 — 191 ، وص 232 ، 247 .

سمعته كعالم متحرر ، وداعية اسلامي ، فهذا احد تلاميذه المعجبين به ، ابو عبد الله بن مجاهد الاشبيلي ، الزاهد العابد ، لازم ابن العربي نحوا من ثلاثة اشهر ، ثم تخلف عنه ، فقيل له في ذلك ، فقال : كان يدرس وبغلته بالباب تنتظره للركوب الى السلطان (13) .

وهكذا ظل ابو بكر بن العربي الى جانب الامير سير بن ابي بكر يستشيره ، ومن خواصه المقربين لديه ، بل كانت له دالة عليه ، كلمه مرة ان يسأل له رجلا حاجة ، فقال له : (اما تدري ان طلب مسالة عند الامير غصب لها ؟) فكان جواب ابن العربي — على البديهة — : (اما اذا كان عدلا فلا) (14) .

كان الامير سير محبا لاهل العلم ، موثرا للادباء ، ومن رجالات الادب الذين الحقهم بديوانه ، الكاتب الاديب والشاعر المبدع ، ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ، صاحب الرائية المشهورة في رثاء بني الافطس ملوك بطليوس (15) .

نكبة كادت تعصف بابن العربي !

صحب ابن العربي معه لدى عودته الى المغرب مكتبة حافلة بالاعلاق والنفائس في مختلف العلوم والفنون ، وكان من بين ما ضمته كتاب الاحياء للغزالي، وربما كان ابن العربي اول من ادخله الى المغرب ، وله فيه راى خاص ، وقد انتقد عليه اشياء واشياء ، تجدها في ثنايا كتبه (16) .

ومما لم يتفق فيه مع استاذه الغزالي ، قولته المشهورة : (ليس في الامكان ، ابدع مما كان) (17) ! ولكن فقهاء الاندلس اعلنوها حربا شعواء على الغزالي ، وبالتالي على كتابه « الاحياء » يتزعمهم في ذلك قاضي قرطبة ابن حمدين ، فاغروا السلطان به ، وافتوا باحراقه ، فاصدر امير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، امره بذلك الى سائر عماله بالعدوتين ، فاحرق بقرطبة امام ملا من الناس ، وذلك سنة (503 هـ) ، واشارت الاصابع بالتهمة الى كثير من اهل العلم والفضل ، وبالدرجة الاولى الى تلاميذه ومريده، وفي مقدمة من جرفتهم هذه العاصفة الهوجاء ، مترجمنا — ابو بكر بن العربي ، دعي الى الجزيرة الخضراء ، يحمل نسخته من « الاحياء » فاتلفت والقى بها في الماء وامتحن وكادت تعصف به الاهواء (18) !

ويحدثنا ابن طلموس في كتابه (المدخل الى صناعة المنطق) عن ظروف هذه القضية ، وما يحيط بها من ملابسات ، فيقول : (.. ولما امتدت الايام ، وصل الى هذه الجزيرة كتب ابي حامد الغزالي متفننة ، فقرعت اسماعهم باشياء لم يالفوها ولا عرفوها ، وكلام خرج به عن معتادهم من المسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذي لم يعتد اهل الاندلس مناظرتهم ولا محاورتهم ، فبعدت عن قبول اذهانهم ، ونفرت عنه نفوسهم ، وقالوا ان كان في الدنيا كفر وزندقة ، فهذا الذي في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة ! واجمعوا على ذلك ، واجتمعوا للامير اذ ذاك ، وحملوه على ان يامر بحرق هذه الكتب المنسوبة الى الضلال — بزعمهم —، فأحرقت كتب الغزالي — وهم لا يعرفون ما فيها . وامتحن من كان عنده منها كتاب ، وخاف كل انسان على نفسه ان يرمى بأنه قرا منها كتابا او اقتناه ، وكان في ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه . واشهر من امتحن في هذه الثورة ابو بكر بن العربي — رحمه الله ، فانه صلى بحرها ، ثم عصمه الله — بعد بلاء عظيم ، وفيه معنى قول القائل :

(ان ينج منها ابو نصر فمن قدر) (19)

وللقضية ذيول ، ندع الحديث عنها الى فرصة اخرى .

توفي سير بن ابي بكر سنة (507 هـ) — بعد

---

(13) التكملة 2 / 522 .
(14) الاحكام 2 / 202 .
(15) المعجب ص 164 — 168 .
(16) انظر كتابه (سراج المهتدين) مخطوط خاص .
(17) نفس المصدر .
(18) انظر نظم الجمان لابن القطان ص 15 — 12
(19) انظر تاريخ الفكر الاندلسي — تعريب حسين مؤنس ص 365 — 366 .

ان حكم باشبيلية سبعا وعشرين سنة (20) ، وقد خلفه ولده يحيى (21) ، فعبد الله بن فاطمة (22) ، ثم ابراهيم بن يوسف بن تاشفين (23) ، وهذا الاخير هو الذى ارجع الى ابى بكر بن العربى املاك والده التى صودرت منه عند استيلاء المرابطين على اشبيلية ، وقد وسط له فى ذلك حافظ العصر ابو على الصدق ، وهو من شيوخ الامير كان يحضر عليه مجالس خاصة (24) ، وباسم الامير ابى اسحاق هذا ، الف الفتح بن خاقان كتابه (قلائد العقيان) ، ونوه فى مقدمته بمآثره ومحاسنه (25) ، وكان ممدحا من كبار الادباء الاندلسيين لعلمه وادبه وكرمه وشجاعته (26) .

جهاد ابن العربى :

عند ما انتعش الصليبيون ، واكتسحوا اراضى الاسلام فى عدة جهات من شرق الاندلس ، واضحى الخطر يتهدد الثغر الاعلى بكامله ، — قام ابن العربى فى الناس يدعوهم الى الجهاد فى سبيل الله ، ونجدة اخوتهم وجيرانهم ، وطلب من الوالى ان يجعل الجند فى استنفار ، ويعلن الجهاد فى سائر الاقطار حتى لا يبقى احد : (.. فقلت للوالى (27) والمولى عليه : هذا عدو الله قد حصل فى الشرك والشبكة ، فلتكن منكم الى نسرة الدين حركة ، وليخرج اليه جميع الناس ، حتى لا يبقى احد فى جميع الاقطار فيحاط به ، فانه هالك — لا محالة — ان يسيركم الله ، فغلبت الذنوب ، ورجفت بالمعاصى القلوب ، وصار كل احد من الناس ثعلبا يأوى الى وجاره ، وان راى المكيدة بجاره ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وحسبنا الله ونعم الوكيل) (28) .

فكان نداء ابن العربى الى قومه كما قال الشاعر :

امرتهم امرى بمنعرج اللوى
فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

وعلى اثر ذلك سقطت سرقسطة ، وميورقة ، وسواهما من قواعد الاسلام بالثغر الاعلى ، فكان ذلك بداية النكبة ، وامارات الكارثة ، والبدايات عنوان النهايات (29) .

وقد شارك ابن العربى فى كثير من الغزوات التى خاضها امراء اشبيلية مع الصليبيين فى شرق الاندلس وغربه ، ومن بينها غزوة كتندة التى خرج اليها ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين سنة (514 هـ) ، وكانت على المسلمين ، واستشهد فيها آلاف المتطوعة ، وفقد عدد منهم ، من بينهم الامامان الجليلان ابو على الصدفى ، وابو عبد الله بن الفراء ، ونجا ابن العربى بأعجوبة ، وقد سئل — عند مخلصه منها — عن حاله : فقال : حال من ترك الخباء والعباء (30) ، — اى فقد كل ما عنده .

وقد فهم بعض الباحثين من هذا ، ان ابن العربى كان من الفارين فى هذه الغزاة (31) ، وهو استنتاج غريب !

---

(20) البيان المغرب 4 / 56 .
(21) قيام دولة المرابطين ص 340 .
(22) البيان المغرب 4 / 62 .
(23) معجم شيوخ الصدق ص 55 .
(24) معجم شيوخ الصدق ص 55 .
(25) انظر المقدمة ص 3 — 4 .
(26) تجد مدائحه فى القلائد ، والمعرب لابن سعد .
(27) لعله ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين الذى ولى على اشبيلية سنة (511) وجاءه الامر بعد من يوسف بن تاشفين بالخروج الى الغزو فى جهات الثغر الاعلى ، فكانت غزوة كتندة سنة (514 هـ) التى هزم فيها المسلمون هزيمة ، فوبخ ابو اسحاق ، واقصى الى جهة نائية حيث مات طريدا .
ويذكر ابن العربى فى الاحكام 1 / 391 — ان ذلك كان سنة (527) ، بينما المقرى فى النفح 4 / 476 — يجعل ذلك من حدود (511 — 512) — اى قبل سقوط سرقسطة وميورقة ، ولعله الصواب
(28) الاحكام 1 / 391 ، وانظر النفح 4 / 476 .
(29) انظر النفح 4 / 476 — 477 .
(30) معجم الصدق ص 4 — 5 ، النفح 4 / 460 — 461 .
(31) انظر مقدمة حسين مؤنس للحلة السيراء ص 16 .

وخرج مع الامير أبى بكر بن يوسف بن تاشفين الى الثغور الشرقية بقصد الغزو سنة (522) ، وكان يجمع بين الجهاد والعلم ، فقد اخذ عنه فى هذه الوجهة أبو العباس أحمد بن عبد الجبار من اهل شنتمرية (32) ، وآخرون سواه ، ويذكر ابن العربى فى هذا الصدد أنه امتنع عليهم احد الحصون بعد أن حاصروه طويلا ، فراى ذمى — كان من بين المتطوعة — رؤيا ، فأولها بالفتح القريب ، فكان الامر كذلك (33) .

وتردد غازيا على بلنسية سنة (525 هـ) ، وكان ممن اخذ عنه بها طارق بن موسى المعافرى (34) ، وكثير غيره .

تولية ابن العربى الشورى لدى القضاة :

لم يعد ابن العربى يتردد على البلاط الاشبيلى وكأن ذلك لامر يربطه بالامير البطل سير ابن ابى بكر ، الذى كان من دعائم الدولة المرابطية بالجزيرة الالبيرية فلم يستطع احد أن يخف فى صرامته ومواقفه البطولية ، وانقطع ابو بكر بن العربى الى العلم والدعوة الى الله ، وكانت فتاواه تجوب أقطار الاندلس شرقها وغربها ، وكأنها الشهب اللامعة ، تقذف مردةالشياطين من الخصوم ، وتقف كالسيف المصلت فى وجوه الحاكمين ، وكانت هناك مناظرات بينه وبين منافسيه من فقهاء العصر (35) ، ولكن ابن العربى كان يخرج منها ظافرا منتصرا ، مما دفع بالامير الى أن يختاره للشورى لدى القضاة (36) ، فلا يبرمون امرا الا بمشورته ، ولا يصدرون حكما الا بعد أخذ رأيه فيه ، والتعيين فى مثل هذا الوظيف السامى ، انما يكون بصدور ظهير خاص ، وصورته :

« هذا كتاب تنويه وترفيع ، وانهاض الى مرقى رفيع ، أمر بكتبه الامير .. للفقيه الوزير المشاور ، انهضه به الى الشورى ، ليكون عند ما يقطع بأمر ، او بحكم فى نازلة ، يجرى الحكم بها على ما يصدر من مشورته ومذهبه ، لما علمه من فضله وذكائه ، وجده فى اكتساب العلم بمقاصده المتوخاة وانحائه ، والله يزيده تنويها وترفيعا ، ويبوئه من حظوته وتمجيده مكانا رفيعا .. » (37) .

وينتظر ابن العربى وظيف آخر سام ، سيتحمل فيه مسؤوليات جساما ، ويمتحن بالبلايا والنكبات اشد ما يكون الامتحان !

فالى ان نلتقى به على منصة القضاء ، باشبيلية الفيحاء — فى عدد قادم بحول الله .

سعيد اعراب — تطوان

---

(32) التكملة 1 / 350 .
(33) انظر رسالة المستنصر — مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (ك 250) .
(34) انظر التكملة 1 / 344 .
(35) من هذه المناظرات ، ما جرى بينه وبين ابى القاسم بن ورد ، انظر الاحاطة 1 / 136 .
(36) انظر التكملة 2 / 542 .
(37) انظر التكملة 2 / 652 .



اعتاد الناس ان يتقدموا بمثل هذه الكلمات ، وفي مناسبات تشبه هذه المناسبات الى اصدقاء الفقيد او اخوته او ذريته وقد رايت ان اهديها تحية مني وتقديرا للسيدة الفضلى حرمه التي كانت توفر له سائر ظروف الهناء والهدوء والاطمئنان ، والتي عاشت حياتها على صحته واجفة ، وعليه عاطفة الى ان التحق الى جوار ربه وهي عنه راضية ، وعليه ناحبة باكية ، تتمنى ان لو ظلت تتسلى بتكفيفه مناديا ، وباشاراته هاديا ، وبكتبه وحدها معنيا ، واوراقه وحدها شاديا ساليا .. تلك التي استقطبت بالنسبة اليه حنان والدته وحب اخوته واعتزاز ذريته ..

د . عبد الهادي التازي

تميزت بحوث اخينا الاستاذ عبد الكريم ابن الحسني بالاصالة والمتانة ، ولكنها الى جانب ذلك تكتسي احيانا طابع الطرافة والجدة ، وان من هذه المؤلفات ورقات له مخطوطة تحمل اسم كتاب المراثي ، عمد فيه الى استقصاء طائفتين اثنتين من الناس : قوم أشيع عنهم انهم صاروا الى عفو الله فرثاهم اصدقاؤهم واعزاؤهم بقصائد وكلمات دامعة قرآها اولئك « الاموات الاحياء » وضحكوا منها كثيرا .. وقد كان في احدث هؤلاء الاديب المعروف احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة الذي حرر حول هذا النعي الذي نشر عنه ، مقالا كتبته مجلة الجريدة التي كانت تصدر بالرباط كما نشرته مجلة الازهر بعددها الصادر في جمادى الاخرة 1381 ..

وقوم آخرون من الناس لمع اسمهم ، وهم احياء لكنهم اهملوا بعد الوفاة لسبب اواخر فلم يرثهم احد ولعل ابرز هؤلاء في بداية القرن الثالث عشر حافظ عصره وسند مصره وصاحب الشرحين العظيمين على الاحياء والقاموس واستاذ الصوفية والحنفية الشيخ مرتضى الزبيدي ..

الكتاب موزع كما نرى بين عدد من الاحياء يضحكون ، وعدد من الاموات يشتكون ، لكن الاستاذ عبد الكريم لم يتناول في كتابه طائفة من الناس انشأوا رثاهم وهم يأكلون ويشربون ، ولعله ادخر ذلك للرسالة الخالدة التي حررتها يراعته وهو يعاني من عناء المرض الذي اتعده ..

لقد كان من حسن حظي أن اظل على صلة كتابية مع الفقيه الراحل منذ ان سفرت لبلادي سواء بطرابلس او بغداد ، ولهذا فقد كنت أنعم بقراءة أخباره باستمرار وكنت المس من هذه الرسائل قوة العارضة وجودة الاطلاع ، وصفاء القلب وسلامة الطوية .

لم اتردد في نشر بعض تلك الرسائل في المجلات الشرقية والغربية على انها من عيون الادب الرفيع ..

والواقع ان رسائله كلها تعتبر نموذجا حيا لما ينبغي ان يكون عليه الاسلوب ومثالا عاليا ينشده

الكاتب ، وما يؤمله المؤرخ ، وما يتوق اليه المحدث ، فالرجل متضلع فى فنون الآداب متخصص فى علوم الحديث ، متمكن من أخبار الاولين .

لم يكن غريبا على تمرسه وتفرسه فقد كان هو بالذات ابن شيخى العلامة الرئيس سيدى المدنى ابن الحسنى الذى ما تزال اشراقات مجالسه ماثلة أمام مخيلات عديدة من تلامذته واصفيائه من الذين عرفوه عن كثب فعرفوا فيه الاستيعاب والاطلاع والاخلاص والكفاءة .

وقد كانت رسائلى اليه قبل وفاته تقصد الى « تحريكه »و « تفقده » لا سيما وانا اعلم انه طريح الفراش ، وكان وصول اجوبته ، بالنسبة الى ، بشرى تزف الى « انه ما يزال بخير على كل حال » .

ولشد ما يدهشنى فيه انه ما انفك يسالنى عن « مسائل شرقية » ملحا بصفة خاصة على عدم الاكتفاء بالجواب دون أن أشير الى مصادره ، والى أرقام المجلدات ، وتاريخ الطبعات وعدد الصفحات كانما كان يعد بحثا اكاديميا لكل مسالة يتعلق غرضه بها .. سالنى عن مقالات فى مجلات عراقية كاد اهل بغداد انفسهم ان ينسوا امرها : وسالنى عن الصومعتين المتحركتين فى مدينة اصفهان حتى يحقق مع بعض الرحالة فيما كتبوه عن بلاد فارس .. وسالنى عن مخطوطات (واحة الجغبوب) بليبيا مؤملا معرفة مصيرها ..

كنت بين هذا وذاك اشعر باننى ما ازال الى جانب أستاذ ، مهما بعدت المسافات بينى وبينه ، فان به باعثا من أمل ورمقا من حياة ، الى ان وصلتنى منه رسالة لا شك انه كتبها وقد راى امامه ما رأى ..

حملت بالنسبة الى **رثاء منه لنفسه** : وقد ادركت — على التو — بانه يلمح لمشاعر يائسة ، تنذر بايام من حياته عابسة .. بالرغم من اننى كنت بين الفينة والاخرى استدرجته لمعرفة ما يشغله من بحوث ، وما يستهويه من قراءات لكن لم اكن أتوقع ان يبعث الى مرة واحدة بما انجزه وينجزه من اعمال ..

كنت — وقد نزل القضاء — افكر فى رثاء اخينا عبد الكريم ببعض ما اعرفه عنه من جميل الخصال وجميل الاحدوثة وطيب الامثولة .. كنت افكر ان اضع رسما أصف فيه حياة سيدى عبد الكريم فى بيته بنظاراته البيضاء بين كتبه ، سواء منها الموضوع على الفراشين الاعلى والاوسط أو البساط الادنى ، بين وصفات الاطباء وخصائص الادوية ومنافع الفيتامينات ، اصفه بعزيمته النافذة وارادته الواصلة فى الامتناع عن هذا الطعام أو ذلك المشروب ، فى خفة دمه وهو يرسل النكتة ويتبعها بالفائدة باشارة ذكية وتلويحات خفية ، أصفه وهو فى طريقه من مكتبه الى بيته فى يوم من أيام الخريف مدثرا ثيابه ، جامعا بأطراف برنوسه . أصفه وهو يصوب النظر ويصعده فى هدف من الاهداف او طرف من الاطراف مطرقا يستجمع انفاسه لاعداد جواب او تلقى خطاب ، اصفه يعبر عن حرج وعبء الما به من قولة طائشة جرحت مسامعه او زيارة من طارق غير متوقعة افسدت عليه برامجه : ؟ أصف مشاعره وهو يسمع او يرى خرقا لقاعدة او اساءة لادب أو عقوقا لتقليد او كفرا بقيم او اشادة بالحاد ، اصفه وهو فى اللحظات الاخيرة التى كنت اجلس فيها الى جانبه اغنم الحديث اليه ، حيث كنت ألمس فيه مثال العالم الوفى المخلص لعلمه ، كان يجود بأنفاسه ومع صعودها كان ينثر ايضا الفائدة العلمية ، بقلمه الى ما قبل اسبوع ، من وفاته وبصوته المتهدج بعد ذلك ، وباشارته عند ما اعجزه اللسان ، كنت أريد واريد .. لكننى وجدت فى استعراض آثاره تخليدا لذكره سيما وهى نتاج ليس كسائر ما ينتجه حملة الاقلام ، ولكنها نتاج يعد من اهم ما حررته أقلام الاعلام ..

لقد دشن نشاطه العلمى ولما يبلغ من العمر سبع عشرة سنة حيث نشر فى مطلع عام 1347 (يونيه 1928) كلمة عن ثروة الخيزران بمجلة (لغة العرب) البغدادية التى كان يصدرها الاب انستاس الكرملى فى جزئها السابع من سنتها السادسة ، وكانت بامضائه المستعار (ابن خلدون الصغير) وكانت نقلتها عنها مجلة (العرفان) الصيداوية الشيعية فى عدد المؤرخ بربيع الاول عام 1347 لانها وجدت فيها الحجة لها على ما كانت ذكرته فى مبلغ ثروة الخيزران .

ولم تكن تلك بداية الانتفاضة العصفورية الخلدونية الصغيرة فقد كان ابن خلدون الصغير حرر فى منتصف ذى القعدة من عام 1346 كلمة سابقة لمجموعة (امضاءات المفكرين وكلماتهم فى الادب او السياسة أو الاجتماع) الداودية ، وقد نشرت مع كلماتهم فى مجلة (السلام) التطوانية فيما بعد ..

وفى الشهر الموالى صدرت ثالثة الاثافى وهى كلمة حول اول كتاب ذكر اصل الطربوش ، وقد نشرت بمجلة

(الهلال) المصرية فى عدد 15 صفر 1347 (غشت 1928) تعليقا واستدراكا على ما كانت المجلة نشرته حول الموضوع .

ولما نشرت جريدة (السعادة) الرباطية فى عددها 3218 كلمة من طنجة تطلب الافادة بمعلومات عن اربعة من ادباء المغرب : ابى العباس الجراوى ، وعبد الله بن القابلة السبتى ، ومحمد بن احمد الحضرمى الطنجى ، وابى الحسن الطنجى . . اجابها (ابن خلدون) ايضا بما تيسر له آنذاك فى مقالات متتابعة بعنوان (فى عالم الادب والتاريخ) نشرت باعداد السعادة : 3275 / 77 / 85 — 95 — 97 — 3352 — 65 — 69 المؤرخة بـ 17 — 12 صفر — 12 ربيع الاول — 7 — 12 ربيع الآخر 26 شعبان — 27 رمضان — 9 شوال وكلها من شهور سنة 1347 .

وفى جمادى الآخرة من سنة 1347 كذلك وقع تحرير كلمة بعنوان (تواريخ المغرب) تصديرا للجزء الاول من تاريخ مكناس للنقيب ابن زيدان (اتحاف اعلام الناس) المطبوع فى ذلك العام ، وقد حظيت هذه الكلمة الوجيزة بتقدير الفاهمين الدارسين ، وكان فى صدرهم الكاتب المكثر امير البيان المجاهد شكيب ارسلان نقرظها ولخصها فى مقالة له افتتحت بها جريدة (كوكب الشرق) المصرية فى عددها المؤرخ بيوم الاربعاء 13 ذى القعدة 1349 ، وقد وعد الامير فى تعليقه عليها بترجمتها ونشرها فى مجلته الفرنسية : (الامة العربية) . . كما قام الفقيد بجمع وترتيب الفهارس الجامعة المفصلة لكل واحد من الاجزاء الخمسة من تاريخ مكناس ، ولعلها اول ما وضع بالمغرب من فهارس على ذلك الشكل المفصل الحديث . . كما وقع بعد ذلك جمع فهارس (الدرر الفاخرة) الزيدانية كذلك ، وقد اشار الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الى شيء مما يتعلق بهذا فى مقال له كان نشره فى جريدة (العلم) اظنه فى ربيع الاولى من سنة 1366 حول بعض مؤلفات ابن زيدان الخطية اذ ذاك ولله العز والصولة .

وفى سنة 1354 صدرت له كلمة باسمه الصريح جوابا للدكتور عبد الوهاب عزام عن استنجاد اهل الاندلس بالسلطان ابى يزيد العثمانى واغاثته لهم ، وقد نشرت بمجلة الرسالة المصرية الزياتية الصادرة بتاريخ 7 ربيع الثانى 1354 (1934 — 1935) .

ثم فى سنة 1357 كشف (ابن خلدون الصغير) عن حقيقته فى ملحق جريدة (المغرب) السلوية للثقافة المغربية ورفع القناع عن اسمه المستعار فى اول البحث الذى نشره فى عدديها 9 — 10 المؤرخين بـ 10 — 17 ربيع الثانى 1357 (يونيه 1938) عن كتاب (الحماسة المغربية) للجراوى ، وقد اشار لهذا البحث بعض كبار الباحثين والمؤرخين الذين تعرضوا للجراوى كالاستاذ محمد الفاسى فى محاضراته الجامعية والاذاعية ، وفيما نشره بمجلة رسالة المغرب الرباطية فى العددين الرابع والخامس من سنتها الاولى 1361 (1943) وفى كتابه شاعرا لخلافة الموحدية (ص 4 — 10 — 42) وكالاستاذ محمد المنونى فى كتابه العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين المطبوع بتطوان لسنة 1349 (74 — 307) ، وكالاستاذ عبد السلام ابن سودة فى كتابه (دليل مؤرخ المغرب الاقصى) المطبوع كذلك بتطوان سنة 1369 (469) وكالاستاذ المختار السوسى فى كتابه (سوس العالمة) المطبوع بفضالة سنة 1380 (66) ، وفى رسالته الشوقية (185) التابعة للجزء الاول من كتابه الالفيات ، وكالاستاذ عبد الهادى التازى فى تحقيقه لتاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة المطبوع عام 1383 ببيروت .

وفى سنة 1366 القى الفقيد بالاذاعة المغربية كلمة بمناسبة عيد العرش نشرت بمجلة رسالة المغرب فى عددها الثالث من سنتها السادسة المؤرخة بذى الحجة 1366 (نونمبر 1947 — 6 : 167) .

واثناء كل هذا كان للاستاذ عبد الكريم نوع من المشاركة فى بعض الاعمال واللجان التاريخية والادبية وغيرها كاربعين الشيخ شعيب رحمه الله ، والذكرى المولدية والادريسية وغيرها مما وقعت الاشارة الى بعضه فى مجموعة (التكريم الزيدانى) المقام بالبيضاء سنة 1349 المطبوعة بفاس (43) ، وفى مجموعة (يوم شوقى بفاس) المقام سنة 1351 المطبوعة بها 8 — 16 ، وفى مجلة الثقافة المغربية الصادرة فى غشت 1941 — 1 : 3 وفى الرحلة السلطانية المحمدية الفيلالية لابن زيدان وغيرها . .

وقد حرر بحثا حول (جامع القرويين) بفاس تحية لها من (جامع السنة) بالرباط وذلك بمناسبة المهرجان الذى اقيم بفاس سنة 1379 (1960) بمناسبة عيدها المائة بعد الالف وقد نشر البحث فى الكتاب الذهبى الذى صدر عن وزارة التربية الوطنية آنذاك ، ونوهت به

مجلة العلوم البيروتية فى عددها الصادر فى دجنبر من سنة 1960 (5 : 12 — 67) .

وقد خصص تاريخ سوس واعلامها الذى تضمنه كتاب المعسول للشيخ المختار السوسى رحمه الله بكلمة تقريظ لم تقتصر على التقريظ المالوف ولكنها كانت دراسة نقدية عميقة مركزة طويلة كانت من غرر ما كتب عن تاريخ الجنوب وقد كانت بمثابة زبد طرى على المعسول نشرت الكلمة فى آخر المجلد العشرين من المعسول (ص 316) ، ولما كنت استفتيته حول شطر من بيت وجدته فى طرة على مخطوطة ابن صاحب الصلاة منسوبا للمتنبى فقد اجابنى برسالة مسهبة تصحح أن الشعر : « وما السيف الا مستدار لزينة » هو للبحترى وليس للمتنبى وقد نشرت مجلة الاقلام البغدادية السؤال والجواب بكاملهما تحت عنوان : (من ادب الرسائل) بعددها الصادر من جمادى الاولى 1384 (1 : 2 : 178) فكان فيما نشر ببغداد اولا بمجلة العرب ، واخيرا بمجلة الاقلام رد العجز على الصدر كما يعبر فقيدنا وهو يشعر أن ايامه غدت اعجازا بعد ان كانت بالامس صدورا . .

وقد وجدت « الرواد » مجلة اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بليبيا فائدة جلى فى نشر جوابه ايضا مع رسالة بعثها اليها ، فى صيف سنة 1968 الذى كان فيه الفقيد على موعد مع اول اشعار بظروف الامتحان وصروفه عند ما انهارت حالته الصحية فجأة واستيقظ ليجد نفسه بين الاطباء والممرضات .

لقد عرفت الشىء الكثير عن مؤلفاته الاخرى التى ما تزال مخطوطة او التى كانت تنتظر منه المراجعة والتصحيح ، كان منها كتابه القيم : (معجم القبائل المغربية) وكتابه (أعلام المغرب) وكتابه (التكريم فيمن اسمه عبد الكريم) ، وقد كان من آخر ما نسخته انامله (المقدمة) التى كتبها والده وجعلها فاتحة لشرح نصيحة الشيخ محمد بن جعفر الكتانى فى دعوة المسلمين للحذر واليقظة ، وقد كان المرحوم انهى الى ان احدى الشخصيات العلمية ذات الصلة كانت قد تسلمتها منه اعدادا للنشر ، وفى آخر لقاء معه شعرت باهتمامه البالغ حول مصيرها . .

لقد عاش اخونا عبد الكريم منذ اول يوم عرفته فى خريف سنة 1934 صديقا وفيا للجميع ، ناصحا مخلصا للمبدا ، وطنيا صادقا مسلما غيورا ، مؤمنا صبورا ، يرعى الله ، ويؤمن بما قدر الله ، صامدا امام الاختيار ، مفوضا لله فى الاختيار . . عرضت عليه مرارا المساعدة ، واقترحنا ان يسكن العيادة مرة اخرى لاجراء فحوص قد تكشف عن الضرر ولما كان يشعر ان المرض المزمن كان يتجاوز مرحلة التسكينات فانه ما انفك يتملص من العروض ، معتذرا بالمناسبات المتجددة، ولما الححت عليه قبل اسبوع من وفاته، وعد بأنه ينتظر فقط مرور عشية السبت خامس وعشرين من شوال حيث كان فى معتاده اقامة حفل تابينى برورا بوالده كلما حان هذا التاريخ ، وقد زرته ذلك المساء فوجدته على حالة من الاعياء والتدهور والتداعى جعلته يكتفى فى الترحيب بحركتين اثنتين : الاولى وضع بيمناه على جبينه والثانية ايماءة بعينيه لانارة المكان . . وكان ذلك آخر العهد بمثال سام من خلق كريم وصفحة مشرقة من تاريخ عظيم وشخصية فذة من بيت حافل . .

المراكز العلمية في سبتة السليبة

للأستاذ اسماعيل الخطيب

« سلام على سبتة المغرب
آخيـة مكـة او يثـرب »

قرات هذا البيت من الشعر فهزني ، واوحى الى بان لهاته المدينة تاريخا حافلا مجيدا .. ثم تريثت وقلت : انه قول شاعر ، والشعراء كثيرا ما يسرح خيالهم ، فيقولون ويقولون ولكن حافزا دفعني للبحث ، فكانت النتيجة هـذا البحث وأبحـاثا اخرى تعقبه بحـول الله .

ان الدارس لتاريخ سبتة العلمي ، ليشعر أثناء دراسته لهذا التاريخ بالمستوى الرفيع الذي كانت تحياه هذه المدينة المغربية العريقة ..

فمجالس الدرس في غالب الاحيـاء ، والعلمـاء والادباء يحجون اليها من انحاء البلاد الاسلامية ، فيقع اللقاء بين العلماء والادباء ، وتعقد المناظرات العلمية والمجالس الادبية حتى صارت سبتة عاصمة من عواصم الادب والعلم .

وكان لطلبتها من النباهة القدر الكبير ، وقلما يسلم منهم وافد جديد من أهل العلم ، فهم يمتحنونه حتى لكأنهم لا يريدون أن يطأ ارض مدينتهم الا المبرز في فنه ، الواسـع الاطلاع ، وقد وقعت بسبـب ذلـك جملة حوادث تجدها في المصنفات التي تـؤرخ للحيـاة العلمية بالاندلس والمغرب .

وقد ذكر في نفح الطيب (1) لحادثة وقعت لابـن خميس عند ما قدم لسبتة بقصد الاقراء بها : فقـد اجتمع اليه عيون طلبتها ، فألقوا عليه مسائل مـن غوامض الاشتغال ، فحاد عن الجواب عنها بأن قال لهم : انتم عندي كرجل واحد ، يعني ان ما القوا عليه من المسائل انما تلقوها من رجل واحد وهو ابن ابي الربيع ، فكأنه انما يخاطب رجلا واحدا ازدراء بهم ، فاستقبله أصغر القوم سنا وعلما بأن قال له : ان كنت بالمكان الذي تزعم فأجبني عن هذه المسائل من بـاب معرفة علامات الاعراب التي اذكرها لك ، فان أجبت فيها بالصواب لم تحظ بذلك في نفوسنا لصغرها بالنظر الى تعاميك عن الادراك والتحصيل ، وان اخطأت فيها لم يسعك هذا البلد ، وهي عشرة : الاولى : أنتـم يازيدون تغزون ،والثانية انتن ياهندات تغزون ،والثالثة انتم يازيدون وياهندات تغزون ، والرابعة أنتن ياهندات تخشين ، والخامسة انت ياهند تخشين ، والسادسة انت ياهند ترمين ، والسابعة انتن ياهندات ترمين ، والثامنة انتن ياهندات تمحون او تمحين ، كيف تقول ؟ والتاسعة انت ياهند تمحين أو تمحون ، كيف تقول ؟ والعاشرة انتما تمحوان او تمحيان ، كيف تقول ؟ وهل هذه الافعال كلها مبنية أو معربة او بعضها مبني او بعضها معرب ؟ وهل هي كلها على وزن واحد او على اوزان مختلفة ؟ علينا السؤال وعليك التمييز لنعلـم الجواب ، فبهت الشيخ ، وشغل المحل بأن قال : انما يسأل عن هذا صغار الولدان ، فقال له الفتى : فانت دونهم أن لم تجب ، فانزعج الشيخ ، وقال هذا سوء ادب ونهض منصرفا ، ولم يصبح الا بمالقة متوجها الى غرناطـة .

وهذه الحادثة تدلنا على المستوى العلمي الكبير

الذى كان لطلبة سبتة فما بالك بمستوى علمائهـا ونبغائها .

ولعل الفضل فى وجود هذا المستـوى العلمـى الرفيع يرجع الى المراكز العلمية التى كانت منتشرة فى انحاء المدينة وكالعادة فان اهم مراكز الاشعاع العلمى كانت هى المساجد وملحقاتها من مدارس ومكتبات .

فمن اهم هذه المراكز العلميـة :

المدرسة الجديدة : وقد درس بها العديد من علماء سبتة والواردين عليها من شتى النواحى ، وكانت تدرس بها فنون من العلم شتى كالحديث خاصة مـن كتاب مسلم بن الحجاج ، واللغة والنحو ، والتصوف ، والفرائض والحساب ، والاصول ، والتاريخ والقراءات، وغير ذلك

ومن اشهر العلماء الذين درسوا بهـا :

ابو عبد الله بن هارون الاموى : وقد كان متفننا فى شتى العلوم والفنون الى جانب الشعر . درس عليه العديد من طلبة سبتة وانتفع به خلق كثير وتوفى سنة 750 .

ابو بكر الشريف الحسنى : كان اماما فى العربية والقراءات السبع والحساب والفرائض تولى التدريس بالمدرسة الجديدة بعد وفاة القاضى ابى يحيى بن السكاك.

وقد درس من كتب العربية « جمل ابن القاسم ، والفية ابن مالك وكان يأتى بكلام الطائفة الشلوبية ابن ابى الربيع وابن عصفور وابن الصائغ وابن خروف وسواهم ، ويوجه الاقوال ويقرب العبارات الى افهام المبتدئين من الطلبة ويبر بمن تظهر عليه النجابة ولسان حالـه ينشد :

وفى شربة لو كـان علمى سقيتكـم
ولم اخف عنكم ذلك العلم بالذخر » (2)

كما كان يدرس بها من كتب الفقه : الرسالة والتهذيب وابن الجلاب ومن كتب الحساب والفرائض : رفع الحجاب ، والتلخيص لابن البنا والجبر والمقابلة لابن بدر وفرائض عبد الوهاب .

ومن كتب التصوف : بداية الهداية ، ومنهاج العابدين للغزالى .

ومن كتب القراءات : حرز الامانى ، والدرر اللوامع فى حرف نافع .

ابو محمد الزكندرى : اصله من مراكش ، وصفه صاحب بلغة الامنية بأنه فقيه محدث ، كان يدرس كتاب مسلم بن الحجاج وقد انتفع بعلمه جماعة من طلبـة سبتـة .

ابو عبد الله عامر الانصارى : كان مبرزا فى العربية ، والاصول والخط ، الى جانب الشعر فله فيه مشاركة ، وقد درس عليه جماعة من طلبة سبتة .

ابو محمد بن مسلم الانصارى : اصله من القصر الكبير وقد نال بسبتة مراكز هامة ، فتولى القضـاء كما تولى الخطابة بمسجد القصبة ، وكـان شغـوفا بالتجوال ، ودرس عليه بالمدرسة الجديدة العديد من طلبة سبتة منهم القاضى ابو الحسن بن رضا ، وابو عبد الله القمارشى وغيرهما ، وله تآليف منها شرحه لرجز ابن برى وتقييد على جمل ابى القاسم وبرنامج جمع فيه شيوخه ومروياته ، وتوفى عام 773 .

الجامع الاعظم وخزانته : وللمسجد فى الحركة الثقافية الاسلامية الدور الكبير الفعال ، وقد كان لمسجد سبتة الاعظم دوره العظيم فى نشر الثقافة بهذه المدينة وما حولها ، كما أنه كان يضم خزانة قيمة استفـاد منها جل طلبة سبتة وعلمائها ، ومن العلماء الذين كان هذا المسجد مسرحا لنشر علمهم نذكر :

احمد اللخمى : وقد عرف بابن أبى عزفة ، يقول عنه الرعينى فى برنامجه (3) من خاتمة اهل العلم بالسنة والانتصار لها نفعه الله برز علما وعملا ودراية ورواية ، وجمع خصالا من الفضل جمة ولزم التدريس بسبتة مدة عمره ، ورحل الناس الى الاخذ عنه والاستفادة منه، وكان على طريقة شريفة من التسنن ، واقتفاء السلف، والاكباب على سلوك سبل الخير كلها .

وقد درس بمجلسه كثيرا من أوائل كتب الحديث : الموطأ ، وجامع الترمذى ، وجامع البخارى ، ومسند مسلم وكتابى السنن لابى داود والنسائى .

وقد كانت له رحلة الى المشرق اخذ فيها عـن العديد من اعلامه كما اخذ قبل ذلك عن اعلام المغرب والانـدلس .

وتوفى فى رمضان سنة 633 .

ابو الحسن على الغافقـى : كـان الغافقـى مشهورا بجمع اعلاق الكتب وعتاقها ، فحصل بذلك على خزانة عظيمة ضمت امهات الكتب ، فى شتى الفنون

ولكنه ابى مع ذلك ان يستاثر بها وحده ناوقف العديد من الكتب كما يخبرنا عن ذلك تلميذه الرعيني بقوله : « وانفرد بفضيلة التحبيس منها لجملة كبيرة انتقاها من اعلاقه فى كل فن من فنون علم السنة وقفهـا علـى الطلبة مع موضع برسمها فى مدينة سبتة ، وجعل لها وقفا جيدا من ماله وفى خيار رباعه » (4) .

وقد كان يدرس صحيح الامام البخارى بالجامع الاعظـم .

يقول تلميذه الرعينى : « قرات عليه بالجامع الاعظم بسبتة كتاب الجامع الصحيح للبخارى فى اصله العتيـق بخط ابـى الوليد بن الدباغ ؛ وقرائه على الصدق وغيره ، وامسك على حين القراءة اصل ابى بكر ابن خير رواية ابى ذر الذى بخط ابه رحمهما الله ، وبمعاناة ابى بكر وتصحيحه ، واحضر حين القراءة اصولا عتيقة منها اصل الاصيلى ، واصل ابى القاسم ابن ورد والقابسى وغيرهما » (5) .

ويحدثنا الرعينى انه درس عليه الى جانب ما تقدم كتاب الالماع لعياض .

ابو القاسم بن عمران : وكان دور خزانة الجامع الاعظم كبيرا فى نشر الثقافة الاسلامية ، وقد كان ابو القاسم بن عمران ناظرا عليهـا ، ويحدثنـا صاحب « بلغة الامنية » عن ابن عمران فيقول : « سبتى حاج رحال مصنف راوية يحمل صحيح البخارى عن الحجار وهو سند عال متصل السماع لا نظير له فى المغرب وله معرفة بالقراءات والعربية وتوفى سنة 750 » .

تطوان : اسماعيل الخطيب

المصـــادر :

1 ــ جـزء 7 صفحة 277 .
2 ــ بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة فى الدولة المرينية من مدرس واستاذ وطبيب . منشور بمجلة « تطوان » .
3 ــ برنامج شيوخ الرعينى صفحة 42 طبـع دمشق .
4 ــ برنامج شيوخ الرعينى صفحة 74 .
5 ــ المصـدر السابـق .

المرشد

إلى فهم أشعار العرب وصناعتها

• تأليف الدكتور عبد الله الطيب

• عرض وتقديم : الاستاذ محمد بن تاويت

الدكتور عبد الله الطيب من ادباء السودان وعلمائها الكبار ، الذين ورثوا علمهم ابنا عن اب وجد ، عرفته منذ ست عشرة سنة فعرفت فيه الرجل السودانى المتين فى كل شيء .

وليسمح لى القارىء ان اعود به الى تاريخ لى بعيد . لما كنا طلبة بمصر ، كونا جماعة من ابناء العروبة ، بمختلف اقطارها وبمختلف اعمار افرادها ومستويات ثقافتها ، فكان فينا : السودانى ، والفلسطينى ، وفينا الطالب الجامعى والتلميذ الثانوى ؛ مثل مدحت فتفت من لبنان ، ومحمود درويش الفار من العريش . .

وكان من بين الفلسطينيين ، طالب فى الطب اديب ، هو الآن دكتور ماهر بالكويت واسمه عبد الرحيم بدر ، وكان هذا من الذكاء والصراحة ، بحيث ينفذ الى مواقع الامور ، ويصارحك بتجاربه فيها ، فكان من ذلك تصنيفه للفصائل العربية ، وانتهاؤه الى قائمة وضع السودان فى اولها ، ووضع نفسه فى آخرها ، لا تواضعا منه ، ولكنها صراحة بنتيجة اختباره (وجميعنا كان يئن تحت وطأة الاستعمار)

وهكذا كان جمال السنهورى ، وهو تلميذ ، وطالب آخر سودانى ، يحتلان الرتبة الاولى فى هذا التصنيف ، يليهما الطالب المغربى . .

وانعم الله علينا بنعمة الاستقلال ، واتيحت لنا مرة اخرى فرصة الاتصال ، باخواننا السودانيين ، فوجدناهم بمصر على متانتهم مؤمنين بقوتهم شاعرين بما عليه غيرهم . .

ثم كانت لى مخالطة مع بعض الاخوان من العرب الذين كانوا يعملون بهيئة الاذاعة اللندنية « بيبى سى » فكان يقص على احدهم ، انهم كانوا اذا افاضوا فى ذكر محاسن الانجليز وعظمتهم ، قال منهم السودانى : « ان الانجليز عظماء فى حقارتهم » .

فهذا هو التعبير الحق من السودانى ، الذى تثقف بالانجليزية تثقفا ، لا يصل الى مستواه الا القليلون لم ينبهر من هؤلاء السادة الانجليز ، بل وضعهم فى الموضع الذى رآه ، وان استفاد من علمهم واستعان بلغتهم الاستعانة المطلوبة ، ولم يفرط فى عربيته ، بل حافظ على تراثه فيها واوغل ايغالا ، لا يقل عما هو

عليه فى الانجليزية ، ان لم يفقه كثيرا ، بحكم اصالته فيها وتشبثه باهدابها . نعم ، لم تغير الانجليزية شيئا من اخلاق السودانى القح ، ولم تهيمن عليه بتقاليدها او تفتنه بمباهجها وثقافتها و « اصولها » .

وبعد كان الدكتور عبد الله الطيب يتلفن لى صباح يوم العيد الكبير ، من طنجة ، يخبرنى بأنه سيحضر على الساعة الثامنة الى تطوان ، فاتجهت الى محطة الحافلات ، واتت السيارات المديدة من طنجة الواحدة تلو الاخرى ، وانتظرت حتى أزف موعد الاضحية ، فعدت الى الدار استعدادا لها ، ووكلت الى بعضهم مهمة الانتظار فى المحطة المذكورة ، وما وقع « التكبير » حتى كان الهاتف يعلمنى بالقدوم المنتظر .

وخففت الى اللقاء ، وانتظرت من السيد أن يخبرنى بسبب هذا التأخير ، ولكنه ما فعل .. ودخلنا الدار ونسينا طقوس الاضحية بين الاهل ، وقضينا يومنا نتجاذب اطرافا من الحديث والوانا من المعرفة ، راسا لراس وفى غرفة مقفلة علينا .

وفى المساء ، كنت اودع الصديق ، وهو عائد الى طنجة ، واعدا بأنه سيوافينى ببحثه عن الشاعر ذى الرمة ، لما علم انى مهتم به اهتمامه .

ولما عاد الاستاذ عبد الله الى السودان ، وتولى منصبه العالى فى الجامعة ، كاتبته فى التذكير بوعده فما تلقيت ردا . وبعد سنوات تكرر اللقاء فى ذكرى ابن زيدون وتكرر الوعد « الهندى » .

ومهما يكن فلنتوجه الى الاستاذ عبد الله فى كتابه الذى يعنينا ، فنجده ذلك المؤلف العنيف ، الذى قسا على نفسه وارهقها جدا ، فعصرها بذلك المجهود ، الذى غصب المرحوم استاذنا طه حسين ، على ان قال كلمته العظيمة ، فى كتابه ، وهى كلمة ما قالها فى غيره ، وما عجبنا من شىء عجبنا لاكباب طه حسين ، رحمه الله ، على الاصغاء الى قصة الكتاب ، وهى قصة طويلة ، متعبة غالبا ، ومملة احيانا ، وهى فى صفحاتها ثلاث مائة بعد الالف ، من القطع المتوسط .

لقد قلت فى نفسى ، لاول الامر ، ان استاذنا ، رحمه الله ، قد تاخذه نشوة الاعجاب ، فيتكرم فى سخاء ، وخصوصا فى ملابسات ما ، ولكنى ، بعد ما أسرفت على نفسى وحبستها ، للخلوة بالكتاب ، كما اختليت بصاحبه ، منذ سنوات ، ادركت ما يعنى الدكتور طه ، الذى اخذ بالجزء الاول من الثلاثة ، كما نظن ، وادركت ما عند الدكتور عبد الله من علم تجرى انهاره من تحته ..

فالكتاب ، كما قلنا ، موسوعة عنيفة فى مادتها ، عنيدة فى تناولها ، واشهد الله ، انى ما تعبت فى قراءة كتاب ادبى ، تعبى فى قراءة هذا الكتاب ، واشفق على القارىء الكريم ، أن اتعبه معى بالخوض فى اعماق بحاره ، والغوص على مكنون جواهره ، ويكفى ان اطفو على سطحه ، غير آمن من تلاطم امواجه ، ناجيا بنفسى احيانا الى الساحل ، لاتخفف من عنت الصراع ، ولاسحب انفاسا طويلة وطليقة ، ثم اعود الى الانغماس فالطفو على ذلك التلاطم المتدافع .

يقع الكتاب فى ثلاثة اجزاء :

الاول ، فيه الباب الاول فى النظم ، وفى هذا بحوث ، اولها فى عيوب القافية ومحاسنها ، وثانيها فى اوزان الشعر وموسيقاها ، وقد جمل هذا ، فى فصول ثلاثة ، الاول فى الاوزان المضطربة ، والقصار ، وما سماه بالبحور الشهوانية ، والثانى فى البحور التى جعلها بين بين والثالث خصصه للبحور الطوال ، وختمه بخاتمة ، كما فعل فى الاول ، فانتهى هذا الجزء بالصفحة 444 ، مع فهرسه (فى الطبعة الثانية) وكذلك الجزء الثانى ، يفتتحه بالباب الاول (وكنا ننتظر ان يكون ثانيا ، بعد الاول) الذى جعله للجرس ، تناول فيه فصاحة الكلمة والكلام ، واصول الالفاظ والالفاظ والبيئة ، والزمان وتطور الاخلاق ، ثم المكان و «المودة» وختمه بضرورة التحسين ، وبعده الباب الثانى الذى تناول فيه حقيقة الجمال والانسجام والرنين واركانه ، وتفرع البحث الى اربعة مطالب ، الاول فى التكرار وانواعه ، تخلل ذلك خلاصة وانتهى بخاتمة ، والثانى فى الجناس ، واصنافه ومذاهب الشعراء فيه ، وانتهى هذا ايضا ، بخلاصة عن قيمة الجناس من ناحية الجرس والثالث ، فى الطباق ، وانواعه انهاه بخلاصة فيه ، واخيرا المطلب الرابع ، الذى خصصه للتقسيم ، وانواعه ، ختمه بخلاصة عنه وموازنة فيه ثم خاتمة عن النظم ، ثم تذييل انتهى به هذا المطلب عند الصفحة 766 .

اما الجزء الثالث ، وهو الاخير ، فقد افتتحه بالباب الاول الذى تناول فيه بحوثا فى طبيعة القصيدة، واثر القرآن على البلغاء وشاعرية النثر العربى ، ثم يأتى الباب الثانى ، فى طبيعة الشعر العربى والقافية ووحدة القصيدة ، وحالة الجذب التى تعترى الشاعر ومنزلة الشاعر فى المجتمع والصعلكة والفروسية والبطولة ، والمبدأ والخروج والنهاية فى القصيدة ، وبعده الباب الثالث ، تناول فيه قضية النسيب والمبدأ وانواع الرمزيات والوانها ، وختمه بتتمة فى رموز الحنين ، واخيرا جاء الباب الرابع ، الذى استهله بالكلام عن الغزل والنعت والايحاء بالتجارب الذاتية والوداع والظعائن ثم تتمة فى الحركة والحيوية ، فأوصاف النساء ومداخل الغزل فمدح النساء وذمهن ، فمقاييس الجمال ، والتعرض للخمصانة من النساء والبادنة منهن ، ثم نموذج بين بين ، كما قال ، وختمه بالنموذج العظيم ، وبه انتهى الكتاب عند الصفحة 1276 ، اتت بعدها الفهارس ، للاعلام ، والخطأ والصواب ، وموضوعات هذا الجزء ، فانتهت عند 1279 .

ويلاحظ على الكتاب ان لغته متينة جزلة ، متانة صاحبه فى ثقافته العربية وجزالته فى استخدامها ، لدرجة انه يحاول ان يبعث بعض كلماتها ويحملها على الحياة من جديد ، فهو مثلا يستعمل كلمة « قرى » يريد بها الجنس او النوع او ما يعمهما مما هو على وتيرة واحدة ، كما يستعمل كلمة « ائتلاب » وغيرها من الكلمات التى مارسها ولا شك فى دراساته العميقة الاغوار . .

على ان المؤلف قد وقع له ما يقع لجمهرة الكتاب وخصوصا منهم المعاصرين ، من استعمال « لا زال » فى المضى وبلا شرط له مع ان « لا » مدخولها لا يكون ماضيا ، الا بشرط ، ان تتكرر ، كما فى قوله تعالى : « فلا صدق ولا صلى » ولو كان هذا التكرار ، تقديريا ، كما فى قوله « فلا اقتحم العقبة » اما فى غير هذا ، فلا بد ان يخرج الماضى عن ماهيته ، كقول الشاعر :

حسب المحبين فى الدنيا عذابهم
تالله لا عذبتهم بعدها سقر

وقول ذى الرمة :

الا يا اسلمى يا دارمى على البلى
ولا زال منهلا بجرعائك القطر

(وقد استوفى تلك الشروط صاحب المغنى)

وقد يقال ، ان المضى « فى لا زال » كذلك ، ليس بمعناه المتميز ، فهو منفيا يقابل « ليس » ويتحد معها زمنيا ، حيث انهما معا للحال .

ومع اذعاننا لهذا ، فاننا نقول ، لم خصصنا « لا زال » بهذه الخصوصية ، ولم نطرق ذلك فى اخواتها، فنقول « لا فتىء » و « لا برح » و « لا انفك » ؟ بل نقول « ما فتىء » و « ما برح » و « ما انفك » كما قالت العربية « ما زال » وقال الله « فما زلتم فى شك » وقال « فما زالت تلك دعواهم » ومن الغريب ان عاميتنا تستعمل « ما زال » ولا تستعمل « لا زال » فكان الصواب فى استعمالها والخطأ فى هذه الفصحى عندنا ،، وقد تكرر هذا الخطأ فى الكتاب ، كما فى الصفحات : 1021 ، 1076 ، 1091 ، 1103 ، 1137 ، 1153 ، 1273 ، 869 .

ومن هذا القبيل استعمال «لا غير» (ص 1018) وقد نص النحاة ،وعلى راسهم السيرافى ثم ابن هشام فى المغنى ، انه لحن صوابه « ليس غير » وان كان ابن هشام نفسه ، وقع فى هذا الخطأ ، فاستعمله فى كتابه المذكور ، وفى كتابه اوضح المسالك كما استعمله ابن عقيل معتمدا على ابن مالك وغيره ، وفى تخطىء هذا ، نظرة وجيهة كما نرى حيث ان غير هنا واقعة موقع « الا » فنقول « ليس الا » ولا نقول « لا الا » ، اما البيت :

جوابا به تنجو نفو ربنا
لعن عمل اسلفت لا غير تسال

فلا يعتمد عليه .

ومن هذا القبيل كذلك ، استعمال « او » بدل « ام » كما نجد فى هذه « مذكرا كان او مؤنثا » 987 « ملكا كان او غير ملك » 1018 « جميلة كانت او غير جميلة » 623 « فارسيا كان او غيره » 779 ،، وهكذا فان « ام » واجبة فى هذه التسوية ، ولا تجوز « او » كما فى المعنى .

ومن ذلك هذا الصنيع فى الصفحة 136

« ما هو وجه الشبه ؟ وما هى الصلة ؟ وهذا مطروق ايضا لكتابنا ، ولا وجه لهو او هى فى ذلك ·

ومما يوخذ على المؤلف اضافة « كلا » للمفرد ، مع انه لا يضاف الا الى المثنى ، وشذ قول مجهول :

كـلا اخــى وخليلى واجدى عضدا
فى النـائبـات والمـام الملمـات

وهذا ما وجدنا للمؤلف فى صفحة 1131 ، حيث قال « وكلا الفرزدق وجرير » وكذلك فى الصفحة 619 نجد « كلا المتنبى والشريف لم يسلما » مع أن النحاة ، يقولون ، لا يضاف الا الى كلمة تدل على اثنين حقيقة او تنصيصا ·

ولعل المؤلف الكبير ، سرقه التعبير الانجليـزى فى هذا ، كما سرقه فى غيره ، نحو « فهو كان يستعملها » 638 ونحو « فهو بدا بمدح درعه » 659 ونحو « كما لعله قد بدا للقارئ » 707 ونحو « واقعة به هو دون كل احد » 1145 ونحو « ستقتل هى نفسها بيدها هى » 1165 ونحو « قد قل شعر جاهلى تجد فيه المراة مشبية » 983 ·

وهكذا قد صدق على المؤلف ، ما قاله الجاحظ فى البيان ، بأن الانسان ما تمكن من لغتين ، الا ادخلت احداهما الضيم على الاخرى وكذلك المؤلف ، قد تمكن من الانجليزية تمكنا ، جعله ، ياتى بنصوصها الطويلة العريضة ، فلا يفسرها او يترجمها للقارئ العربى ، افتراضا منه ان هذا القارئ على مستواه فى الانجليزية مع انه يكون دون ذلك المستوى ، مثلنا ، بل الغالب انه لا يعرفها البتة ، وربما كلفنا انفسنا الاتيان بترجمة تلك النماذج والنصوص ، قياما بخدمة القارئ العربى القح ، الذى يقف عندها مبهوتا حائرا ،، كمـا فى الصفحات 492 ، 584 ، 719 ، 730 ، 795 .

والمنتظر من كتاب تزيد عدد صفحاته على الالف ، وهو مطبوع فى المطابع العربية ، ان يقـع فيه مـن التصحيف ما يناهز المئات وهو ما وقع بالفعل فى هذا الكتاب ، زيادة على ند الحروف عن مكانها ، فتقع من السطور العليا الى السفلى ، مثلا ، او تفر آبقـة بالمرة ، وقد كان هذا هو الغالب ، كما نجد له مثالا فى الصفحة 131 فهناك خمسة اسطر ، يبتدئ الاول بأو والرابع بالملاحم والخامس بخطئو، بـلا الف ،

وربما تسقط الكلمات بحالها ، واحيانا تغل متطفلـة وفى غير استحياء ، كما نجد فى الصفحة 124 ، لغرور لغرور ، مرتين فى البيت :

ولقـد اجمـع رجلـى بهـا
حـذر المـوت وانـى لفـرور

وفى الصفحة 184 كتب البيت :

مقـابـل الجـديـد صلب القـرا
لـوحـك مـن عجبـه الـى كتده

هكـذا : ،،، ،،، الفرال

بحـك ،،، ،،،

(وهو لابى تمـام)

وفى الصفحة 227 وقع هكذا « لطبيعة عمـاه ، كان يتوهم عماه كان يتوهم النور » فحصل هنا تحريف وتكرار فى « كان يتوهم عماه » ·

وفى الصفحة 555 هناك سطران يبتدئ اولهما بكلمة « النسيب » وثانيهما بفعل « ترتبط » ولكنهما وردا هكذا « تنسيب » « الرتبط »

وفى الصفحة 559 وجدنا سطرا هكذا « استعملوه لتقوية استعملوه لتقوية » فكان هذا التشويه بالتكرار

وفى الصفحة 361 كتب بيت للنابغة هكذا :
ما قلت من مما سبى اتيت به الخ ومعلوم انه :
ما قلت من سئ مما اتيت به

وفى الصفحة 604 ذكر ابو نواس ، بدل مسلم ، وتكرر هذا فى الصفحة ، والغالب انـه تحـريف او سبق قلم

وفى الصفحة 606 وردت بعض الهمزات ، فى غير موضعها من الالف كما ورد « وان شئت عددته نوع من التكرار » بدل « نوعا من التكرار »

وفى الصفحة 689 ورد تكرار ايضا ، هكـذا « لانه يعلم لانه يعلم »

وفى الصفحة 793 ورد كلام هكذا « ولعلك اذا تبينت هذا ايضا انه لم يكن فى العربية نثر خالص » فلا شك انه سقط « علمت » مثلا قبل « انه »

وفى الصفحة التالية تكرر تصحيف كثير ، نذكره على التوالى ، مشيرين الى تصحيحه بما نجعله بين هلالين ، وقد ابتلى بحين (بحسين) كما يعد (يعبد) عن هولياء (هؤلاء) سلكه الحديث (رجال الحديث) والخطباء والبلغاء ، والمنكدين (والمكدين)

وفى الصفحة 866 تكررت « نفسه نفسه »

وفى الصفحة 886 سقط « فى البحر » من قوله تعالى « وله الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام »

وفى الصفحة 895 سقط « ترى » من البيت :

وقال صحابى ما ترى ضوء نارها
ولكن عجلت واستناع بها الخطب

وفى الصفحة 904 سقط « بلا » من البيت :

رعوه مربعا وتصيفوه
بلا وبا سمى ولا وبال

وفى الصفحة التالية ، سقط « بارق » من البيت:

وما هاج ذكرى بارق نحو بارق
وما هزنى شوق لجارة هزان

(والساقط الاول)

وفى الصفحة 912 وردت « انما » مقحمة فى العبارة « كلما سمعن غرابا ينعب (انما) يقلن : ان شاء الله خير »

وفى الصفحة 914 سقط « اذ » من البيت :

كونى كمثل التى اذ غاب وافدها
اهدت له من بعيد نظرة جزعا

ثم وقع كسر فى البيت التالى هكذا :

ولا تكونى كمن لا يرتجى اوبة
لذى اغتراب ولا يرجو له رجعا

وتكرر كذلك فى 920

وفى الصفحة 923 سقط « بريا ريقها » من البيت

زعم الهمام ولم اذقه انه
يشفى بريا ريقها العطش الصادى

وفى الصفحة 946 ورد بيتان هكذا :

رات زهرا فهاجت بمزهر
مثانيه احشاء لطفن واوصال
وتحسدك البيض الحوالى قلادة
بجيد فيها من شذى المسك تمثال

وفى الصفحة 972 سقط المستشهد به ، بعد ان قال « وقال تعالى يصف جنتين شديدتى الخضرة » ولعله يريد قوله تعالى : « واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهارا وكان له ثمر » وان كنا لا نرى وجها للاستشهاد بهذا ، على اختلاط معنى السواد والخضرة عند العرب وربما يكون المؤلف قد وقع له ذهول فى هذا ، كما وقع له مثيل فى الصفحة 699 حيث ذكر ثلاثة ابيات لامرىء القيس ، وهى :

اذا اقبلت قلت دباءة
من الخضر مغموسة فى الغدر
وان ادبرت قلت اثفية
مكممة ليس فيها اثر
وان اعرضت قلت سرعوفة
لها ذنب خلفها مسبطر

ثم قال « وقد استشهدنا بهذه الابيات من قبل ، وشرحناها فى معرض الحديث عن الجناس الازدواجى وبينا موضع التكرار فيها ومكان التوازن بين اقبلت وادبرت » .

مع انه لم يسبق له ان ذكر الابيات ، ولا هو علق عليها بشىء مما ذكر ، وانما ذكر فى الصفحة 587 وما بعدها ابياتا من نفس القصيد ثم ساق فى الصفحة 683 وما بعدها ابياتا اخرى وهو يتكلم عن الطباق ، ولم يتكرر للابيات ذكر الا بعد وفى الصفحة 746 .

ومن هذا القبيل ما وقع له فى الصفحة 979 من الاشارة الى اوليات ابراهيم ازاء الشمس والقمر وعبادتهما ، وان ذلك بسورة النحل مع انه بسورة الانعام ، وليس لابراهيم ذكر فى النحل الا فى آيتين ، ان ابراهيم كان امة ،،، ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا .

وبعد فالمؤلف فى نظراته النقدية ، وفى احكامه الذوقية صائب الى ابعد مدى ، الا انه فى بعضها قد يغفل عن اشياء لها حسابها فى الصحة كما سترى

فى الصفحة 16 يجعل هذا البيت :

ما انت الا اصبع دميت
وفى سبيل الله ما لقيت

من قوله صلى الله عليه وسلم : ومما اتفق فيه الوزن من الحديث .

والمعلوم لنا منذ التلمذة ان هذا البيت من قول عائشة ، وليس من قول النبى .

وفى الصفحة 21 وهو فى معرض التحدث عن الموشحات ، يجعل « ايها الساقى » لابن المعتز ،

والصحيح ان هذه المنظومة ليست له بل هى لابن زهر ، ثم احتذاه ابن بقى بموشحته :

غلب الشوق بقلبى واشتكى الم الوجد فلبى ادمعى

ومما يعجبنى منه وقفة عند قافية القاف بالصفحة 49 حيث ذكر ان جيادها ليست كثيرة ، ومن اروعها قافيتا زهير والبحترى الشهيرتان ولعل الشمقمقية اطول قصيدة على الاطلاق ، بهذا الحرف ، ومما نظمه بعض المعاصرين قوله فى يوسف وهبى عند زيارته لطنجة :

نحى ابا الفن فى زمرة
سمت بالفنون الى حالق
وحى الكنانة عن طنجة
وعن شعبها الوامق التائق
وقل ان بعثت الينا رسولا
فلا خير من يوسف الصادق

ويعجبنى منه فى الصفحة 59 جعله قافية الزاى من القوافى النفر ، وتذكرت بهذه المناسبة قصيدة ابن زاكور ورد فيها هذا البيت :

« وذى بزيز البز عند البز بالبز »

جعلها المنتخب ضمن المجموعة التى سماها « المنتخب من شعر ابن زاكور » .

ويذكر فى الصفحة 77 ، وهو بمعرض الحديث عن « البسيط الثالث » ان هذا الوزن قد مات فى الفصيح ، منذ العهد العباسى ، وانه لا زال مستعملا فى اللهجة السودانية الدارجة ، وان السودانيين ، لا يعقل أن يكونوا قد اخترعوا هذا الوزن بالسودان ، مع اسقاط الاعراب من كل اوزانهم — كما يقول — لها مشابهمن الاعاريض المعروفة .

وهذا الاستدلال ، فيه دور ، كما يقول المناطقة، لعدم المعقولية المبنى عليه ، لا يلزم ، والاتفاقية كثيرا ما تلعب ادوارها ، فى هذه الاوزان وغيرها من الالحان ، ولهذا فمن الممكن جدا ان يكون السودان قد اتفق له هذا الاختراع ، وبين اللهجتين آصرة واحدة

وفى الصفحة 80 يقول عن الخبب انه بحر دنىء للغاية، وكله جلبة وضجيج .

ونحن لا نفهم ما يعنى بالضبط من هذا الوصف ، فان كان « هذا الضجيج والجلبة » مصدر هذه « الدناءة » فهذا ليس خاصا بالخبب . بل انه قد يكون مطلوبا فى معنى بعينه او فى مناسبة تقتضيه ، وقد وجدنا من شعراء المغرب ، ابا العباس الجراوى ، ينظم فيه قصائد من درر القصائد ، فما احسسنا فيها من جلبة ، ولا توسمنا فيها من دناءة ، مثل التى مطلعها:

ببسيط العالم تعتضد — وعلى معبودك تعتمد
ما ضر علاك وقد بهرت — من يحجبه عنك الرمد

ومن شواهد العروض فيه :

كرة طرحت بصوالجة — فتلقفها رجل رجل
و
ما لى مال الا درهم — او برذونى ذاك الادهم
و
زمت ابل للبين ضحى — فى غور تهامة قد سلكوا

فهذا كله لا جلبة فيه ، وان كان بعض شواهد العروض يبدو عليها العبث ، ولا دناءة فى العبث ولا صخب ، بالضرورة ، كما راينا ، واجمل ما نظم فى هذا البحر ، قصيدة الحصرى :

يا ليل الصب متى غده
اقيام الساعة موعده

تتلوها منفرجة ابن النحوى من القرن السادس والتازى من الثامن .

وكذلك لا ندرك ، ما قاله فى الصفحة 48 مما يقارب به المتقارب المنهوك « فى الخسة والدناءة » .

ذلك البحر المذكور ، على أن للاذواق حكمها الخاص .

ومما يعجبنى منه ملاحظته على الهزج ، وقوله فيه انه اصلح الاوزان للقصص التعليمى ، ولعل على ابن ابى طالب ، كان اول من مهد له لذلك بقوله :

اشدد حيازيمك للموت — فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت — اذا حل بواديكا

واستعمله من شعراء الفرس حافظ الشيرازى كثيرا ، فقال قصائد فيه منها هذه التى افتتحها بالعربية وختمها بها هكذا :

الا يا أيها الساق ادركاسا وناولها
كه عشق آسان نمود اول ولى افتاد مشكلها
حضورى كرهمى خواهى ازوغائب مشوحافظ
متى ما تلق من تهوى دع الدنيا واهملها

وفى الصفحة 251 يأتى ببيت النابغة هكذا :

وصدر اراح الليل عازب همه
تضاعف فيه الهم من كل جانب

فيقول « هذا البيت عميق الصدق من الناحية النفسية ، اذ ان الهم لا يفد وحيدا ، وانما الهموم كالذئاب ، تأتى جماعات وتساور النفس او تطبق عليها من النواحى جميعا ، وهكذا فان الهم الواحد ايقظ همومه الماضية حتى تلبدت فى افقه ، فلم يعد الهم هما، بل غدا يأسا ، اذ جعل الشاعر يتخيل أن الليل غير منقض ، اى ان ماضيه هو سلسلة من الهموم ، كما ان غده ايضا ، سيكون غد هموم وشقاء » .

نرى ان المؤلف ، على تنويهه بالبيت ، قد ابتعد عن تصويره ، واجهده بما لا يطيق ، فالشاعر لم يرد الا ان الهموم عاودته فى ليليه ، وان الاحزان (لا الهموم) لذلك ، تراكمت عليه واعتورته من كل جانب، فلا غد لهذا الليل ، يوحى به التعبير ، ولا ذئاب شبهت بها تلك الهموم ، بل الشاعر تخيل الليل ، كالراعى لقطيع الهموم ، اعادها اليه بعد ما كانت عازبة عنه ، فتضاعفت بها الاحزان ، او الهموم كما قال هذا ، وفى الصفحة 357 وما بعدها ، وهو يتكلم عن تائية ابى نواس الخمرية ، يشير الى البيتين :

هى الصباح تحيل الليل صفوتها
اذا رمت بشرار كاليواقيت
رمى الملائكة الرصاد اذ رجمت
فى الليل بالنجم مراد العفاريت

يقول : « هو يفيد من القصص الدينى الذى شاع عصرئذ ، والذى يقول ان بعض الملائكة تمردوا فى السماء فرذلهم الله ورجمتهم الملائكة بالنجوم فاصبحوا يعرفون بالشياطين » .

والبيتان فى الواقع استفيد رجم ثانيهما ، من سورة الجن « فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فمراد العفاريت هى هذه الجان ليست ملائكة متمردة لان الاسلام لا يعرف تمردا من الملائكة ، الذيـ[ـن] « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وليس ما قاله أبو نواس مستفادا مما شاع فى عصره بل من القرآن الكريم مباشرة ، وكذلك تشبيه طع[م] القوارير بالمسك ، ليس مستفادا الا من القرآ[ن] مباشرة « ختامه مسك » الى آخر ما ورد فى هـ[ـذه] القصيدة من اوصاف الخمر وسقاتها ، مما اشار الي[ه] المؤلف ابتداء من الصفحة الى صفحة 360 ، فذلك كـ[ـل] مما اشتمل عليه نعمها .

وقد يغيب عن المؤلف ، احيانا ، ما هو معلو[م] له فى دراساته العربية ، مثالا من ذلك انه فى الصفح[ة] 361 اتى بهذا البيت :

من يصل نارى بلا ذنب ولا ترة
يصل بنار كريم غير غدار

فعلق عليه بقوله « يصل بنار ، فيه نقص ، ولـ[ـو] قال يصلى بنار لاستقام الوزن على الاصل ، ولكـ[ـن] هذا يخالف الاعراب » .

فهذه المخالفة التى ذكرها ، ليست لحنا ، بل سمـ[ـع] لها مثيل فى قول الشاعر :

يا اقرع بن حابس يا اقرع
انك ان يصرع اخوك تصرع

والى هذا اشارت الالفية بقولها :

وبعد ماض رفعك الجزا حسن
ورفعه بعد مضارع وهن

اى ضعف جائز ممتنع ولا مخالف للاعراب والاحسن ، فقط ، جزمه لاقتضاء العامل ذلك فيـ[ـه] والشرط مضارع ، كما هنا .

وآخر انه فى الصفحة 369 يجعل من الشعـ[ـر] القصصى الذى ينسب الى الجاهلية ، الكلمة المنسوبـ[ـة] الى الحطيئة :

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما

مع ان الحطيئة ليس من شعراء الجاهلية ، كـ[ـما] هو معلوم للمؤلف ، لا محالة ، بل مخضرما ، [لم] يعرف كشاعر الا فى الاسلام وتوفى عام 45 هـ .

وفى الصفحة 396 يعلق على بيت ابن ابى ربيعة:

فقالت على اسم الله امـرك طاعـة
وان كنت قـد كلفت ما لم اعـود

بقوله « فقالت على اسم الله لا يناسب المقام » وما لها تسمى الله كأنها مقدمة على طعام ؟ أم لعل ابن ابى ربيعة اراد أن يتفقه فقد زعم الغزالى ان بعض الفقهاء كانوا يكبرون فى مثل هذه المواقف ، حتى يسمع تكبيراتهم من فى الدار » .

والواقع أن قولها « على اسم الله » معنـاه « امرك طاعة » الوارد بعده ، فهو كما تقول عامية الشرق « على خيرة الله » وليس المـراد البسملـة المشروعة فى اشياء جعل منها بعضهم الجماع الحلال ، ولم يكن هذا منه كما تفصح عنه الشطرة الاخيـرة من البيت ، وكما يفهم من البيت قبل :

وناهـدة الثديين قلت لهـا اتكـى
على الرمل من جبانـة لم توسـد

فهذا عادة لا يكون بين الزوجين ولا يتبجج به ،، فلا وجه له فى ذلك التكبير الذى حكاه الغزالى .

وفى الصفحة 438 يقول ان ابن زيدون تاثر ، فى نونيته المشهورة ، شيئا ما ، بمذهب جرير ، فى نونيته :

بان الخليط ولو طووعت مـا بانـا
وقطعوا مـن رحبال الوصل اقرانا

والواقع أن ابن زيدون تاثر بنونية البحترى التى مدح بها ابا الجيش خمارويه بن احمد بن طولون ، ولكونها غير موجودة بالديوان ، نأتى بها كاملة لهذه المناسبة ، كما يلى :

يكاد عاذلنـا فى الحـب يغـرينـا — فمـا لجاجك فى لـوم المحبينـا
تلحـى على الوجد من ظلم فديدننا — وجـد نعانيـه او لاح يعنيـنـا
اذا زرود دنـت منـا صـرائمهـا — فـلا محالـة مـن زور يوافينـا
بتنـا جنـوحا على كثب اللوى فابى — خيـال ظميـاء الا ان يحيـيـنـا
وفى زرود تبيـع ليـس يمهلـنـا — تقـاضيا وغريم ليـس يقضينـا
منـازل لم نذمم عهـد مغـرمنـا — فيها ولا ذم يـوما عهدهـا فينـا
تجـرمـت عنـده ايامنـا حججـا — معـدودة وخلت فيهـا لياليـنـا
ان الغوانـى غداة الجزع من اضم — تيمـن قلبا معنـى اللب محزونـا
اذا قست غلظة اكبادنـا جعلـت — تـزداد اعطـافنـا من نعمة لينـا
يلومنـا فى الهوى من ليس يعذرنـا — فيه ويسخطنا من ليس يـرضينـا
وما ظننت هـوى ظمياء منزلنـا — الـى مواتاة خـل لا يـواتينـا
لقـد بعثت عتاق الخيـل سـاريـة — مثل القطا الجون يتبعن القطا الجونا
يكثرن عن دير مران السؤال وقـد — عارضن ابنيـة فى دير مـارونـا
ينشدن فى ارم والبحـر فـى ارم — غنـى على سيد السادات مضمونا
يلقـى الندى منه ملموسا ومـدركا — وكـان يعهد موهـوما ومظنـونـا
بـاد بانعمـه العـافين يزلفهـم — على الاشقـاء فيهـا والقـرابينـا
نيـل بحكـم فيـه المجتدون اذا — شئنا اخذنـا احتكاما فيه ما شيئنـا
ومملقين مـن الاحسان يفجـؤهـم — ساهيـن عـن كرم الافعال لاهينا
ان لم يكـن فى جداهم نزر عارقـة — تكفنـا كـان عـذر منـه يكفينا
وغابن ان شرى حمـدا بمـرغبـة — رآه فيهـا بخيـل القوم مغبـونـا
مظفـر لم نـزل نلقـى بطلعتـه — كـواكب السعد والطير الميـامينـا
يمسى قريبا مـن الاعداء لو وقعـوا — بالصين فى بعدها ما استبعد الصينا
تشمير يقظـان ما انفكت عزيمتـه — تزيـد اعـداءه ذلا وتوهينـا
انى رايت جيـوش النصر منـزلـة — على جيوش ابى الجيش ابن طولونا
يـوم الثنيـة اذ يثنـى بكـرتـه — فى الـروع خمسيـن الفا او يزيدونا
والحـرب مشعلـة تغلى مراجلها — حينا وبضرم ذاكـى جمرها حينـا

يغـدو الورى وهم غاشوا سرادقه
والناس بين اخى سبق يبين بـه
كمـا رايت الثلاثـاءات واطئـة
عمـرك الله للعليـاء تعمرهـا
مـا إنفكت الروم من هم يحيرهـا
تدنو اذا بعدوا عنـد اشتطاطهم
حتـى تركت لهم يـوما نسخت به
مصارع كتبت فى بطـن لـؤلـؤة
ناسلم لتجهدهم غـزوا وتغـزيهم
امـا الحسين فمـا آلاك مجتهـدا
ترضى به حين لا يرضيك مـدبرهم
ادى الامانة فى مـال الشآم فمـا
تسمـو الى الرتبـة العليا محاسنه

صنفين من مضمرى خوف وراجينـا
وفاترين مـن الغـايـات وانينـا
مـن التخلف اعقـاب الاثـانينـا
وزادك الله اعـزازا وتمـكـينـا
مذ جاورت عندك العـزاء واللينـا
كيـدا وتبعـد ان كانوا قريبينـا
ما يأثر الناس من اخبـار صفينـا
مـن ظهر انقرة القصوى وطمينـا
جيشا وتتبعـه المامـول هـارونـا
وليـس تألـوه تنخيمـا وتـزيينـا
مبـاركا صادق الاقبـال ميمـونـا
تلقاه الا امين الغيب مـامـونـا
فما تـرى وسطا منهـا ولا دونـا

والحسين هو وزير خمارويه ، الحسين بن احمد (الماذرائى ؟) .

وقد ترددت — من صفحـة 434 الى صفحـة 560 — كلمة ______ وتتبعت وضعها من الكتاب نحو عشرين مرة ، فما وجدتها فيما نعرف وهو « الحنين الى الغطن » او ما يسمى بالانجليزية ______ فلعل الاستاذ عبد الله ، اطلع على معنى خاص بها فى الادب ، لا يعرف فى الاسبانية ، التى تستعمل نفس الكلمة ، والانجليزية التى تستعمل ما ذكرنا ، فـى المدلول ، بل ان كلمة ______ مستعملة حتى فى الانجليزية بمعنى الحنين الى الوطن ، ولكـن المؤلف يخصصها بالشجن ، الذى حدد معناه بالتفكر والتذكر والحنين يمازجه شىء من الحلاوة ، فهذا المدلول المحدد بهذه الدقة ، انما استفدناه منه ، وهو سيد العارفين بالانجليزية ومراميهـا اللغويـة ، كالعربية ايضا .

وفى الصفحة 428 وما بعدها ، يعلق على قول ابـن الـرومـى :

يـذكرنـى الشباب ريـاض حزن
تـرنـم بينهـا زرق الـذبـاب
اذا شمس الاصـائـل عارضتهـا
وقـد كـربت تـوارى بالحجـاب
والقت جنـح مغـربهـا شعـاعا
مريضا مثل الحـاظ الكعـاب

« روضة اصيل شاحب تهم شمسه بالتوارى والاختفاء ... كانت الشمس ساطعة تضىء ، وتجعله يشعر بغبطة الظل والماء ، اما هذه الصورة فيعروه الجفاف والوحشة والصحراء ، فيها الذبـاب الازرق وجفن الحياة المريض » .

هكذا يرى المؤلف فى هذا التصوير ، دلالة عميقة على نزوع حالة الشاعر النفسية ، فى حنينها وتهالكه على الشباب القوى وهو يتدلل . لكنى ارى فى صوره — مع فارق — نحو ما ورد فى معلقة عنترة :

او روضـة انفـا تضمـن نبتهـا
غيث قليـل الدمـن ليس بمعلـم
سحـا وتسكـابا فكـل عشيـة
يجـرى عليهـا المـاء لـم يتصرم
جـادت عليـه كـل بكـر حـرة
فتركـن كـل قـرارة كالـدرهـم
وخلا الذبـاب بهـا فليـس ببـارح
غردا كفعـل الشارب المترنـم
هـزجا يحك ذراعـه بـذراعـه
قـدح المكب علـى الزنـاد الاجذم

وفى الصفحة 462 يقف على بيت ابى تمام :

كريم متـى امدحـه امدحه والورى
معـى واذا ما لمتـه لمته وحـدى

فقال « كرهوا توالى الحلقين فى امدحه امدحه

وعندى أن هذا ليس بقبيح ، وتوالى الحلقين كثير فى الكلام الفصيح ، منه قوله تعالى « واوفوا بعهد الل اذا عاهدتم » والذى استشهد بكلام ابى تمام لم يتدب قرآنه ، ولا يحضرنى اسمه .

والواقع ان المؤلف وقف عند توالى الحلقيين ، وفاته ما فيهما من حركات وسكنات ، هى فى هذا الواقع مصدر العيب والنشاز ، بحيث لو لم تكن هذه السكنات، لما احس فى هذا التوالى من عيب ، لنفرض ان الحاء مضمومة ، مثلا ، الا يكون هذا التوالى مقبولا ؟ بلى ، لا يكون فى ذلك شىء ، لو لم يتقدم هذا السكون ، وتأخر كما فى الكلمة القرآنية ، بل اننا نذهب الى أبعد من هذا ، فنقول ان « أمدحه » لو لم تتكرر لما كان فى توالى حلقيها عيب ، كأن نقول مثلا :

كريم متى امدحه كان معى الورى

ولكن هذا التكرار الذى ولد هذا القلق والعنت للنطق فى « امدحه امدحه » هو الذى سبب هذا النفور من التركيب ، وهو ما تنبه له ابن العميد ، كما نقل ذلك صاحب الخريدة ، اذ قال ابن العميد تكرار «امدحه» ثقيل ، أو كما قال ، ثم ان عبد القاهر ، كان من جملة المستثقلين لهذا الصنيع ، فى كتابه « دلائل الاعجاز » الا انه جعله اخف من نحو :

وانثنت نحو عـزفِ نفسى ذهول

فهذا ليس فيه حلقيات ، متوالية ، بل فيه ذلك القلق بالحركات والسكنات « عزف نفس » نشعر به تماما فى « امدحه امدحه » كما نشعر به فى « قرب قبر » من قوله : وليس قرب قبر حرب قبر

ولعل الجاحظ ايضا قائل بهذا ، ففى البيان نجده يقول : من الفاظ العرب الفاظ تتنافر ، وان كانت مجموعة فى بيت شعر ، لم يستطع المنشد انشادها ، الا ببعض الاستكراه ، فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ولا شك أن الشطرة الاخيرة اشتد فيها هـذا الاستكراه ، كما نجده فى الشطرة الاخيرة من هذا البيت الذى انشده ايضا :

لـم يضرهـا والحمـد لـلـه شىء
وانثنـت نحـو عـزف نفس ذهول

بدليل انه قال « فتفقد النصف الاخير من هـذا البيت ، فانك ستجد بعض الفاظه تتبرأ مـن بعض » وهكذا عمم فى النصف . وجوهره ما قلنا وهو أن التنافر منبعث من الحركات والسكنات وتواليها اكثر مما هو منبعث من الحروف نفسها ، وهذا لم يتنبه له جمهور البلاغيين والنقاد ونجد له ريحا ، حتى فى « وقبر حرب بمكان قفر » واحسسنا به ، وبعض الغلامين يطرف زملاءه ، بقول ابن مالك « شبه بكاف وبها ... » الى آخـره .

وفيها يقف عند بيت المتنبى :

لا تشتـرى العبد الا والعصا معه
ان العبيـد لانجـاس مناكيـد

بقوله : هذه الصورة ، صورة من يساق بالعصا ، ليست الا صورة حيوان كالجمل او البقرة او الحمار ، لقد جعل كافورا حمارا بأسلوب غير مباشر هو اسلوب التورية ، وهذا ما يختلف به عن ابن الرومى الـذى يستعمل الشتيمة السافرة » .

ان المتنبى لم يرد من قوله ، الا ما اراد المثـل « العبد يقرع بالعصا » ولم يرد ان يورى به كونـه حمارا ، بل انه لا تورية هنا بهذا التصريح الموجود فى المصراع الثانى ، فأية شتيمة سافرة فيه ! وبذلك لا يختلف عن ابن الرومى « الذى يستعمـل الشتيمـة السافـرة » .

والغريب من المؤلف انه يقول بعد ذلك « ويلفتنا فى ذينك البيتين لفظتا انجاس ومناكيد ، وقد وردتـا متلاحقتين ، متكاملتين فى شدة الدلالـة ، وخاصـة بفضيلة وزن مفاعيل الذى يدل على المبالغة فى طبيعة صياغته الصرفية كما قال ، وسبق أن أشرنا الى خطاه .

وفى الصفحة 495 يقول عن القرآن ، ان جوهر اسلوبه شعر ، كما نرى فى مثل الآية الكريمة « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كمـا ربيانى صغيرا » فلم كانت هذه الآية فى جوهرها شعرا ؟ الما فى ذلها من جناح ؟ ان كان ذلك كذلك ، فالنثر الفنى ينبغى أن يبتعد عن معرض الجمال ، الذى يحتوى على مثل هذه الاستعارة الجميلة ، وهكذا يتحقق للمؤلف ما يرمى اليه فى قوله :

فهذه الآية تعبر عما هو اصفى من روح الشعر ، لان صورة جناح الذل ، حلت وتجسدت فيما فوق العقل والادراك ، واذا اضفنا اليها ذلك الايقاع الموسيقـى الذى يفيض من الحروف والالفاظ ، وتوقيع العبـارة بأسلوب نفسى عميق ، تبين لنا انها تنطوى على نوع من الاشراقات التى تذيب العقل وتصهره وتتجاوزه الى العالم الذى تكون فيه الحقائق انغاما ورؤى عارية ، فى عدنها الروحى الاول ، قبل ان تفقده وتدخل فى طينة الفكر والحواس .

ولا شك انه فى هذه العبارة يومىء الى عالم المثل الافلاطونى ، وهو كثيرا ما يردد هذا فى تقييمه لصور الجمال الشعرى ، خاصة كأن يقول مثلا فى الصفحة 46 « الفن يستل من الظاهرة روحها ، ويسقط ما كانت تتطين وتستتر به ، فتبدو لنا الاشياء ، وكأنها قد صفيت من شوائبها وانتزعت من سديمها ، وعادت الى حقيقتها الاولى » .

وفى الصفحة 548 يقول « ولقد اسرف الجاحظ ، غالبا ، فى تعظيم شأن الالفاظ والاغتماض من شأن المعانى ، حتى انه لا يخرج من القول ، «المعانى مطروحة فى الطريق ، يعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى والمدنى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن وتخير اللفظ » لقد خدع كلام الجاحظ الوارد فى الحيوان ، عبد القاهر ، منذ تسع مائة سنة ، فاعتبر الجاحظ بما اعتبره به المؤلف ، مع أن الجاحظ لا يطلق القول على عواهنه هنا ، بل يخصه بالشعر ، ولهذا فهو نفسه يقول فى رسالة له فى الجد والهزل :

« الاسماء فى معنى الابدان ، والمعانى فى معنى الارواح ، اللفظ للمعنى بدن ، والمعنى للفظ روح » .

فهذه الكلمة تجدها تتردد عند الجرجانى وابن شرف وابن رشيق وغيرهم ، من الذين يقدمون المعانى على الالفاظ فى مزية الكلام فهى اولا والالفاظ تبع لها ، كما يقول عبد القاهر فى كتابه « دلائل الاعجاز » .

وفى الصفحة 657 ، يطرح فى اسئلته ، التى ربما كانت قد القيت فى الامتحان ، قوله « بعد ان شبه الشاعر عيينة بجمل من جمال بنى اقيش ، يعود فيشبهه بالنعامة ، والنعامة هى الجمل ذاته ، لكنها ادل على الجهل والحمق والعمى » اى فى البيت :

تكون نعامة طورا وطورا
هوى الريح تنسج كل فن

والواقع ان هذا البيت مستقل بنفسه ، لا علاقة له بالجمل فى البيت قبله :

كأنك من جمال بنى اقيش
يقعقع خلف رجليه بشن

كما ان هوى الريح لا علاقة له بالبيت هذا ، وان النعامة المذكورة ، هى الطائر العظيم المعروف ، وليس الجمل نفسه ، وما سميت به الناقة الا على سبيل المجاز او التشبيه ، وكل ذلك لم يرد هنا .

وفى الصفحة 852 يتعرض للفظ الشاعر واشتقاته من شعر بمعنى عرف ، فهو اذن اخو العراف او الكاهن ، والمعروف لنا ان الشعر فى اصله تعريب لكلمة « شير » العبرانية فكأن أصحابها سبقوا العربية فى هذا الصنيع ، وهذا مبحث تضاربت فيه الآراء عند الدارسين ، وسواء كان ذاك أم غيره ، فلا دافع لذلك الملحظ الاشتقاقى عند العرب ، وقد دخلتهم الكلمة فتصرفوا فيها بما يألفون .

وفى الصفحة 873 جاء بالهامش العنوان الاصلى للغوى والشاعر هكذا Poet and Philopogist والكلمة الاخيرة مصحفة عن Phibologist

وفى الصفحة 878 جعل من لوك هند كبد حمزة ما يشعر بلون من العبادة الوثنية كقربان مقدس لتصل الى بعض حيوية حمزة الشهيد والواقع انه لا شىء من ذلك فى ذلك ، فان حمزة كان قد قتل ابنها فى غزوة سابقة ، فلما قتل فى هذه الغزوة حمزة تشفت وثأرت لابنها بلوك كبد قاتله ، وكانت ، كما فى السيرة ، قد همت بأكلها ، ثم اكتفت بلوكها ، لتطفىء نار الغيظ ولهيب الحزن والحسرة فى نفسها . .

وفى الصفحة 880 وما بعدها ، تعرض لرموز الانثى ورمزيتها ، فقال : هذا وقد كان الجاهليون يمثلون ما يؤلهونه من ذكور واناث بصور الرجال والنساء . . ثم قال : هذا ويبدو أن العرب لضعفها فى الصناعة عدلت عن تشبيه الآلهة بما يشبهها من الصور الى مجرد الرمز لها بالاصنام . . ثم قال : هذا ويبدو ان هذه الاصنام لما صارت هى او نظائرها الى شمال الجزيرة . . اعتيض عن اتقانها بمجرد الرمز لها بالاصنام ثم قال : هذا وكما رمزت العرب لآلهتها بالاصنام ، رمزت لها أيضا بكائنات محسوسة من الحيوان او النبات ، فمما رمزوا به من الحيوان للمراة العقاب ، ولا ريب أنهم كانوا يؤلهونها كما يؤلهون النسر . . وما رمزوا به للمراة من النبات اصناف من الشجر ، منها النخلة ، فمن ناحية الشكل ، لا نرى وجها لتكرر هذه الاشارات ، هذا ،، هذا ،، هذا ،،

قد يقال ، انه نجد له مثيلا فى قوله تعالى بسورة ص ، هذا عطاؤنا ،،، هذا ذكر ،،، هذا ما توعدون ،، هذا وان للطاغين لشر مآب ،،، هذا فليذوقوه ،،، هذا فوج مقتحم معكم ، والمؤلف ربما تأثر بذلك ، ولكن

القياس هنا مع وجود الفارق ، فالقرآن فى ذلك المقام استعمل هذا الاسلوب الخطابى ، وهو لائق به ، اما المؤلف فلا حاجة له فى موضوعه الرمزى الى هذا الاسلوب الخطابى ، الذى استغربناه بادىء ذى بدء

اما من ناحية الموضوع ، فلا نرى هناك علاقة بين الرمز للمراة بالعقاب وبين رمزهم للاصنام بها ، فقد كنوا عنها بذلك ، كما كنوا عنها بالشاة ، كما فى شعر عنترة ، والنعجة كما قص القرآن عن اخى داود، عليه السلام ،، وكل ما هنالك روح بدوية بلغ بها الاباء الى خشونة الكناية ،،

وفى الصفحة 917 يقول « ولا احسبنى أباعد ان ظننت ان الحمامة ، التى اكملت عدد الحمام مائة ، فى بيت النابغة :

فاكملت مائة فيها حمامتها
واسرعت حسبة فى ذلك العدد

(متحدثا عن زرقاء اليمامة) هى زرقاء اليمامة نفسها ، وعسى ان يكون معنى القول المنسوب اليها

ليت الحمام ليه الى حمامتيه
الى حمامة نفسى اى الحمامة التى هى انا

واحسب ، انا فى هذا التاويل كلمة مجحفة ، بدليل قولها :

الا ليتما هذا الحمام لنا
الى حمامتنا ونصفه فقد

كما انى لا ادرك ما قاله فيما بعد من ان لله تسعة وتسعين اسما ، وربط ذلك ، بعدد الحمام الوارد فى قصيدة النابغة ، ورمزية القصة وان الحمام الذى راته الزرقاء ما كان الا ضربا من الآلهة ، ان جاز لنا ان نفترض ذلك ، جاز ان نفترض كذلك ان الزرقاء كانت الاله فى الارض ..

ومهما يكن فان صلة الحمام ، ولوامع البروق ، وتلهب النيران ، وحنين البعير ، وهبوب الرياح ، بلواعج العشاق مذكور بكتاب الزهرة للاصفهانى ، فلعله اول من استقرى ذلك فى اشعار المولهين من اصحاب الغزل والنسيب ، وان كان مؤلفنا لم يقصر ذلك عليهم وزاد عليه . وعند ذكره فى الصفحة 934 ان التبريزى علق على البيت :

ولقد دخلت على الفتاة
الخدر فى اليوم المطير

بقوله « خص يوم المطر لانه يوم لزوم المنزل ،،، واللهو فيه اطيب » قال المؤلف : احسب انه قد غلب على التبريزى ههنا مذهب معاصريه من الفقهاء والعلماء، فظن المتدخل فتيها صالحا يمكث يوم المطر فى داره ليلهو مع اهله » .

ولا ارى انا وجها لهذا الحسبان والمسالة فى منتهى المالوف عند عامة الناس ، ومن قبل قال طرفة فى يوم الدجن وهو قريب منه :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب
ببهكنة تحت الطراف المعمد

وفى الصفحة 941 يتعرض لبيت المتنبى من قصيدته النونية فى مدح ابى شجاع عضد الدولة فناخسرو :

وقد يتقارب الوصفان جدا
وموصوفاهما متباعدا

ويقول : ابو الطيب يثبت للحمامة صفة البيان ولا يثبت لغناء الفارسيات (الوارد فى البيت قبل :

اذا غنى الحمام الورق فيها
اجابته اغانى القيان)

الا انه مجاوبة للورق ،،، والعجب له ، كيف جسر على هذا وهو يمدح اميرا فارسيا ؟

ولا ندرى وجها لهذا العجب ، فهو يقول فى شعب بوان العجمة فيه تجمع الحمام واهل الشعب ، والموصوف بها مختلفا ، كما قال الواحدى فهو كعربى يستعجم عليه لسان هؤلاء ، كما قال سابقا :

ولكن الفتى العربى فيها
غريب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

فهذا احرى بالعجب منه حيث لم يخصصه بالعربية وحدها ، بل جعل لسانهم يعجم على البشر بل جعله دوى لغة النمل التى فهمها سليمان .

ومن هذا انه فى الصفحة 1035 يقول « وربما كانت فرتنى ، مما يكنى به عن الاماء خاصة ، وكذلك معناها فى بيت المعرى :

وسيان من امه حرة حصان ومن أمه فرتنى

وقد كان رحمه الله يعلم ما يقول ، ويقوله عن علم

فهذا كلام يبدو منه ان المؤلف ، لم يطلع على معنى الكلمة فى المعاجم ، حتى يتحقق من ذلك ، ولو كان قد اطلع على الصحاح او اللسان او حتى القاموس، لادرك ان الكلمة ، مما تسمى العرب به اماءها ، وكذلك نجد ياقوت ينص على ذلك عند ذكره لقصر فرتنى بمعجمه الجغرافى .

اذا تركنا هذا واتجهنا الى بحوث الكتاب ، فاننا نجد فيها طرائف اختص بها ، وعلى راسها قضية الاوزان الشعرية والقوافى وارتباط كل ذلك بما يناسب من معانيها ، وهذا ما نوه به استاذنا الدكتور حسين ، رحمه الله ، اكثر مما نوه بغيره ، ضمن الكتاب الذى عده فذا فى عصره ، لذلك ولما فيه من منهجية وتناول لا يتوفر عليه غيره ، الى آخر ما هو مذكور فى كلمة التنويه .

وفيما يتصل بقضية الاوزان العربية ، فاننا نعجب لتعميم الاخذ فيها من فارس او يونان ، كما نجد ذلك مبسوطا فى الصفحة 748 وما بعدها الى 770 ، ومبنى القضية هو ان العبرية القديمة والآرامية، وهما من اخوات العربية ، كما قال ، كلتاهما لم تهتد بالفطرة الى ما اهتدت اليه العربية ، او الى شبيه به، فى هذه الاوزان العربية ، فلم يبق اذن ، الا ان تكون العربية آخذة ذلك من فارس او يونان .

وللتدليل على هذا يمكن أن نستانس ، ببعض الاوزان التى اخذتها العربية ، حديثا من غيرها ، فى تلك الاناشيد التى تغنى فى بلادنا ، ومنها الاغنية « يا حبيبى تعالى » التى تغنيها المرحومة اسمهان ، اذ هى منقولة النغم من اغنية اوربية (لعلها اسبانية)،

وهذا التنظير فى الواقع لا غبار عليه ، ونجد له فى الفصحى ، هذا النشيد المأخوذ من نغم انجليزى ، وصارت بنات تطوان يودعن بها صديقتهن وهى تزف عروسا الى بيت عريسها :

نادى الرحيل بالفراق هل فى لقاء رجاء
انا وان طال الامل لا نسمى باخيار

فهذه الدعوى ، اذن ، من حيث الافتراض ، لا تدحض ، ولكن من حيث المبدأ ، الذى نفترض فيه ، الاشتراك بين الاخوات من اللغات ، فى الاهتداء الى اوزان تصب فيها أناشيدها ، فقد تهتدى اخت الى ما لا تهتدى اليه اخت غيرها ، والمسالة ليست مرتكزة على اصل هذه الاخوات ، بقدر ما هى مسايرة لمسيرتها فى الحياة نفسها ، ولا احد ينكر مدى التطور البعيد الذى تقلبت فيه العربية وآتت من اكلها الجنى الطيب ، ما لم تاته ، اخت لها البتة ، ان سلمنا بهذه الاختية ، وهو مناط عظيم للدارسين ، لا نثيره الآن ، فهل كانت العربية فى نشاطها هذا ، منطلقة عن منطلق فارسى او يونانى ؟

هذا مالا يمكن ان ندعيه ، كما لا يمكن أن ندعى ذلك الاخذ فى الوزن ، الا بعد الاطلاع على الاوزان الفارسية واليونانية فى عهودهما السحيقة ، وهو ان تيسر بعضه فى اليونانية ، وفى حيز ضيق جدا ، كالالياذة مثلا ، فانه متعذر تماما فى الفارسية ، التى لا تعرف الآن الا ما عرفته فى العهود الاسلامية ، وكل ما يقال فى بعض الاوزان ، وعلى رأسها الرجز مثلا ، فانما هو تخمين ، نرجو أن يظهر وجه الصواب فيه . .

المجتمعات الإسلامية في القرون الأولى

نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي

تأليف: الدكتور شكري فيصل * عرض وتقديم الأستاذ المهدي البرجالي.

. من بين الوقائع الكبرى فى تاريخ الانسانية باطلاقه ، الواقع الذى سجلته نشأة المجتمع الاسلامى فى غضون القرن الهجرى الاول ، وما انطوى عليه الامر من تحولات جذرية يتراوح مجالها الجغرافى فيما بين الشرقين الادنى والاوسط ، واواسط آسيا وشمال افريقيا ، وتستغرق اقواما واعراقا مختلفة ، وثقافات وحضارات متعددة ، وتصهر كل ذلك فى مصهر مشترك ، تشكل به مجتمعيا ، هيكل الامة الاسلامية ، وحضاريا، ما عرف بالمدنية العربية الاسلامية ، او بتعبير اكثر تبسيطا ، المدنية الاسلامية .

تم هذا التحول فى ظرف جد قصير بالقياس لما تتطلبه من زمن ، التحولات الكبرى فى حياة الامم والحضارات ، الا ان المدى الذى بلغه — من حيث سعة الاستيعاب وقوة التاثير ، وعمق التكييف ، كان اعمق من اى تحول عرفته البشرية قبل ، على امتداد الحقب والدهور ، وهى ظاهرة فريدة ، لا يمكن ادراك مدلولها الا بان يوضع فى البال ، ما حرك البيئة التى قامت فيها من هزات فكرية خارقة ، مبعثها التغيير العميق الذى احدثه الاسلام فى النفوس والاذهان ، وما فتحه بقيمه ومثله من منطلقات امام الانسان ، وخلق من حوافز .

وقد انصرف فكر الدكتور شكرى فيصل ، الى معالجة هذا الموضوع المتشعب ، البعيد قرارا فى عناصره ومسائله ، واثمرت الجهود التى بذلها بهذا الصدد — بحثا جامعيا مركزا وممحصا ، هو ما يضمه الكتاب الذى نعرض لــه .

ومدار بحث الكتاب حــول نشأة المجتمعات الاسلامية فى الصدر الاول ومقوماتها وتطورها اللغوى والادبى ، ويتصل الامر ، فيما ينبىء عنه العنوان ، بمختلف مظاهر هذا النشوء والعوامل المؤثرة فيــه ، من سياسية واجتماعية وثقافية وحضارية وقد ركز المؤلف خاصة على الجانب اللغوى والادبى فى مسار التطور الذى حصل ، وذلك باعتبار ان هذا الجانب يعكس — موضوعيا — جوهر المؤثرات الحاصلة من حركة الفتــح الاسلامــى ، والتى طبعت المجتمعات الاسلامية الناجمة عن حركة الفتح ، بالطابع الخاص والمشترك المعروفة به ، بيد ان هذا التركيز المستهدف منه اثار الفتح الاسلامى على صعيد التطور اللغوى والادبى فى المجتمعات الاسلامية ، يجب كما يذكر المؤلف « ان يقوم على دعامتين ، اولاهما من التاريخ نفسه ، والثانية من علم الاجتماع وعلم الاجتماع اللغوى بوجه خاص .. » (المقدمة) .

وفى استطراد للكاتب ، يعلل به نهجه هذا النهج فى التحليل ، يورد قوله :

« .. والدراسات بدت لى — بعيدة عن هاتين الدعامتين (اى التاريخية والاجتماعية) اشبه بالمكعبات الصغيرة تكون اشكالا مختلفة ، ان المكعبات لا تتغير فى جوهرها ، وانما تختلف ، فقط صورها الجانبية ، ومن هنا ، ازددت قناعة باننا فى حاجة الى ان نفيد من مسلمات العلوم الاخرى ، فلا نتاخر عن ركب الانسانية فى ذلك ، هذا ، اولا ، وان نربط بين فروع الثقافة الادبية ، ثانيا ، فلا يدرس الادب العربى بعيدا عن مواده الاولى من التاريخ والاجتماع ، واستوثقت قناعتى ، بأن مرد النقص فى دراستنا لا يعود فقط الى هذا الخلاف فى المناهج ، قدر ما يعود الى هذا

النقر فى المواد الاولى التى يجب ان تدخل فى نطاق هذه الدراسة ، وان هذا النقر لا يرجع الى فقر مصادرنا التى تعودنا ان نشكو منها ، بل الى اننا لم نحسن بعد استثمارها واستقطارها ، فقد اخذنا كتبنا القديمة بمفاهيمها الحديثة ، وكان ذلك مصدر كثير من اخطائنا ، اننا نومن أن المتقدمين لم يفصلوا بين فروع الثقافة ، فكان الاديب عندهم محدثا ومؤرخا وفقيها وطبيبا ، ومع ذلك فنحن نتخذ الطبرى كتاب تاريخ فحسب ، مع انه يغنى فى الناحية الادبية مثل غنائه فى الناحية التاريخية ، ونعد الاغانى كتاب ادب مع ان تصويره للحياة الاجتماعية وتمثيله لها يفوق كل كتاب آخر فى هذا العصر ، ونجد فى كتب المكتبة الجغرافية كتبا جغرافية قديمة ، مع ثروة كبرى فى المواد التى يصاغ منها البحث الحضارى ، ولذلك رايت انه لا بد فى معالجة الموضوع من هاتين الدعامتين ، التاريخية والاجتماعية ، لتتوفر له المواد اللازمة من نحو ، ولتكون معالجته معالجة جذرية من نحو آخر (المقدمة) .

* * *

هذه بعض ملامح المنهج الذى اعتمده المؤلف فى تتبع مواطن البحث الذى اخذ بعهدته ، وقد جزأ عمله ثلاثة اجزاء كبرى ، او كتب كما دعاها ، يتناول الكتاب الاول منها « المجتمع العربى بين الجاهلية والاسلام » ويعالج الثانى « نشأة المجتمعات الاسلامية الجديدة فى الاقطار المفتوحة » اما الثالث والرابع ، فيتطرق احدهما لـ « التطور اللغوى » بينما يتصدى الآخر لـ « التطور الادبى » عند المجتمعات موضوع البحث.

ويندرج الكتاب الاول من هذه الكتب ، المتعلق بالمجتمع العربى بين الجاهلية والاسلام فى نطاق اهتمام المؤلف باستقصاء جذور الموضوع الذى ندب نفسه له، علما بعمق الصلة بين العهدين الجاهلى والاسلامى على الصعيد الادبى واللغوى ، ومدى التفاعل الذى وجد بينهما بهذا الشأن ، وكما يراه المؤلف فى الفصل الاول من هذا الكتاب فان حياة قبائل الجاهلية كانت تتسم بحركة دائبة ، تصل بينها حربا او سلما ، كما تحفز عددا منها الى انتجاع مناطق خارج الجزيرة فى الشام والعراق ، وذلك مما كان له اثر فى تقريب لهجات هذه القبائل ، وتيسير السبيل نحو توحيد اللغة الادبية المستعملة لديها ، على أن التفاعل من هذا القبيل بقى مع ذلك محدودا ، حتى كان الاسلام ، حيث بلغ الاختلاط فى ظله بين العناصر العربية المدى الابعد ، وذلك ليس فقط ، كنتيجة لعمل الاسلام على تعميق الوحدة بين القوم ضمن نطاق الاخوة الاسلامية، بل ايضا ، بسبب الفتوح التى كانت اطارا فعالا للمزج بين القبائل العربية وصهرها .

ويمضى الكاتب فى استبانة التطور الذى حصل للمجتمع العربى فى هذا النطاق على عهد الفتوح ، فيذكر فى ذلك :

« .. لقد كان انطلاق العرب فيما وراء الجزيرة وتخاذل الفكرة القبلية وتقهقرها امام روح الاسلام ، وتراجعها امام طبيعة تنظيم الجيوش الفاتحة واختلاطها ، ادى الى ظهور طبقات جديدة فى المجتمع الاسلامى لا ترى فى القبيلة سندها ، وانما هى تغادر هذا الطابع القبلى الى طوابع اخرى ، مشتقة من طبيعة الحياة الجديدة نفسها ، تتسمى باسم القبيلة التى سكنتها ، او الموقعة التى خاضتها او صحبة الرسول التى تميزت بها ، وما الى ذلك من مظاهر اخرى حاولت أن تسيطر على المجتمع الاسلامى ، وان تمسك بقياده .. » (ص 44) .

وفى ملاحظة هذه الاحوال يتبين الباحث عدة تحولات اجتماعية اضطرم بها المجتمع العربى الجديد، وكان لها آثار على التطور الادبى واللغوى الذى تم فى حظيرة هذا المجتمع .

ونأتى — فيما بعد — لفصول الكتاب الثانى الذى خصصه المؤلف لـ « نشأة المجتمعات الاسلامية الجديدة فى الاقطار المفتوحة » محاولا فيه استجلاء النحو المساعد على التعرف الى ولادة هذا المجتمع الجديد الذى ستعيش فيه العربية ويتنفس فيه ادبها، وكيف كانت الاستجابة له ، وما مدى هذه الاستجابة .. » (58) ويضيف المؤلف — لمزيد من التعريف بهذا الغرض — قوله :

« .. من هنا سنجد اننا مندفعون أن نتعرف الى كل العناصر التى عملت على ولادة هذا المجتمع : اذ نتحدث على الوان الصلات الاولى التى نشأت بين المسلمين وبين السكان ، وعن طبيعة هذه الصلات : ومن هذه الخطى الاولى ، نستطيع ان نمضى فنتعرف الى ما كان من امر التعريب سواء فى ذلك التعريب اللغوى او صلة القرابات القديمة ، والى ما كان من

اثر الاسلام وانتشاره واقبال السكان عليه ، سواء كان هذا الاقبال بطيئا أو سريعا ، ومن هذه جميعا ، نكون قد عرفنا معرفة اقرب الى أن تكون حقا نيرة ، هذه البيئات التى شهدت حقا تطور اللغة العربية وبالتالى، شهدت تطور الادب العربى ، فلا يكون حديثنا عن اثر الفتوح فى الحياتين اللغوية والادبية هذا الحديث المغمض العينين ، الوعر الطريق ، وانما هو حـديث قد وضعت له اسسه ، وعرفت فيه بيئاته ودرست كل جوانبه التى ساعدت عليه ، ومكنت منه . . » (59).

لقد كان لحركة الفتح الاسلامى انعكاسات فورية على وحدة العناصر القبلية من جهة ، نتيجة لطول تداخل المقاتلين مع بعضهم فى ساحة الصراع ، ولتمازج العرب القادمين فى موجات الفتح نحو الشام والعراق، مع القبائل العربية كـ « تغلب » مثلا التى كانت مقيمة اصلا فى هذه المناطق قبل الاسلام .

ففيما يخص النقطة الاولى ، المتعلقة باثر الفتوح فى توحيد التجمعات القبلية لغويا واجتماعيا بالشام والعراق ، يورد الكاتب قوله ، « وكذلك حققت حركة الفتوح هذه نوعا من امتزاج القبائل امتزاجا ، كـان جديرا ان يوتى ثماره بعد ، وكان لا بد فى مثل نظام التعبئة الذى سار عليه المسلمون ، وانقسام الجيش الى اصحاب الخيل والرجالة والضاربين بالسيـوف والضاربين بالرماح ، والذين يقفون فى القلب ، والذين يملأون الجناحين ، والذين يكونون رداء مـن هنـا وهناك ، والذين يكونون فى الحرب علـى مقدماتهـا ومجنباتها وساقتها ومجرداتها ، وطلائعها ورجلهـا وركبانها وافرادها وتوادها ـ كان لا بد فى مثل نظام الجيش من أن تفسح الصلات القبلية مكانتها لصلات أخرى ، ولقد راينا سعدا فى القادسية يمضى فى التعبئة على نظام آخر ، اشد مزجا وتشابكا ، فهو يعشر الناس ، ويعرف على كل عشرة رجلا ، ويؤمر على اهل الرايات رجالا من اهل السابقة ، ويؤمر علـى الاعشار رجالا من الناس ، وينظر فى ذلك الى هذه الكتلة نظرته الى جماعة واحدة لا يلحظ ما كان لها ـ قبل ـ من تمايز وما كان فيها من انقسام ، ولا يولى هذا التمايز أو الانقسام مكانا او رعاية ، فالشعور بالعصبيات الصغرى كان يهزل ويضؤل ، وصداها كان يضمحل ويضيع » .

أما النقطة الثانية ، أي ما يتصل بالتقاء عـرب الشام والعراق الاصلاء بالعرب الفاتحين ، واثر ذلك فى تعريب هذه المناطق ، فيذكر الباحث فى ذلك ، مركزا القول خاصة بهذا الشان حول العراق :

« من الواضح ، أن تعريب العراق العربى لم يقتض المسلمين كثيرا من العناء ، ففى جوانب انهاره وعلى اراضيه وسهوله فيما بين النهرين فى الجنوب ، وفى الجزيرة العليا فى الشمال ، كانت تنزل القبائل العربية فى الجاهلية ، وكانت صلتها بالجزيرة الام صلة دانية ، فلم ينقطع ما بينها وبين مصادرها الاولى ، ولذلك ظلت لها لغتها ، وظلت لغتها نقية بالقدر الذى يسمح به التجاور مع الفرس والاختلاط بهم ، وكان قيام دولة عربية كدولة المناذرة فى الحيرة وما حولهـا تمكينا لمظاهر الحياة العربية من أن ياتى عليها الفرس، ولم تكن دولة المنادرة فى عزلة عن الجزيرة ، كان يفد على الملوك هنا ، كما كان يفد على ملوك غسان فى الشام ، الشعراء ، وكان ينزل بهم التجار ، وكانت تصل بينهم روابط الدم ، وكانت تقوم كذلك حروب وغارات ، وتعقد عهود وأحلاف ، وعلى ذلك ، كانت تشتبك الصلات ، وتشتجر الارحـام ، وتتجـاوب الاطراف ، ويكون دائما هذا التيار المتناوب الذى يغدو ويروح بين الجماعتين ، جماعة البادية وواحاتهـا وقراها ، وجماعة الضاحية ومدنهـا وقصورهـا ، بالوشائج والصلات ، ومن هنا ، لم يكـن للموجـة المسلمة المتدفقة ، أن تجد فى العراق العربى عنـاء ولا جهدا ، وانما كان الجهد والعناء فى المناطق التـى يكثر فيها الاعاجم أو يسودون . . » (106 ـ 107) .

وقد تممت حركة التعريب اللغوى هذه فـى العراق ، بحركة التعريب السلالى الناجمة عن اختلاط الفاتحين بالاعاجم ، وتفاعلهم معهم عن طريق تنـاقل السبايا من العراق الى الجزيرة العربية ، والاقبال الذى نشأ على التزوج بالعجميات ، ونشاط الموالى ممن أسلموا ، وتعربوا ثقافيا ، وأسهموا بفضل ذلك ، فى ايجاد أرضية للتبادل بين لغتهم وثقافتهم الاصليـة (اللغة والثقافة الفارسية) وبين لغة العرب وثقافتهم، وبموازاة هذا التطور الاجتماعى والثقافى الذى كان واقعا فى الشرق خلال بلاد الرافدين ، كانت مصر واقطار المغرب تشهد تطورا مماثلا ، وان كانت هناك عـدة تفاصيل ، تختلف فيها ظروف الفتح فى كل منطقة من هذه المناطق عن الاخـرى ، والعنصران البشريـان

الرئيسيان في القطاع الغربي من مجال الفتح هذا ، هما الاقباط والبربر ، يضاف الى ذلك الروم ، العنصر الدخيل الذى اوجده على الساحة فى هذه المنطقة ، ذيول التحركات الاوروبية التوسعية فى شمال افريقيا قبل الاسلام .

وقد عرض المؤلف فى الفصول التى عقدها للموضوع ، ضمن الباب الثالث والرابع ، لطبيعة العلائق التى نشأت بين الفاتحين المسلمين ، وبين هذه العناصر السكانية فى منطقة ما بين النيل والمحيط الاطلسى موردا فيما يخص مصر من ذلك قوله :

« .. الشىء ، الاصيل الذى حرص عليه المسلمون هو ان ينهجوا للاقباط الحرية والامن ، بعد هذا الذى حاول الروم أن يغلبوهم عليه فى حرياتهم الشخصية .. » (119) .

ويخلص بعد استعراضه جوانب اخرى تتعلق بسياسة المسلمين نحو الاقباط فى مجال الحرية الدينية والضرائب والوظائف — الى موضوع التجارة حيث يذكره « .. أفاد الاقباط من الفتح الاسلامى حرية فى الحركة التجارية لم يكن لهم أن يتمتعوا بها من قبل، فالتجارة المصرية كانت توشك ان تكون فى الاسكندرية موقوفة على اليهود وعلى الروم انفسهم ، ولعلنا نستطيع ان نستنتج فيما آل اليه الامر بعد ، على يد المسلمين ، ان هذه المنافسة قد خمدت ، وان المساواة التى نشرها المسلمون للذين دخلوا فى ذمتهم كانت تمكن للتجار الاقباط ان يأخذوا مكانتهم فى تجارة مصر .. » (126) .

اما الروم الذين وجدهم الحال فى مصر اثناء الفتح ، فقد كان منهم من قاتل المسلمين ، حتى اذا غلب خير بين الدخول فى الذمة او مبارحة البلاد ، ومنهم من سالم القوات الفاتحة فدخل فيما دخل فيه الاقباط من نظام الجزية ، وثمت من تعاون مع المسلمين ، فاستبقوه فى المناصب الادارية للافادة من خبرته .

وفى ايغال نحو الغرب ، يتطرق المؤلف ضمن مزيد من الاستقصاءات له حول الارض والخطط التعميرية والتحول الاجتماعى هناك فى ظل المسلمين — يتطرق الى بلاد المغرب ، معتمدا نفس المنهاج فى النظر الى الموضوع من خلال الارض والسكان وحركة التعمير والتعريب والخصوصيات المختلفة التى اكتنفت العمل الاسلامى فى هذه المجالات ، وطبيعة النتائج التى امكن التوصل اليها من خلاله .

واذ يتصدى الكاتب لرصد حركة الفتح فى المنطقة وملابساتها يذكر فى ذلك : « اننا فى المجتمع الاسلامى فى المغرب ، لم نستطع أن نتبين الخميرة العربية الاولى ممن كانت تتألف ، ذلك ان الجيش الاسلامى دخل افريقيا مرات ، وردته افريقية مرات ، وفى كل مرة ، كان يخلف وراءه قلة مستضعفة تقيم فى القيروان او غيرها ، ويخلف اثرا اسلاميا فى بعض القبائل البربرية، فلما اوشك ان ينقاد المغرب كله للحكم الاسلامى ، وغلبته حملات حسان وموسى بن نصير ، كان الاسلام قد خاض اكثر الهضاب والشطوط البربرية ، واضحى ايمانا عند كثير من الجماعات ، فلم يكن فى حاجة الى خميرة عربية تتولى هى امر تعريبه واسلامه ، وانما تكونت هذه الخمائر الاولى فى هذا الوسط من البربر انفسهم ، الذين حملوا عبئا كبيرا فى اسلام قومهم كما حملوا العبء الكبير فى فتوح بلادهم ، وكما سيحملون بعد ذلك مثل هذا العبء فى فتح الاندلس او بعض جزائر البحر المتوسط ، ومن هنا ، كبر ما بين فتوح المغرب وفتوح البلاد الاخرى من فروق : فالهجرات العربية الى المغرب لم تكن هى هذه الجيوش التى عسكرت ، ثم تلتها الامداد بعدها ، والتى مكن لها الفتح فاستقرت حيث مكن لها ، وبدات حياتها على هذه الارض التى فتحتها وصالحت عليها ، ولكن الهجرات العربية او اكثرها ، جاءت بعد الفتح فى القرنين الثانى والثالث ، وفى القرون التالية ، حين كانت تضطر الظروف المعاشية القبيلة ان تهاجر ، او حين كان لا يسع الخليفة امام بعض الظروف السياسية او الفتن الداخلية الا ان يحملها على الهجرة ، ولهذا ، فان الباحث الذى ينشد التعرف الى انسياب الدم العربى فى المغرب لم يجد ملتمسه فى القرن الاول فى الفتوح ، وانما سيجد ذلك فيما تلاه من قرون وهجرات .. » (170) .

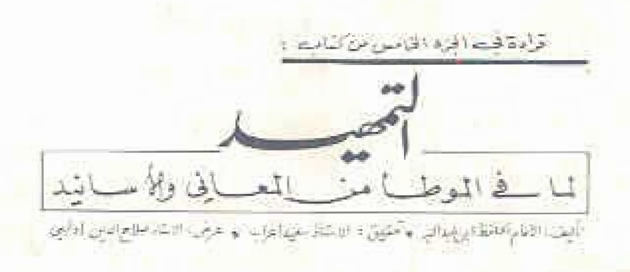
وفى موالى الحديث خلال الباب الذى عقده المؤلف حول التطور السكانى بايران وبلاد المشرق فى عهد الفتوح الاسلامية ، نخلص الى الكتاب الرابع من هذا المصنف ، وفيه يلقى المؤلف اضواء حول دور الادب فى حياة المجتمع العربى الاسلامى ، اثناء الفترة التى يبحثها وتبعا للنهج الذى سلكه المؤلف فى معالجة موضوعه فقد كان هناك دوران او مرحلتان

فى تبلــورات الحيــاة ، الادبية خلال هذه الحقبة ، اولاهما دور الهدوء ، والثانى دور اليقظة والتفتح ، وقد اثرت فى تكييف الحياة الادبية خلال الدور الثانى ، جملة من العوامل منها ما هو اجتماعى ، ومنها ما هو نفسى ، ومنها ما هو علمى .

وفى جولة طويلة لتمحيص عموم الموضوع الادبى خلال الحقبة موضوع البحث ، وذلك عن طريق دراسة العوامل المذكورة ، واستجلاء مسائل مختلفة اخرى من عالم الشعر والنثر ، وأصول تطورهما فى نفس الظرف ، يخلص الكاتب فى خاتمة المطاف الى منتهى الكتاب ليقــرر ان التطــور الادبى (الذى استعرض مظاهره وجذوره وعوامله) انتهى بالادب الى ان كان ادب هذه الحضارة الجديدة (الحضارة الاسلامية) بكل علومها وفلسفتها وفنونها وعقائدها ، وان الادب العربى شهد فى هذا التطور مدا لافاقه ، وتنوعا فى اجناسه ، وخصبا فى ثقافته ، وان هذا المد والتنوع والخصب تلخص كل خطواته التى صار اليها ، وتحدد اتجاهاته التى سيؤول اليها .. » (449) .

يشكل الكتاب الذى حاولنا فى هــذا الحــديث استجلاءه ، عملا دراسيا جادا ، وطويل النفس فى استطلاعاته وتقريراته واستنتاجاته ، وتعكس حصيلة الفصول والابواب التى تالف منها ، مدى الجهد المضنى الذى بذل لتسويقه على الوجه الذى بدا فيه غزير المورد من المعلومات طموحا فى استيعاب ما اريد ان يستوعبه من شتيت مسائل متشعبة بطبيعتها ، جزئية فى وضوحها ، بعيدة الغــور فيمــا يستشف منهــا ويستكشف .

بيد ان هذه الظواهر بالذات ، التى يتسم بهــا الموضوع ، تجعل من الاكيد حاجته المستمرة الى مزيد من التحليل والتمحيص والاستقصــاء ، باعتبار ان العمل المعروض بهذا الصدد ــ وان كان عملا جيدا بدرجة فائقة ، فانه ككل عمل رائد ، يبقى لبنة اولى ، فى بناء طويل عريض ، يتعين أن يتضافر غير ما جهد واحد ، على توفير الاسباب الممكنة اياه من استحصال كافة شروطه ، واستكمال بنيته .





صدر عن وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الجزء الخامس من كتاب «التمهيد ، لما فى الموطأ من المعانى والاسانيد» تأليف الحافظ ابن عبد البر ، بتحقيق الاستاذ سعيد احمد اعراب .

وكتاب «التمهيد» هو موسوعة حديثية فقهية قل ان نجد لها نظيرا بين سائر ماالف فى الموضوع منذ ان صنف الامام مالك رحمه اللـــه كتابه «الموطأ» الـــى يـــومنا هـــذا .

وكانت هذه الموسوعة قابعة على رفوف الخزائن ماشــاء الله لها ان تحتجب عن عيون الناس . ولم تحظ بلفت انظار الباحثين والناشرين رغم سعة الحـــركة التنقيبية عن نفائس التراث لندرة وجودها ووعورة سبيلها ، اذ لم نجد الايام منها حسب ما عرف حتى الآن ســوى بأجزاء متفرقة متناثرة ، كحبات الجمان التى تنتظر كوالشف النور كي ينتظم عقدها ويشع ضياؤها .

ويظهر لنا ندرة الكتاب وقلة وجود اجزائه انه لم يهتد الباحثـــون عنه رغم التتبع والاستقصاء الا الى اجزاء منه متفرقة تنتمى الى نسخ مختلفة واصـــول متباينة ، مما جعل الاستاذ المحقق يعتمد طريقة لتلفيق فى تحقيقه لهذا الجزء . ومعلوما انها الطريقة العلمية حيث تنعدم النسخة «الام» فيلجأ المحقق الى محاولة استخلاص النص واثبات مايظهر له انه الاصوب او الصواب ، مجتهدا حسب الوسع فى تلك الفـــروق والاختلافات وما الى ذلك من تقديـــم وتاخير وزيادة ونقصـــان .

والنســخ التى توفرت لتحقيق هذا الجزء اربع :

1 ــ نسخة المكتبة القادرية ببغداد . وقـــد وصفها الاستاذ المحقق فى مقدمة الجزء الرابع من هذه الموسوعة بقوله : (نسخة مصورة ، منقولة عن نسخة خطية مودعة بالمكتبة القادرية ببغداد ، كتبت بخـــط مشرقى واضح ، فى اواسط لقرن الثامن الهجرى . لكن كاتبها كان قليل الحظ من المعرفة ، حرف كثير من الجمل و لعبارات . وبها نقص فى مواضـــع يصل احيانا الى عدة صفحات . وانفردت هى الاخرى بزيادات جد مهمة) ، ورمز لها بحرف الباء .

2 ــ نسخة الخزانة الملكية بالرباط ، وصفها الاستاذ المحقق بقوله : (نسخة مصورة ، منقولة عن نسخة خطية محفوظة بالخزانة الملكية تحت رقم 4186 وهى غير مرتبة ، اكثر حروفها غفل من النقط . بها بتر فى مواضع . وقد اصابتها الرطوبة فاسمحت بعض سطورها وكلماتها . وهى مع ذلك قد افادتنى كثيرا ، وانفردت بزيادات لا توجد بغيرها من النســخ) . ورمز لها بحـــرف الميم .

3 ــ نسخة الجلاوى . وقد وصفها الاستاذ المحقق فى مقدمة الجزء الخامس بقوله : (وهى صورة منقولة عن نسخة خطية للجلاوى . مودعة بالخــزانة العامة بالرباط رقم ج 13 . وهى مبتورة الاول والآخر . تبتدىء باوائل حديث خامس وثلاثين لزيد بن اسلم . وتنتهى بحديث ســادس لابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله) . ورمز لها بحـــرف الجيـــم .

4 ــ نسخة دار الكتب المصرية ، وصفها الاستاذ المحقق بقوله : (وهى صورة منقولة عن نسخة خطية ،

137

محفوظة بدار الكتب المصرية رقم 315 ، والنسخة بها زيادات مهمة ، لكنها لم تسلم هي الاخرى مـن داء التصحيف والتحريف ، والنقص احيانا) ، ورمز لهـا بحـرف الـدال .

ويلاحظ في هذا الجزء اختفاء نسخة اسطنبول التي يقول عنها الاستاذ المحقق في مقدمة الجزء الرابع انها اصح النسخ ، والتي استفاد منها في ذلك الجزء بالاضافة الى نسخة المكتبة القادرية ببغداد والخزانة الملكية بالرباط ، وذلك لما فيها من بتـر يبتدىء في الصفحة الثامنة والستين من الجزء الرابع من هذا المطبوع ، ويقدره الاستاذ بنحو جزءين مـن تجزئة المطبوع ، ولعلها ستعود الى الظهور في الجزء السادس ان شاء اللـه .

والاستاذ المحقق معروف ببحثه العلمي ونشاطه الدؤوب وخاصة في مجال تحقيق التـراث ، وكان في تحقيقه مثالا للامانة العلمية والبحث النزيه مما تتطلبه طريقة التلفيق بين النسخ وكثرة ما بينها من اختلاف واضطراب ، حيث اشار الى انه لم يعتبر من الزيادات الا ما انفردت به احدى النسخ مما توثق عنده انه مـن نص الكتاب ، وجعل ذلك بين قوسين ، ثـم يبين في الحاشية النسخة صاحبة الزيادة . أما العبارات التي اختلفت فيها النسخ او كانت الزيادة يرفضها النـص فاكتفى باثباتها في الفروق دون صلب الكتاب .

وبالاضافة الى حاشية الفروق فقد خصص المحقق حاشية ثانية لتخريج الاحاديث وارجاع كل نص الـى اصوله ما امكنه ذلك ، مع الترجمة لبعض الاعلام الذين راى الحاجة ملحة الى التعريف بهم، مكتفيا في الاكثـر بالاحالة الى مصادر الترجمة .

ولم يفته ايضاح بعض الكلمات او العبارات التي يكتنفها شيء من الغموض .

ولا بد لي من ان انوه بالمجهود العلمي القيم الذي بذله المحقق في اعداد فهارس الكتاب ، اذ ذيله بثلاثة عشر فهرسا على هذا النسق :

1 — (فهرس الموضوعات) ، حسب تـرتيب المؤلف على طريقته المعروفة في كتابه هذا ، اذ انه رتب احاديث الموطأ قبل شرحها ترتيبا لم يسبق اليه ، وذلك على ابجدية شيوخ المؤلف ، اي حسب ترتيب حروف الاسماء لشيوخ الامام مالك رحمه الله في موطئه . وهذا الترتيب لاحاديث الموطأ بهذا الشكل يذكرنا بتـرتيب الحافظ الطبراني رحمه الله لمعجميه الصغير والاوسط .

وقد ذكر في هذا الفهرس مع كل حديث اهـم المسائل التي وردت في الـشرح مـن روايات وآراء وتفسيـرات ومناقشـات .

2 — (فهرس الآيات) القرآنية الكريمة الواردة في الكتاب ، حسب حروف المعجم .

3 — (فهرس الاحاديث) النبوية .

4 — (فهرس الآثار) المروية عـن الصحابـة والـتابعـين .

5 — (فهرس مصطلح الحديث) ، وقد تتبع فيه الاستاذ المحقق كل ما قاله الحافظ ابن عبد البر في هذا الجزء من الحكم على حديث او اسناد من حيث الصحة او الحسن او الضعف ، والاتصال او الارسال ، والرفع او الوقف ، وما اخطأ فيه بعض الرواة وما يصلـح للاحتجاج او لا يصلح وما الى ذلك من الاحكام على الحديث او السند مما يدخل في دائرة تطبيق قواعـد «المصطلـح» .

وفي جملة احكام ابن عبد البر على حديث بعينه تمر اشارات خاطفة لبعض قواعد المصطلح مما يجدر ان توجه له عناية خاصة للتعرف على آراء هـذا الامام الحافظ في علم مصطلح الحديث ، ومن تلك الاشارات قـولـه :

— الذين وصلوه حفاظ مقبولة زيادتهم . ص 19

— الحديث اذا رواه ثقة عن ثقة حتى يتصل بالنبي صلى الله عليه وسلم حجة يعمل بها ، الا ان ينسخه غيـره . ص 42 .

— حديث صحيح عند من قال بمراسيل الثقات . ص 42

— رواية اسلم عن مولاه محمولة عند اهل العلم على الاتصال . ص 183 .

— حديث زيد بن اسلم مـرسل ، وليس مما يعارض حديث ابن شهاب . ص 205 .

— رواه ابن عيينة مرسلا ، فسقط الاحتجاج به . ص 225

— حديث منكر ، لايجوز ان يحتج عند اهل العلم بمثله . ص 226 .

— حديثان ثابتان من جهة الاسناد ، ولا حجة فيهما لانهما محتملان للتأويل · ص 229 ·

— حديث يعقوب بن شيبة منكر لانه انفرد فيه بهذا الاسناد . ص 290 ·

6 — (فهرس الجرح والتعديل) وهو لما حكم به ابن عبد البر على أي راو من رواة الاسانيد بانه ثقة او ضعيف او صدوق او غير جيد الحفظ وما الى ذلك من الاحكام الدقيقة التي كان ائمة النقد يصفون بها الرواة بكل صراحة ونزاهة ، صونا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتسرب اليه ما ليس منه ·

7 — (فهرس الكلمات المشروحة) .

8 — (فهرس الابيات الشعرية) ، وقد ذكر فيه صدر البيت الذي اورده المؤلف — أو الابيات او الشطر — والقافية وعدد الابيات والقائل ·

9 — (فهرس الاعلام) وهو في غاية الاهمية للباحثين وخاصة بالنسبة للموسوعات من مصادر التراث ، وبما ان كتاب التمهيد لابن عبد البر من اكبر الموسوعات الحديثية الفقهية فقد بات من الضروري فهرسة اعلامه ، والا لاصبح البحث فيه عن آراء الائمة والعلماء أمرا عسيرا غير ميسور الا لمن غاص في بحره وسبر اغواره ·

وقد اتبع فيه الاستاذ المحقق طريقا ابجدية في الترتيب حسب الحروف الهجائية ليست طريقة اسلافنا من العلماء ، اذ لم يسقط كلمة «بن» و «ابو» و «ابن ابي» و«ابن اخي ابن» وكانت عادة علمائنا الاقدمين اسقاطها في ملحظ الترتيب ·

ومما يلاحظ ان الاستاذ ذكر الاسماء في الفهرس على حالها في صلب الكتاب دون ان يجمع الاسم الواحد في موضع واحد من الفهرس ، فذكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في موضعين : الاول في ابن عباس من حرف الالف والثاني في عبد الله بن عباس من حرف العين ، وذكر سعيد بن المسيب رحمه الله في موضعين الاول في ابن المسيب من حرف الالف والثاني في سعيد بن المسيب من حرف السين ، وذكر عبد الله بن مسعود مفرقا على ثلاثة مواضع : في ابن مسعود وفي عبد الله مطلقا في اول العبادلة ثم في عبد الله بن مسعود وذكر محمد بن وضاح في موضعين : في ابن وضاح وفي محمد بن وضاح ، وهكذا ·

وعلى ذكر اسم عبد الله مطلقا غير منسوب فقد ذكر الاستاذ انه في ثلاث صفحات : 7 ، 33 ، 96 · وهو في الصفحة 7 شرخ من شيوخ ابن عبد البر حيث قال : واخبرنا عبد الله حدثنا عبد الحميد ، ، ، بينما هو في الصفحة 33 عبد الله بن مسعود الصحابي ، اما في الصفحة 96 فغير موجود فيها من اسمه عبد الله لكن يوجد في الصفحة 196 ذكر لعبد الله وهو ابن مسعود كذلك ·

10 — (فهرس الشعوب والقبائل والطوائف والفرق) ، مرتبة على حروف المعجم .

11 — (فهرس البلدان والاماكن) ·

12 — (فهرس مصادر المؤلف) ، وهو ثبت بأسماء الكتب التي ذكرها ابن عبد البر ونقل عنها ، ومنها يتبين مدى سعة اطلاعه والكتب التي كانت متوفرة لديه ·

13 — (فهرس مراجع التحقيق) ، وهو ثبت بأسماء الكتب التي رجع اليها الاستاذ المحقق في تعليقه على هذا الجزء ، وهي مجموعة مهمة من عيون مصادر التراث الاسلامي تبين مدى الجهد المبذول في التحقيق والتعليق ، وتشتمل على نفائس من كتب التفسير والحديث ومصطلحه وطبقات رجاله والاصول والفقه والتراجم والنحو ودواوين الشعر ومعاجم اللغة ·

والحقيقة هي ان كتاب «التمهيد» موسوعة قيمة ومصدر اساسي ، وهو جدير بكل عناية وجهد . وان هذه الفهارس الثلاثة عشر لهي بحق مفتاح الغوص على درر وغرر هذا السفر العظيم

وهذه الفهارس القيمة يزيدها نفعا والفادة ان يضاف اليها مزيد من الفهارس الموضوعية فيزداد التيسير على الباحث المستفيد ويعظم الانتفاع ، ومن ذلك فانني ارى ان يضاف الى ما سبق فهرسان :

1 — فهرس ابجدي لرءوس المسائل الفقهية .

2 — فهرس لآراء ابن عبد البر واختياراته واجتهاداته ·

* * *

وعلى كل حال فان هذا الجزء قد صدر في حلة قشيبة واخراج انيق عن «وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية» وفقا للتعليمات السامية لامير المؤمنين الحسن الثاني وفقه الله ونصره ، والله سبحانه اسأل ان يوفق العاملين على اخراج واتمام هذه الموسوعة العلمية النفيسة وغيرها من الجواهر الغالية ، وهو ولي التوفيق ·

خطيئة ماماس

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

قصة قصيرة :

عدت من مغتربى بعد غياب ثلاث سنوات متصلة لاجد فى انتظارى مأساة مؤلمة ..

لقينى بالمطار حشد هائل من افراد العائلة والاصهار والاصدقاء .

ونزلنا الى المدينة فى موكب طويل من السيارات كاننا نزف عروسا .

وفى الدار اجتمعنا على مأدبة دسمة كنت جائعا الى مثلها بعد الحرمان الطويل من أطايب المطبخ المغربى اللذيذة .

وكنت كذلك متعطشا الى اخبار العائلة المفصلة والتى لم يكن يصلنى منها الا النزر اليسير ..

ولم يكن يهمهم ان يسمعوا ما احكيه عن بلاد الغرب الاقصى بقدر ما كان يهمهم أن يخبرونى بما حدث أثناء غيابى .. وخصوصا الوالدة العزيزة التى كانت مصدرا غزيرا لاخبار العائلة والمجتمع .. فرغم ملازمتها الدار كانت تعرف كل ما يروج بفضل الزائرات الكثيرات اللواتى كن يترددن عليها فى المساء لشرب الشاى وترديد الشائعات .. وهى تحسن الحكاية كما تحسن الاستماع ، وتحب الاثنين بنفس القوة ..

ولم يكن ليشبع جوعى لاخبار الوطن المحلية غيرها .. فجلست أنصت اليها واستزيد ، وهى تحكى سعيدة باهتمامى ..

وتطرق الحديث الى الغرسة التى تملكها العائلة بضاحية المدينة الجنوبية على المحيط فقالت ونغمة الحسرة تطبع صوتها :

ــ الغرسة لم تبق كعهدك السابق بها .. ابوك لم بعد يجد وقتا للذهاب اليها كما كان يفعل من قبل فقد اقعده المرض وكبر السن فى الايام الاخيرة عن الاهتمام بشؤونها ..

وتقفزت الى ذهنى صورة عائلة اعمار الريفى صاحب الغرسة المجاورة لحقلنا فقلت مغيرا الموضوع.

ــ واعمار الريفى ، وزوجته ماماس ؟ ماذا فعل الله بهما ؟

فتنهدت الوالدة العزيزة بحزن والم حقيقيين فتوجست شرا .. وأومض فى ذهنى بسرعة الضوء شريط طويل ملون عن ذكريات صباى الجميلة المرتبطة بعائلة اعمار الريفى وخصوصا بزوجته الشابة الجميلة وبنته زهرا ، وابنه محمد الذى كان فى مثل سنى .

وما زلت اذكر اليوم الذى رايت فيه (ماماس) .. كنت التقط الحلزون من الزرب لاستعمله كطعم لصيد السمك .. ودخلت بين اقصاب الزرب لالتقط واحدة معلقة بورقة ، وفجاة لمحت ذلك الوجه الصبوح فراعنى جماله ، ووقفت انظر اليها مبهورا منحبس الانفاس . كان وجهها اليانع مزيجا من الحليب والورد .. وعيناها الواسعتان الشديدتا السواد تتألقان بسعادة فطرية أزلية ، وبراءة صبيانية آسرة ..

وابتسمت لى وتقدمت نحو الزرب فالتقطت الحلزونة وناولتنيها قائلة بلكنتها الريفية المحببة :

ــ خذ .. ماذا ستفعل بها ؟

فأخرجنى سؤالها من عالمى المسحور لاستفسرها عما قالت ، فأعادت السؤال .

قلت : سأصيد بها :

فأخذت تجمع معى الحلزون وتجاذبنى الحديث .. فوجدتها تعرف عن عائلتى كل شىء .. وعرفت منها انها جاءت من بلاد بعيدة تسمى بلاد الريف هاربة مع زوجها وولديها الى بلادنا من قحط المنطقة .. وهنا اشتريا هذه الغرسة الصغيرة المجاورة لغرستنا واستقرا بصفة نهائية .

وكانت عائلتنا تذهب الى الغرسة للتنزه من حين لآخر ، وخصوصا ايام الربيع والصيف . وكان الوالدان يعاملان الجيران الجدد بشىء من التحفظ ، الا ان ماماس التى كان جمالها الظاهرى لا يعكس الا جزءا ضئيلا من جمالها الباطنى ، استطاعت ، وفى مدة وجيزة ، بظرفها وخفة روحها ان تسيطر على جميع افراد العائلة كبارا وصغارا ، وتندرج معنا هى وزوجها وطفلاها وكأنهم طرف من الاسرة .

وصار منظرها مألوفا بيننا وهى تجرى خلف أختى الصغيرة وترفعها من الارض وتلاعبها وتمازحها وتدغدغها وهى تضحك سعيدة ..

وصرنا جميعا ننادى أختنا الصغيرة بنفس الكنية التى اطلقتها عليها ماماس .. فقد كانت تناديها « للاشعالة » و « للازغب الكبال » لحمرة شعرها الشبيهة بخيوط الذرة الحريرية الحمراء ..

ودخلت ماماس فى حياتنا فكانت لا تطيب حفلة ولا فرح الا بمحضرها .. فقد كانت تقيم الدنيا وتقعدها حين تقوم للرقص فى الافراح والمناسبات السعيدة ، وما كان اكثرها تلك الايام ، فتدق على الدف وتغنى بلهجتها الريفية اغانى بلدها الجميلة ، وتهز كتفيها هزا ارتعاشيا سريعا فى منتهى الرشاقة والابداع دون ان يفلت منها ايقاع الدف ، ولانغم الاغنية ..

وشاركتنا افراحنا واحزاننا وشاركناها سعادتها وشقاءها .. كان احب شىء اليها أن تحكى لنا عن زوجها اعمار بطريقتها الفكاهية الساخرة فتثير بيننا عاصفة من الضحك المتواصل ..

وفى نفس الومضة تذكرت الوالد ، رحمه الله ، وهو يسألها رغم جده ووقار مظهره ، عن آخر اخبار « سى اعمار » وهو يعنى آخر افاعيله .. فتسبل ماماس جفنيها فى حياء وتواطؤ مع الرغبة المرحة الكامنة فى سؤال النقيه المهيب ، وتحكى له حادثة او اثنتين عن زوجها العزيز ، فيبتسم ضاحكا ملء عينيه وقلبه ويدعو له بالعقل والهداية ، ولها بالحلم والصبر ..

مر هذا الشريط الملون الصاخب فى ذاكرتى مر السراب البعيد وانا استعد لسماع اخبار غير طيبة عن جارينا وصديقينا ماماس واعمار ..

وكانت الوالدة قد دخلت فى الموضوع بما يليق به من عبارات الاسف والرثاء لتلك العائلة الساذجة الطيبة بقولها :

ــ لا تسأل يابنى عما فعل الله بماماس وزوجها اعمار .. فقد انتهى كل شىء بالنسبة لتلك العائلة ،، حتى المرح والضحكة اختفيا من وجهيهما .. اذا رأيتهما لن تعرفهما .

وتوقفت لتتنهد مرة اخرى فقلت بصبر نافذ :

ــ ماذا أصابهما ؟

ــ كارثة من الكوارث .. كانت حياتهما على احسن ما يرام حتى دخل بينهما الشك والغيرة قبحهما الله فشتتا شمل الاسرة الطيبة ..

فقلت مستعجلا صلب القصة :

ــ وكيف كان ذلك ؟

ــ انت تعرف أن « اعمار » كان ينزل الى السوق كل يوم خميس لبيع خضار غرسته وفواكهها .. وكان يعود فى آخر النهار يحمل مؤونة الاسبوع وهدايا لماماس وحلوى للصغار ويتعشى مع أولاده .. الا انه بدا يتأخر عن العودة الى بيته كلما نزل لبيع الخضار .. واخذ تأخره يطول من بعد المغرب بقليل الى العشاء ثم الى ما بعد العشاء فمنتصف الليل ..

وكانت ماماس تقلق لتأخره وتبقى ساهرة تنتظره حتى يعود .. وحينما كانت تسأله كان يأتيها كل مرة بعذر جديد حتى بدأ ت تشك فى اعذاره .. وصارحته بذلك فقلب عليها الدنيا واتهمها بأنها وصفته بالكذاب ، وضربها ضربا مبرحا لاول مرة .

وجاءت تشكوه لى فى اليوم التالى وهى تبكى من كل عين حفنة . وتطلب رايى فيما ينبغى أن تفعله .. فأخذت بخاطرها وصبرتها وقلت لها :

« الرجال هكذا .. لم يخلقوا ليسألوا عما يفعلون ،، واذا كنت سعيدة فى دارك مع اولادك فلا حاجة لك بما يفعله خارج الدار » وما الى ذلك ..

ويظهر انها قبلت الوضع على مضض ، وقررت التعايش معه دون اثارة اعصاب زوجها بالاسئلة .

الا ان بعض السنة السوء اتصلن بهـا واخذن يوسوسن لها كالشياطين .

وقد بلغنى ان احداهن قالت لها انها راته مع (الزاهية) وقالت لها اخرى بل انها راته خارجا من عند (البتول) .. وكلتاهما معروفتان بافساد الرجال وتخريب البيوت ،،

وسخرت ماماس من كلامهما فى البداية ، وردت عليهما بان اعمار لا يعرف امراة غيرها .. وبانه ليس من النوع الذى يسهل عليه مغازلة النساء فهو عيى حيى ولو كان فى استطاعتها مراقبته لعرفت سر تأخره وضياع فلوسه ..

ولكن اصرار المراتين الشريرتين على رايهما .. وتمادى اعمار فى تأخره كل ليلة خميس ، بل تعددت الليالى ، وطالت ساعات سهرها المترقب احيانا الى الفجر .. ورائحة الكيف والتبغ التى كانت تعبق من ملابسه حين يدخل النوالة جعلها تصدق الاخبار وتكذب حدسها الغريزى ..

واكلت قلبها الغيرة فباتت ترصد قدوم زوجهـا « اعمار » لتصب عليه غضبها وتستنطقه وتتهمه بالفجور ، فيتحول هو ضدها كالوحش الكاسر .. وانت تعرف انه عيى لا يعرف الرد على الكلام بالكلام ، فكان يستعمل يديه وقدميه حتى يكاد يقتلها ..

واشتكت الى ابيك فذهب اليه واسمعه ما يقال وما لا يقال ، وهو مستكين خافض الراس يردد بين الفينة والفينة : « والله العظيم آسيدى انها تكذب على . حرام على اولادى اذا كنت افعل ما تتهمنى به ماماس » .

وحين سأله ابوك اين يتأخر قال انه يجلس فى القهوة مع اصدقائه .. فلم يكن من ابيك الا ان عاتب ماماس على التضييق على زوجها ، ونصحها ان تترك له بعض الحرية للسهر مع اصدقائه اذا شاء ..

ولكن جارات السوء لم يكففن عن الوسواس لها وتحريضها عليه .. وفتحن لها ابوابا عديـدة لاعادة سيطرتها عليه ،، وكن يقلن لها : « ان سلطان الجمال لا يدوم .. وكل شىء يبلى ويزول رونقه ويصبح فى نظر الزوج شيئا عاديا مسلما به ، فيذهب للبحث عن وسائل اكثر جدة ولمعانا واغراء . ومن حقها ان تلجأ الى الوسائل الربانية لابقائه فى قبضتها ، والمحافظة على جاذبيتها فى عينيـه ..

وحين سألتهن عن « الوسائل الربانية » اخذنها الى السحارين والمشعوذين وضاربى الفال ، وكاتبى التمائم (والحروز) وبائعى السموم و (التوكال) .. فخافت فى البداية ورفضت الانسياق الى استعمال اى شىء .. فانت تعرف اعتزازها وكبرياءها ،، فكانت الجارات تأتينها بالتمائم والبخور تطوعا واجتهادا .. ولم تكن هى ترى ضررا من تعليق التمائم وحرق البخور ما دام الاولياء والفقهاء يكتبونها وينصحون بهـا .. فعلقت لنفسها حجابا ، وراودته بتعليق آخر .. وكانت تبخر البيت لتطرد الشياطين والمردة وارواح الشر من نوالتها فى مواقيت محددة من الليل والنهار ..

ولكن كل ذلك ذهب سدى .. فقد استمر اعمار فى غيابه وسهره وزاد يقين ماماس انه وقع فريسة لاحدى تلك الفاجرات .

وراودتها عجوز مسمومة باستعمـال وصفـة تعرف رجلا يبيعها فى السوق سرا يوم الخميس .. وهى وصفة مضمونة النتائج ما استعملتها امراة الا وبقى زوجها طوع بنانها ، يتبعها بفم فاغر ولعاب سائل ..

وحين اشمأزت ماماس للوصف غمزتها العجوز قائلـة :

— هل تفضلين ان يكون فاغر الفم سائل اللعاب وراءك او وراء اخرى ؟

وامام هذا المنطق القاطع لم يبق (لماماس) خيار غير اقتناء الوصفة الجبارة ، ودسها لاعمار ..

ودفعت ثمنا للوصفة السحرية التى سترد عليها زوجها احدى قطع حليها القليلة الغاليـة ، وعدتها استثمارا فيما ستدخره بعد أن يكف زوجها عن السهر خارج الدار وانفاق ثمن كل ما يبيعه من غلال علـى شهـواتـه .

وتعذبت ليلة كاملة قبل ان تضع الغبرة السحرية فى طعام (اعمار) وحين فتحت الورقة بيدين مرتعشتين فوق الطاجن ، توقفت طويلا تفكر فى العواقب وتحاور ضميرها لتقنعه بصواب ما ستفعل ..

واخيرا ارتعشت يداها بقوة فاندلق نصف مـا كان بالورقة داخل الطاجن واتفلت هى بدنها علـ

الباقى والدموع تتقاطر من عينيها ، وهى تطلب العون من قوة خفية لاخراجها من الظلام الذى تتخبط فيه .

وفاجاها (اعمار) كذلك فلم يسالها على ما بها لانه الف أن يراها باكية حزينة .. وقبل ان تحاول تدارك الموقف كان هو قد جلس الى الطاجن وأتى على كل ما فيه بشهية الذئاب وقام لينام ..

واصيبت ماماس بأرق تلك الليلة فاحست بزوجها يتقلب فى فراشه ويعانى من احلام مزعجة وكوابيس ثقيلة ..

واخذتها قبيل الفجر سنة من النوم ثم افاقت منزعجة لترى زوجها وقد قام من فراشه مقوسا ممسكا ببطنه وهو خارج من النوالة .. فقامت وتبعته لتراه يحاول اخراج ما فى جوفه دون جدوى ..

واسرعت نحوه فأمسكت براسه تحاول مساعدته وهو يلهث ويزعق حتى تصل معدته حلقه وتجحظ عيناه ..

وضمته اليها وبكت خوفا عليه وهو يصبرها قائلا : « لا باس ، لا باس » .

وعاد الى فراشه وهى تتمنى لو استطاع ان يفرغ جوفه .. وفكرت بسرعة فخرجت واوقدت النار واغلت الماء وطبخت قليلا من السحتر والفلايو واللويزة والببنوج وغيرها من الاعشاب الطيبة وصفتها فى كاس كبير وجاءت به اليه ..

وحين رفعت راسه على ركبتيها فتح عينيه ونظر اليها دون التعرف عليها .. ولم تحتج لتطلب منه ان يفتح فمه ، فقد كان فاغر الفم واللعاب يتقاطر منه ..

واعادت راسه الى الوسادة ، وخرجت تندب وتجرى بين الاشجار كالمجنونة فى صمت وتضرب افخاذها مولولة فى سرها .

ولم يستيقظ الا بعد ان ايقظته ماماس بعد الظهر .. وحين فتح عينيه نظر حواليه وكأنه فى مكان غريب ،، وحين كلمه ولداه اجاب بتحريك راسه وفمه المفتوح دون كلام .. فظناه يمزح معهما فضحكا ،، ولكن حين طال المزاح ادركا ان شرا غامضا اصاب والدهما فوجما وذهبا يتساءلان من امهما عما أصابه ..

وانتظرت ماماس ان يقوم زوجها بعمل ما ، او يقول شيئا ما فلم يفعل ، وحين كلمته لم يظهر عليه انه فهم ما قالت .. وامسكت بيده واخرجته فتبعها طائعا ،، واجلسته على فرشية فوق دكة النوالة فجلس كالصبى الوليد ينظر حواليه فى تطلع وفضول ويكتشف العالم الجديد ..

ولم ترد ماماس ان تبكى فى محضر طفليها فتجلدت واخرجت الفاس وصاحت بالصغيرين :

ـ تعاليا تساعدانى على سقى الاحواض .. ابوكما عيان اليوم ..

وتنهدت الوالدة مرة اخرى ،، وتوقفت لتترك لى الوقت لاستيعاب الكارثة .. واصبت انا بخدر ووجوم لحظة لا ادرى كم طالت ، حتى نبهتنى الوالدة بقولها :

ـ ولم ندر نحن ما أصاب اعمار الا بعد مرور مدة طويلة ـ فقد انقطعت عنا « ماماس » على غير عادتها ، محاولة اخفاء زلتها عنا .. فقلقنا وخفنا ان تكون قد اصيبت بمكروه ،، وكشفت عن مخاوفى لابيك فذهب يسأل عنها ليعرف سبب انقطاعها ..

وما ان راته ينظر الى اعمار وهو فى تلك الحالة حتى انفجرت باكية ووقعت على قدميه تقبلهما ، وتطلب منه أن يستغفر لها الله على ما فعلت بزوجها وهكذا عرفنا حقيقة القصة .. »

وهنا قلت :

ـ الم تعرضوه على طبيب ؟

فردت : لم نترك به طبيبا هنا وفى العرائش وطنجة دون جدوى .. كان الاوان قد فات ،، وكان الاطباء يقولون انه مصاب بتسمم غريب شل بعض اعصابه .. ولا يمكن ان يعود الى صحته القديمة الا بعد علاج طويل فى مصحة بالخارج ،، وذلك مشكوك فيه ..

وتنهدت انا الآخر قائلا :

ـ مسكينة ماماس !

فاضافت الوالدة :

ـ انها تكفر عن خطيئتها بكل ما تستطيع .. اخذته الى جميع الاولياء والصالحين ، وكتبت له عند

جميع الفقهاء والشرفاء .. وفى النهاية استسلمت لقضاء الله . ووجهت عنايتها نحو الغرسة تزرعها بمساعدة ولديها . وتنزل الى السوق لتبيع محصولها . وتغدق بسخاء على « اعمار » الذى يقضى وقته ساهما فى الفراغ على دكة النوالة .. وفى كل مساء تقبل راسه ويديه وتطلب منه السماح والغفران على خطيئتها العظمى معه . وخصوصا حين علمت ، بعد أن فات الاوان ، انه لم تكن له امراة غيرها . وان سر تأخره بالليل كان يرجع الى لعبه نوعا من القمار يسمى « البنكو » مع جماعة من اصحابه .. وانه كان يكتم عنها ذلك حتى لا تلومه على ما يخسره من اموال .

احمد عبد السلام البقالى



محمد .. هذه حكاية حبي

لشاعر المغرب العربي
الأستاذ مفدي زكرياء

محمد ، والمثل الثائر ،،، ومغناك ، والحسن الثائر
وذكرى عروجك فى رمضا ن ، يقدسها ، يومه العاثر !
وسرك فى صانع المعجزا ت ، يبايعه شعبك الطاهر
وهذى الجحافل تقفو خطا ه ، فيسعدها حظها الباكر
ويجرح كبر الزمان صمودا ، يواكبه المغرب الظافر
وهذه البناءات تخجل هاما ن والصرح ، صناعها ماهر
وهذى النفوس الكبار تسا مى ، يساوقها الامل الزاخر
وهذا الدم المغربى الجد يد يمور به موجه الهادر
وهذى الصحارى ، ترج ابن آوى وينصفها الفلك الدائر
وتحثو على الطامعين الرما ل ، فيرتاع مستهتر فاجر
وهذى المسيرات .. تأتى العجيـ ـب العجاب ، فيعنو لها الناكر
وهذى الاحاديث عن مغرب يضوع بها ذكره العاطر
فتصغى الدنا لتسابيحها يرتلها الوارد الصادر
محمد .. هذى مصادر وحيى تنبأ من قدسها الشاعر
محمد .. هذى حكاية حبى يموج بها الخافق الغائر
وتلك لعمرى خوالج قلبى يوقعها الحسن الثائر
عشقتك ارض الفدا والندى وجنح فى رحبك الخاطر
ومن (وحى اطلسها) صغت شعرا تغنى به الغيب ، والحاضر
وغيض به الارذلون القزامى وابصره الارمد العاثر

* * *

محمد .. غوثا ،، أمانا لقوم دليلهمو تائه حائر
تميل المطامع ، يمنى ، ويسرى بمن مات فى نفسه الزاجر
فما بلغ القوم ـ بعد ـ الفطا م .. ولا انفتح القلب والناظر
ولا ايقظ الخطب ، فيهم ضميرا ولا هز ايمانهم (عاثر) !
يسقوهمو للفنا ، قوم موسى وهم ينظرون .. ولا ناظر !
مذابح .. يندى لها النيرا ن ، ويرثى لها القدر الساخر
وفى المغرب العربى ، يتامى اعزاء ، حظهم عاثر !

نسور .. يسوسهمو ارنب … واسد ، يقودهم دابر
يسومهمو اليوم سوء العذا … ب ، وما قام ناه ولا آمر
شكا الصبر من صبر شعب الفدآ … وضاق به عزمه الخائر
فاين الالى ادهشوا العالميـ … ـن ، واين اباؤهمو القاهر !؟
امن دوخوا حلفها الاطلسـ … ـى ، يدوس رقابهمو الحائر ؟ ؟
وقالوا : استقلت .. فقلت استغلت … وغللها وحشها الكاسر
بجوع بجنات عدن كرام … ويبتز خيراتها الماكر ؟
وينعم بالعيش فيها اللئا … م ، ويغتال احرارها غادر ؟
ويهتك فيها نمام الجوا … ر المناجيد ، ثعبانها الفاغر
ويجحد فضل الشقيق الوفـ … ـى عتل ، بعهد الوفا كافر
حنانيك يا رب .. غوثا لشعب … فانت على نصره قادر
ويا شعب .. ان لم تصن حرمة … فليلك ، ما ان له آخر

***

مثال الرجولة .. نبع الصفآ … ويا ايها الحسن الثائر
اهنيك ـ يا سيدى ـ بالشفآ … فطيف الضنى .. عرض عابر
هزمت المنايا ، وروعت الدنا … وارقها طرفك الساهر
وغالبت هذا الزمان فاحنى … واخجله خده الصاعر
نشق الجذوع .. والق عصاك … تلقف ما يا فك الساحر
وقل للالى لم يزالوا سكارى … ومن فى عمايته سادر :
هلموا والقوا حبالكمو … ففى الحى مقتدر شاطر !
(اذا جاء موسى ، والقى العصا … فقد بطل السحر ، والساحر!!





للشاعر الأستاذ
محمد محمد العلمي

نفحات المسيرة الخضراء … الهمتنا روائع الانشاء

قد كتبنا ، كما سيكتب عنها … فى البرايا فطاحل العلماء

تلك أضواؤها بأبعادها الكبر … ى تثير الاعجاب فى الانحاء

ان تاثيرها العظيم تجلى … فى شعوب الدنيا بغير مراء

حركات التاريخ ترنو اليها … فترى فى الاعماق شمس الذكاء

ان فيها الجواب حرا صريحا … عن سؤال للهمة القعساء :

نبضات الوفاء فى كل قلب .. … نظرات الايمان من كل رائى .

قد قطعنا مراحل الزحف فيها … بنظام وحكمة واهتداء

نحن نعتز بالمسيرة حقا … ونباهى بوجهها الوضاء

دفعتنا محبة الوطن الغا … لى ، فسرنا بنخوة النجباء

واستفاق الوجدان منا كريما … لا يبالى بنقمة الاعداء

عباتنا عقيدة المجد فينا ، … فنهضنا لاضخم الاعباء

فاذا بالتكبير دوى قويا … حيث هز الاكوان بالاصداء

كل سر من ذاتنا قد تحدى … طمع الطامعين والرقباء

والملايين ها هنا فى انبعاث … واتعى من وعيها التلقائى

ان انساننا الكريم شجاع ، … ثابت فى الميدان ، جم العطاء

لغة الصدق عنده حين يصغى … فيلبى للحق خير نداء

قد اطاح الضمير فى كل سعى … دائب للتوحيد أو للبناء

نحن شعب له قيادة عرش … عبقرى الافكار والآراء

وضح الامر ، فالقواعد تهوى … قمة تزدهى بتاج الجلاء

(حسن) البخت قد دعانا لنصر ، … فاستجاب الاله صدق الدعاء

كلنا فى تطوع قد نهضنا … وبلونا فى الله حسن البلاء

نتفانى فى وحدة الوطن الحر … سراعا لمعطيات البقاء :

من شباب مستبشرين بفتح … ورجوع لتلكم الاجزاء ،

وشيوخ فى موكب ، وكهول ، … ورجال ، وصبية ، ونساء ..

كلنا للمليك نحن نداء : … هكذا عندنا سلوك الوفاء !

وصراع الاحداث سر رهيب … نجرته طبيعة الاشياء

لمتى أمة القريحة والبا … س ، ومهد المناقب الحسناء

فالقيادات هـا هنا ناضجـات ،
قـد تجلى كل التفـاهم فيمـا
فـاذا بالخطـاب ينفـذ حتمـا
تتحاشى تمـزقا وانقسامـا :
وعينـا بكشـف الارادة منـا
وارتبطنـا باللـه فى كل سعـى
ان تعبيرنـا بـه كلمات اللـه
محـور السـر نيـة وخشـوع
ان انساننـا النبيـل تـراث
فهـو فى اصلـه سلوك قويم ؛
فى ظـلال القـرآن شيـد مجدا
ومـع الذات قـد اقام حـوارا
وهـو للقـائـد المظفـر جنـد
فالملاييـن فى المسيـرة كـانت
ان ايمـانها دليـل عليهـا ،
حـددت غايـة تسير البهـا ،
واستمـادت من ذاتها نخوة الاصـ
مـن يثق بالاله ما بـاء قطعـا
يفخـر المؤمـن الاصيل بالاشها
من يعش للحيـاة مقتنع القلـ
اننـا فى معـارك المجـد قـوم
بانضبـاط ويقظـة واتحـاد ،
نحـن فى حلـة البساطة نحيـا
ارضنـا نحـن نفتدى كـل شبر
ثقـة الشعب تجعل القائد الشهـ
امتى قـررت ، فسارت أماما ،
وانطباعـات مـن يروم ارتياحا ،
اننـا عـدة العروبة والاسـلا
وشمـار التوحيـد فينا شعـار
نتنـاجـى (الله اكبـر) حبـا
جمعتنـا نـوازع الحق والايمـا
واذا وحـد الجهـاد مصيـرا
ويطيق التمزيق قوم ضعـاف ؛
قد وعينـا مع الوضوح الخفايا ؛
والقيـادات والملايـن اضحت
لغـة الحق فى التحـدث بمث
واذا مـا تنكـر الشخص للذا
ارضنا مهبط البطولـة ، عنهـا
وباشراقنـا قـد ازدهـر الـبر
و (ابن تاشفين) فى الخلود شهيد

وصفاء الوجـدان سر البهـاء ،
بيـن شعبـى والقمـة الشمـاء
لصميـم القلـوب فى الايحـاء
مـا رضينـا الوقوع فى الاخطاء
ويغـذى الحيـاة فى الاحيـاء
وجعلنـا الايمـان رمـز الابـاء
روح فى الفـعـل والايمـاء
فى وصايـا الآبـاء للابنـاء
حـركتـه بـواعث الانتماء
وثبـات فى طبعـه المعطـاء
غمـر العالميـن بالاضـواء
تأتـى النصر طائعا فى انحنـا
ى قـوى فى وحـدة الخلصـاء
حجـة الحـق والهدى والاخـاء
فيـه حققت بلـوغ الرجـاء
وتنـاءت عـن منهـج عشوائى
ل فسارت على سبيـل اهتـداء
بانهـزام ، فـذاك فضل السماء
د حقـا كعـادة الاصفيـاء
ـب تحاشتـه دولـة الارزاء
حققـوا المستحيـل فى الارجـاء
قـد بززنا الجيـوش فى الهيجاء
بانسجـام معيشـة العظماء :
مـن حماها بطاهـرات الدمـاء
ـم ضمينـا للنصـر والعليـاء
وتباهت بالـركض نحو الفـداء
نحـن عنوانها البهـى السنـاء
م ، لم نستكـن لاى اعتـداء
قـد اتانا مـن سيـد الانبيـاء
فى صفـاء العقيـدة الغـراء
ن حـول الشريعـة السمحـاء
كلـل الفـوز همـة العقـلاء
بئس فى الكـون منطق الضعفاء !
فوجدنـا فى الله نبـع ارتـواء
ها هنـا نخبـة مـن الاقويـاء
وامتـداد للنـور فى الارجـاء
ت فقـد نـال لعنة الاشقيـاء
قد روى الدهر معجزات السخاء
بع ، وصدق التاريخ فى الانبـاء
بانتصار (الـزلاقـة) الحمـراء

وامتداد التاريخ سر رهيب   في رجوع الاصالة البيضاء
قدرة نحن في حضارة شعب   بفتوحاته بشير الرخاء
وكذا الامة العظيمة وجدا   ن اصيل مجدد في نقاء
راينا الحق ، اذ يؤكد عنا   ميرجان التاريخ صدق اللقاء
واقتناع الجميع بالحق يغشى   نخبة في قيادة الاذكياء
نعم من هم تطوعوا باختيار   واندفاع في صولة ومضاء !
والضمير الاصيل عملاق نصر   كم له في الجهاد من حلفاء !
نحن نحيا بالمغرب الحر عهدا   كمهود الرشاد للخلفاء
واذا ما اصر عرش وشعب :   باء بالخسر اجمع الدخلاء
في مجال المراهنات اختبار ،   وتحد للخوف والبأساء
فالمعاناة عجلت دون شك   ها هنا باستعادة الصحراء
بنجاح الربان يتجو سفين   في خضم العواصف الهوجاء
حقق الله ما نريد جميعا   باتزان وحكمة واعتناء
رغم كل التناقضات وعينا   فترات المسيرة الخضراء
نجحت امتي بقائدها الوا   عي ، وارتت على ذرى الجوزاء
نتباهى بالرائد (الحسن الثا   ني) المفدى كياسة الرؤساء
واستجبنا له تصدق رؤيا   ه ونروي للدهر احلى رواء :
ثقة في سيادة ، واعتزاز   بعطاء من همة الكرماء
وصفاء الوجدان افضى بعرشي   وبشعبي للانتصار النهائي !
قد حقننا الدماء .. تلك لعمري   روعة في مسيرة العظماء !
معجزات التنظيم تزداد قدرا   بالكتاب المعطر الانفياء
فبنود القرآن فوق الثريا ،   لا تضاهى في عزة وعلاء
واستمدنا ارضا وشانا عظيما   فاذا بالانسان فوق السخاء
واحتضنا كلام رب غيور   ظاهر الباس ، واسع الكبرياء
ومضينا ، والله يرعى خطانا   وبربنا بشائر النعماء
بدخول (العيون) قرت عيون   تتناجى بوحدة الاعضاء
اي شئ للنفس اشهى واحلى   من عيون جميلة حوراء ؟ !
ارضنا ذاتنا ، يوحدنا عهد   التداني من بعد طول التنائي
لا نبالي بمن تنكر للحق ،   وابدى في الحقد شر دهاء
ما رضينا تقرير اي مصير   من خيال البصائر العمياء !
نتحاشى تمزقا وانهزاما   مثلما يرتضيه رهط العداء
لغة الصدق طيبات معا   نيها حسان الاشراق عند الاداء
نحن نحيا ذكرى واية ذكرى   كملت باستعادة الصحراء !
في الاطار القومي نابى انفصالا   عن اصول لنا بدون التواء
ان آمالنا والامنا التقت   على المهد في دروب الرضاء
والدويلات احجيات بعهد   طافح بالآيات والآلاء
سمة الامة الكريمة مفهو   م صريح لطاعة وولاء
لست انسى (خطرى) وقد لبس   السلهام .. اكرم بعزه من رداء !
تلك (بانت سعاد) في شخص(كعب)   قد اعادت سماحة الحلماء
لحظات الجلال فيها جمال   نتباهى بسيد الشفعاء

والرعايا حول الامام تراعى ... نفحاء الوفاء فى الاوفياء

وبتاريخنا الحديث تطفنا ... بمسيرتنا زهور الثناء

خطوات المحكوم والحاكم ارتا ... ح لها القلب فى دروب الهناء

والخطابات من مليك حكيم ... توصيات عميقة الايماء

وطنى شاد وحدته الكبر ... ى بعرش وشعبه البناء

فلنصن مكسب انتصار عظيم ... فى ظلال القرآن نهج النجاء

شعلة الحق اوقدتها شمس ... من ضياء الاسلام خير ضياء

وجزاء الاخلاص فتح مبين ... يلهم المنشدين أحلى الغناء !

محمد بن محمد العلمى — الرباط



الفردوسي

الشاعر العظيم .. أو شهيد المجد

للأستاذ عبد القادر المقدم

ابا الملاحم ! اهديت النهى ! ،، عجبا ! ،، … اتحفت بالفن منه ، الفرس ، والعربا ،،،!

اتيت فيه بالواح مرصعة ،،، … ابن اللالىء ، مما الوحى قد وهبا ،،،!

ملكت من سطوة الالهام ، ما عجزت … عن مثله ، همم ، دانت له حقبا

كانما الفن ، آلى ان تكون له ،،، … عرائس ، دون ان تغدو ، لهن ابا ،،!

بلغت فى انته ، شأوا ، له الق ،، … سبحان من ، للمعنى ، يرفع الحجبا ،،!

حلقت من افق ، توقا الى افق ، … منقبا ، تتوخى ، للعلا قربا ،،،

والمجد يرقب ، من بعد ، مواكبه … وانت ، فيما تعانى ، ترهب الرقبا ،،،

وانت ، من ضرم الاشواق ، فى كبد ، … ولا تكاد ترى ، للعين مكتئبا

والسادرون بما هم فيه ، من ترف ، … من الاكابر ، لا يرعون ، منقلبا

كانهم ، من عوادى الدهر ، فى حرس … يقيهم ، فى اعتداد ، منهم وصبا

فلم تزل ، ترقب الاحداث ، عن كثب … والدهر ، بات ، يرى ما كنت مرتقبا

كانه ، منك فى هم ، يكابده ، … فى منتهى الحرص ، يخشى فيك محتسبا

وانت ، فيما تدارى ، من مكابده ، … ادهى ، تماكره ، اذ تحذر الريبا !

تفتن فى لم اشتات النهى ، حذرا ،، … غب التباع ، سرى ، فى القلب ، ملتهبا

وصرت فيه ، اماما ، لا يطاوله ، … فى شأوه ، من غدا بالفن ، مكتسبا

طلبت غايا تناهت ، فى مناعتها … والروح ، اما تسامت ، تسبق الشهبا

وبينما كانت الآمال ، جامحة … من الالى ، عبدوا الدينار ، واللقبا ،،،

الهيتهم ، بانطواء منك مصطنع ،،، … ورحت تضرب فى الآفاق ، مغتربا

نبذت ، ما الفوا من فنهم ، كلفا ، … بما يحقق من اهوائهم ، رغبا

واستحوذت منك آمال ، مجنحة … على حجاك ، الذى ادنى ، لك السببا

لتدرك المتنبى ، فى الفن ، مرتفعا ، … اولاك ، تاج النهى ، كى تحكم النجبا !

وبت ، تسخر ، من اسمى ملاحمهم ، … كانك ، الحكم الاعلى ، بما كتبا

ابدعت آيا ، تسامت فى روائعها ، … ترنو ، اليها عيون ، تشهد العجبا

ملامح الفن ، فيها جد باهرة ، … وسطوة السحر ، منها تحرز الغلبا

تصور الملك فى ابهى مواكبه ، … وتجعل الدهر ، يعنو للذى غلبا

* * *

جحافل تتلاقى فى مواقعها | تراود النصر ، أو تستوقد اللجبا
ترمى المدى فى التحام جد محتدم | بما يهز الثرى ، أو يبعث الرهبا
شأن احتدام الوغى ، يبدو له جزع | على الفوارس ، انى ترهب الشغبا
حيث الشجاعة ، تلقى من خوارقها | سوانحا ، تتخطى الريح ، والسحبا

* * *

والنصر يختال ، فى اعطافه صلفا | والظن يلعب ، بالالباب ما لعبا
والواهبون له أرواحهم ، وقفوا | يستمطرون رضاه ، كلما وقبا

* * *

كلا الفريقين ، مدحور ومنتصر ، | والزحف ، يبدو بعد الفور مضطربا

* * *

والفن يرقب عن ناى وعن كثب | من فاز بالنصر ، أو من ساء منقلبا

* * *

من بات فى حيز التاريخ يرفعه | آنا ، وينزله آنا بما كسبا
والفن كالحرب ، فى شأو ، وفى اثر | كلاهما ، للمعانى ، يدعى نسبا
كل ، يروم ، ضحايا فى ملاحمه | ومخطىء ، من تحدى القول ، او عتبا
الحرب ، تلتهم ، الارواح ، فى نهم | والفن ، يطلب ، أعمارا له ، حطبا
والمجد ، يوقدها ، حمراء ، حامية | وليس يمنح ، الا ، من شاى وخبا

* * *

ياملهم الفرس ، فى اسنى حضارتهم | مناهل الفن ، كنت النجم محتجبا
تحيا ، حياتهم ، فيما تلابسه | من الشؤن ، وتخفى عنهم ، أربا
يسمو ، على أرب الانداد ، فى نسق | كان فى روحك الاسمى ، سنى خلبا
« شهنامك » ، الدرة القعساء ما لمعت | الا ، لانك فيها السر ، منتقبا
فردوسك الرحب ، يزهو فى تالقه ، | روض المحاسن فيه ، يكشف الكربا
وعرسك الشعر تعطى فى وليمته | انقى ، من الراح ، ما أحيا ، وما عذبا

* * *

شيدته حرما ، تحمى به حرما | للفن ، للفكر ، للصادى اذا شربا
للروح اهديتها كاسا مشعشعة | لن تظما الروح للالهام منسكبا
لا تظلم الروح ، والآمال مشرقة | لا يظما القلب ، اذ وافاه ما رغبا
لا يشتكى القلب ، من دنياه هرما | ما دام يالم ، ملتذا ، ومنجذبا
لا يصدق الشيب ، فى ارجاء مفرقه | به يكذب الشيب فيه ، ما هفا ، وصبا
لا يهرم الشاعر المطبوع فى غده | بل ، يستمد الصبا ، طوعا ومنتهبا
ان بات منجذبا ، للحسن فى وله | فما أتى ، غير ما فى طبعه انسكبا

* * *

خلوا السبيل له ، وادعوا لكم سببا | فما ارى ، فى الهوى عيبا ولا صخبا
وادعوا له سحرا ، وادعوا له غسقا | وكيفما بان ، مهتما ، ومنسحبا
فهو الذى يغرس الآمال ، زاهية | ويبعث الشوق حيا ، حيثما ذهبا

الشوق ، للحسن ، للاخلاق ، رائقة ،   تهوى العلا ، ابدا ، طبعا ، ومكتسبا

فهو الذى جعل الاسباب ، رابطة   بين الاواصر ، قدما ، يشعر القربا

تلك الاواصر ، من دين ، ومن قيم   ها نحن ، مع شاعر ، اثرى لنا الادبا

* * *

. ابا العرائس ادعوه ، وارمقه   فوق الملاحم ، مرقى دام مرتقبا

من يوم كنت صبيا ، وهو لى مثل   كم ذا ، اناجيه ، بدرا يلهم الاربا

* * *



الحشرات الغريبة

للشاعر الاستاذ

المدنى الحمراوي

« حشرات » من الانام خسائس   آثرت أن تكون مثل « الخنافس »

تتزيى بكل زى غريب   لهواها مشاكل ومجانس

ظهرت كالوباء عم فاعيى   كل آس ، فما يصده حابس

كل خزى فى عرفهم مستباح   والنفايات عندهم كالنفائس

بالخنا والفجور تزخر — أثما —   حلق من جموعهم ومجالس

وبما يملأ العيون عوارا   بنبرى واقف وماش وجالس

ارسلوا منى شعورهم كل سبط   يتدلى على رقاب نواكس

تتراءى الوانه بين شقر   بين صفر ، وبين سود دوامس

(ولحى أعفيت فصارت ذيولا   وسبالا كأنهن مكانس)

لم تر العين للمحيا ذنابى (1)   قط حتى اتى رواد المناجس

فوق اذقانهم تدلت لحاهم   كالمخالى معلقات نوائس (2)

ما ارادوا بها وقارا ولكن   هى فيهم سخافة ووساوس

مثلما ضيقوا السراويل طرا   وغدا بعضهم يطيل القلانس

ومشى بعضهم حفاة ، والقى   بعضهم فوق منكبيه طنافس

وارتدى بعضهم جلودا ، وامسى   بعض ذكر انهم بزى العرائس

وغدت من اناثهم من تحاكى   ذكرا فى جهامة وملابس

عكسوا كل عادة بصنوف   من شذوذ جميعها متعاكس

نبذوا شرعة الحياة وصاروا   يتقصونها بوحى الهواجس

وتراهم مثل الانام ولكن   فى طباع من الوحوش الشوامس

اطلقوا للنفوس كل عنان   به كانت عن الفجور حبائس

فهم الغائصون فى كل ضحل   من وخيم ومن رطيب ويابس

وهم الوالجون فى كل غار   اجن من مستنقعات المغاطس

وهم الضاربون فى كل ارض   ووجار ، وفى كهوف الحنادس

وهم الهائمون فى كل مقع   فى جموع متيهات روامس (3).

---

(1) الذنابى : ذنب الطائر .

(2) نوائس : متدلية متحركة .

(3) الروامس : طيور الليل ودوابه .

وهـم الهـائمـون فى كـل صقـع | آهـل ، او بـلاقـع وطـوامس
كرعـاة تـراهمـوا او قسـوس | او كجيش مفلـل الجمـع يـائس

* *

ليت شعـرى مـاذا تكـن الطوايـا | منهمـو مـن مكايـد ودسـائس ؟
اى سـر بـه تكثـر جمـع | همجـى لـه عميـد وسـائس ؟
لا ارى هـذه اللجـاجـة عفـوا | خلف كل الذى تـراه رمـائس (4)
ان قـومـا تحـامقـوا ونهـاهـم | ترعت انجما وقعـر القـوامس (5)
لجـديـر بنـا حـذار شبـاك | نصبـوهـا لـوارد او لقـابس
عـودونـا مـن المغـالط شتـى | لـم تـزل عبـرة لـراع ودارس
اوقعـوا كـل غـافـل مستنيم | فى فخـاخ لهم رقاق لـواحس (6)
ثـم مـالت عليـه منهـم تيـوب | واظافيـر فـاتكـات فـوارس
كم ضحـايـا لهـا ، وكم من جريح | لـم يـزل مثخنا ، وكـم من فرائس
ان للغـرب ـ منذ دهـر طويل ـ | خططـا خطهـا دهـاة ابـالس
بيتـت للشعـوب مكـرا مسيئـا | عرقـل الخطو ، واستزل المنافس
يتصـدى لهـا علـى كـل نهـج | وعلـى كـل معبـر ـ ويعـافس
ويـح من غره مـن الغرب جفـن | هـو صـاح وظـن انـه ناعـس
ليس للغـرب راحـة او خمـود | مـا راى للقـرآن فينـا مـدارس
مـا راى ديننـا يمـد ظـلالا | وينيـل الانـام نـور المقابـس
مـا راى العرب يبعثـون تـراثـا | لـم يـزل منه واجف القلب واجس

* *

يـا شبـاب البـلاد فى كـل قطـر | عربـى وسلـم ، يـا اوانـس :
انظـروا ؛ واحـذروا سفالة قـوم | جعلـوهـا وسيلـة ومـلامـس
لا تقـولـوا : مجـازفون غـواة | اضجـرتهـم حضـارة وكنـائس
فتنـادوا الى البطـالـة دفعـا | مـن شذوذ مخـالط ومـلابـس
انمـا هـم مهيـأون دعـاة | دربتهـم محـافـل واكـارس (7)
وغـزاة سلاحهم « علـم نفـس » | لا سـلاح مـن اسيـف ومهـارس
يئس الغـرب مـن سـلاح كثيـر | لـم يحقـق لـه جميـع اللمـائس
فانبـرى يبـدع السـلاح جـديدا | مـن سلـوك مؤثـر الوحى هامس
ويحنـا منـه ! ويلـه مـن عنيـد | لم يشأ هدنـة ، ولا هـو آيـس

الرباط ـ المدنى الحمراوى

---

(4) الرمائس : الدفائن والمخبآت .
(5) القوامس : معظم ماء البحر .
(6) اللواحس : الشدائد .
(7) الاكارس : الجمـاعـات .

المغرب يحتفل بذكرى الهجرة النبوية في ظل:

الوحدة والتكافل والشورى

احتفل المغرب بذكرى هجرة الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة . وقد عبر الشعب المغربي بهذه المناسبة عن تعلقه المتين بالاسلام والتزامه بمبادئه بمشاركته في المهرجانات والحفلات الدينية التي نظمتها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية سواء في عاصمة المملكة او في جميع الاقاليم المغربية بما في ذلك المناطق الصحراوية المسترجعة.

وتقبل أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله بهذه المناسبة الاسلامية الخالدة تهاني القوات المسلحة الملكية بجميع فصائلها كما تلقى العاهل الكريم برقيات مماثلة من مختلف الهيئات والمنظمات وافراد شعبه المؤمن .

وشاركت اجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزة في احياء هذه الذكرى المجيدة بما قدمته من مقالات واحاديث وندوات حول مغزى الهجرة ومراميها وانعكاساتها على مسيرة الدعوة الاسلامية .

وتميزت احتفالات هذه السنة بالهجرة النبوية بالحفل الديني الكبير الذي ترأسه السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في مسجد السنة بالرباط وحضره بعض اعضاء حكومة صاحب الجلالة وعامل الرباط وسلا والعلماء وكبار الشخصيات المثقفة وجمهور غفير من المؤمنين والمؤمنات .

والقى السيد الوزير بالمناسبة كلمة مركزة ربطت بين الهجرة النبوية والمسيرة الخضراء المباركة التي قادها وخطط لها سبط المهاجر الاول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم . هذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامين و على آله وصحبه اجمعين

اصحاب المعالي الوزراء ،،

اصحاب الفضيلة العلماء ،،

ايها السادة ،،

تخلد هذه الايام الغراء ، النيرة الوضاءة ، ذكرى حدثمن اجل ما يحتفل به المسلمون من احداث تاريخهم المجيد ، ومن ابرز ما يتألق به سجل هذا التاريخ من معالم ، وما يعتز به من سامي المعاني ، ورفيع الدلالات ،،

انحدث الهجرة النبوية الشريفة ، الذي منه انطلق تاريخنا الهجري ، واكرمبه واعظم من حدث فصل ما بين مرحلة الصبر والصعود في حياة المسلمين الاول ، يوم لم يكن لهم الا ان يصبروا على اذى اهل الشرك والضلال ، ويصمدوا لطغيانهم وعدوانيتهم ، وبين المرحلة الجديدة التي اصبح فيها المسلمون اقوياء بعدتهم وعددهم ، بقدرما هم اقوياء بايمانهم وعزيمتهم ، قادرين على حماية المجتمع المثالي الذي اقاموه ، مجتمع الايمان والفضيلة ، والدفاع عن حوزته ، والرد الصارم الرادع، على المناوئين والكائدين والمعتدين ،،

حدث خرجت به الدعوة المحمدية من الافق الذي حاول اعداء الدين انيحاصروها فيه ، ويطوقوا اشعاعها كي لا ينفذ منه ـ خرجت الى ءافاق اخرى ، حيث وجدت المنطلق الحر لبث هديها ، وتعزيز صفوف حماتها ، والتمكين لهم في خاتمة المطاف من دخول البيت الحرام منتصرين ءامنين مطمئنين ، وتطهير هذا البيت من رجس الطاغوت والاثم والعدوان ،،

حدث اتخذت به كلمة الله سبيلها ءالى حيث تفتحت لها ءافاق العالم الفسيح ، وتسلسل نورها الهادي عبر الزمان والمكان ، لينفذ الى كافة الاصقاع والامصار، ويبلغ شتى الطوائف والاجيال ،،

حدث ، ليس في تاريخ البشرية نظيره او معادله ذلك انه امر معجز اوتيه نبي اصطفاه الله لاعظم رسالة اصطفى لها بشرا ، واولاه سبحانه من الاسرار والايات ما كان حريا ان يحيل الى نوركل ركامات الجهالة المخيمة على الانسان في عصوره المظلمة ، ويضيء قلبه ووجدانه بنور الهداية والمحبة والرحمة ليجعل منه انسانا مكرما متفتحا متحضرا متعطشا الى العلم و المعرفة ،،

تهل على العالم الاسلامي ، اطلالة هذه الذكرى ، ذات المعنى العظيم والمغزى العميق ، وما تحمله من اسمى الدلالات ، وما تزخر به من اجمل العبر والايحاءات فيشرق بها وجه الحياة في ربوعهم ، كاروع ما اشرق لهاوجه ، وتتالق ءافاقهم بنورانيتها الخالدة ، وتثري مفاهيمهم ومداركهم بماتحليه لهم من معان ، وما تعرضه عليهم من امثولات ،،

تهل هذه الذكرى والشعوب الاسلامية ـ تواجه من التحديات ـ الفكرية والثقافية و السياسية والاقتصادية ما تعددت مصادره واختلفت اشكاله وملابساته، وتخوض [illegible] اجل استعادة مكانتها ، اثبات وجودها وشخصيتها ، وصيانة مثلها وقيمها ، وتعزيز دورها كأمة ذات رسالة خالدة ساهمت بما قدمته من مثل عليا وعلوم رائدة ، في تقدم الانسانية جمعاء ،،

ان هذه الشعوب الاسلامية ـ وهي تواجه هذه التحديات ، لتحتاج اليوم الى ان تستمد من عقيدتها المزيد من صلابة الارادة ، ومتانة العزم ، وصفاء الرؤية ، ووضوح الهدف ، والثقة بالنفس ، وفوق هذا كله ومن اجله ، رسوخ الايمان ، اذا على هذا الايمان المدار الاساسي فيما يتعين ان يتوفر لها من طاقة وحول في معاركها ضد التفرقة والتخلف ، وماتسعى لتحصيله في جهادها المتواصل من عزة وتقدم وتحرر ،،

فعسى ان يجد هذا المجتمع دائما في حدث الهجرة النبوية الكريمة ، وفي الجهاد الذي خاضه اهل الصدر الاول ـ زادا خلقيا رفيعا لن يخيب في مسعى من اعتمد عليه ، ولن يهزم في معركة من استرفده او اتخذ من قبسه قدوته ،،

وفي مناخ فكري ، كالمناخ الذي تعيشه المجتمعات المعاصرة الواقعة تحت تاثير الانفصام عن مثلها وتراثها واصالتها ـ نتيجة لطغيان الفكر المادي على وجهتها في السلوك والتفكير يعاني الشباب في كثير من قطاعاته ـ حالة من الحيرة والارتباك الذهبي لاقرار لهما ، بعد ان كادت شعلة الامل تخبو في محيط حياته واذلهم افقه بعوامل الحيرة والشك وضعفت ـ بالتالي ـ مناعته ازاء مختلف التيارات التي تجتاحه ، وصار يبدو مشدوها امام الحياة يتساءل اين مسلكه الصحيح فيها ، والى اين يتجه به السبيل،،

وهذه ظاهرة مرضية بالنسبة للمجتمعات التي ابتليت بطغيان الفكر المادي وفلسفته الالحادية، فصارت تعاني من ءاثاره على استقرارها النفسي و المجتمعي وسلامة نظرتها الى الحياة ،،

وقد حمل الاستعمار الى البلدان الاسلامية ، في غمرة تسلطه عليها ، بعض عناصر انحرافاته الفكرية هذه ، فالمدرسة العلمانية مثلا ، بما تحمله من افكار الالحاد والتحلل، لا تزال سائرة في مخططها الرامي الى ادخال الشك واثارة البلبلة في نفوس ابناء الامة الاسلامية الذي ارادت لهم ظروف الاستعمار ان يتعلموا على يدها ،،

على ان العمل معقود على شبيبتنا ـ ولله الحمد ـ ان يكون لها من مقومات انتمائها الروحي والفكري ، والحضاري ، بما يرتكز عليه من مثل دينية وخلقية ،

ما يجعلها بمناى مطلق عن مثل هذه السلبيات الهدامة ويحفظ لها توازنها الروحي والفكري والوجداني الذي به قوام عبقريتها الخلاقة المنتجة ، ويصون عقلها عن عبثية النظريات الجاهرة و طفيليات الافكار المستوردة ، المغلفة احيانا ببهرجة عقلانية مفتعلة ، تخفي – في قرائح – سموما ناقعة

ان مجتمعنا – والفضل لله – لمجتمع الايمان والاصالة والمروءة الفكرية وذلك مما اهله لتسلم زمام قيادة التاريخ ، على مر الزمن ، ومكنه من استقطاب السياسة والعلم والتقدم الحضاري ،بهذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي ،،

ولم يكن لكل هذه الصفات الحميدة ان تتاتى لهذه الامة ، الا بفضل ايمانها بمثلها وقيمها ، واعدائها – فيما تأخذ به اوتذره – باشعاع تراثها القيم ، المنحدر اليها من تاريخها الاسلامي العريق الاصيل ،،

وقد ضربت بلادنا – تحت قيادة ملكها الهمام ، وقائدها الرائد ، مولانا امير المؤمنين الحسن الثاني نصره الله – اروع الامثلة في الاستلهام من التراث الجهادي الاسلامي ، والاقتباس من مشكاته ، فانـدرج ابناؤها ، استجابة لنداء امامهم المطاع في صفوف المسيرة الخضراء ، لاحقاق حق بلادهم ، ولم شملهم ، بمواطنيهم ، سلاحهم في ذلك – مثلما كان سلفهم الصالح ايمانهم القوي وعزيمتهم التي لاتلين ، ومقتداهم سيرة من سبقهم على درب الجهاد ، فيما سجله اولئك الغر الميامين من امثلة نادرة في الصبر والصمود في معاركهم الجهادية ، وما خلدوه من صور بليغة الدلالة على عظمة الايمان الذي استلهموا منه قوة ارادتهم ، واستنهضوا به هممهم ، على تحقيق ما حققوه من نصر وما سجلوه من تفوق في مختلف المجالات ،،

كان لابد لهذه البلاد التي ظلت على مدى تاريخها الطويل – قلعة الاسلام المنيعة في هذا الجناح الغربي للعالم الاسلامي ، وحصنه الحصين ، ومؤتمن قيمه الثقافية والحضارية ، ومحور الدفاع عن تراثه ومثالياته كان لابد لها ان تنتصر في المسيرة التي استرجعت بها حقها ووحدت شملها ودحرت اباطيل الخصم ومناوراته في سائر الميادين ،،

وتتواصل هذه المسيرة الظافرة في مجالات البناء و التشييد والانجاز ، قوامها الايمان بالله والتمسك بحبل دينه المتين ،، وسبيلها الاخلاص في العمل ،، ومثاليتها الاخوة الاسلامية الصادقة ، والتظافر على ما فيه الخير والفلاح لهذا الوطن ولكافة ابنائه ،،

ابقى الله مولانا امير المؤمنين قائد الامة ، ومحقق وحدتها وراعي سيادتها منار لهذا الوطن يعلي صرح امجاده ، ويرسخ على هدى من الايمان واليقين دعائم نهضته وتقدمه ، وحفظه في سمو الامير الجليل ، ولي العهد سيدي محمد ، وصنوه السعيد الامير مولاي رشيد وكافة افراد الاسرة الملكية الشريفة انه سميع الدعاء ،،

والسلام عليكم ورحمة الله

تقرير من جمعية المسلمين بكندا عن :

صورة الاسلام فى الكتب المدرسية لمقاطعة انتاريو بكندا .

* اصدرت جمعية المسلمين بكندا تقريرا عنوانه «صورة الاسلام فى الكتب المدرسية لمقاطعة انتاريو» يتضمن هذا التقرير الوثائقى عديدا من الاساليب التى تستعمل فى المدارس والتى تهجم على الاسلام وتلصق التهم المزرية لشخص الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

وهذا عدد من لامثلة فى التقرير السالف ذكره :

«لقد اصابت الرسول (صلى الله عليه وسلم) نوبات كآبة حادة وهستريا جنونية وكان منذ طفولته معرضا لتشنجات غامضة بدا من خلالها وكأنه يحاول التعبير عن افكار دينية · وتدريجيا بدا يعتقد ان هذه هى وسيلة الله فى التحدث اليه ·»

(صفحة 362 من كتاب **عبدة اصنام الماضى** تأليف جون تورمان والناشر هو مجرد هل / رايوسون سنة 1965) ·

«برغم من ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يكن لديه ادنى فهم للاديان فان المسيحية واليهودية قد اثرتا عليه تأثيرا عميقا»

(صفحة 121 **جذور الحاضر** تاليف د ، و ، ايرال نشر بواسطة بتمان 1968) ·

«كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) على استعداد لان يكون قاسيا وغادرا اذا تطابق ذلك مع اغراضه ، ، ، ،» ·

(صفحة 284 — 285 **نهضة الحضارة الغربية** تأليف كروك شانك مزيف وبوزنو نشر بواسطة لونجمان 1965) ·

(صفحة 96 ، **غربا فى اتجاه اسيا** تأليف هيلدا براند وكلى ، الناشر هولت ر ينهارت ونستون 1969)

«لقد تحقق محمد (صلى الله عليه وسلم) من استحالة الوصول الى نوع من الوفاق الدينى مع المسيحية واليهودية تلكما الديانتان اللتان حاول ان يدمجهما فى دينه» ·

(صفحة 322 ، **رحلة الى الماضى** تأليف هاردى وجلوين تموثى الناشر ماكليلاند ستوارت 1965) .

علاوة على تعرية كل هذه المغالطات والتزيفات والتحيزات التى تظهر فى كتب مقاطعة انتاريو المدرسية فان تقريرها يحلل المذكرة التى كتبها الاستاذان

«كيني» و «بلاكبين» استذا الدراسات الاسلامية بجامعة تورونتو

ومن المفروض ان تكون مذكرة هذين الاستاذين محاولة اخرى لتقيم مدى التحيز والتشويه المحيط بالاسلام والشرق الاوسط فى الكتب المدرسية · وبرغم انهما فحصا نفس الكتب التى حللناها فى تقريرنا ، فانهما فشلا فى نقد العبارات المذكورة آنفا ، المعادية للاسلام والمناوئة له · وكما انهما ادخلا اخطاء وتزويرات من عندهما محاولين تمريرها كحقائق وعلى سبيل المثال واليك صورة من هذا التلاعب :

(الكتاب المدرسي) صفحة 224 «تأسيس الغرب» (تاليف «نيتشويك ولكسن وكيرنز» الناشر كلارك اروين 1963) ·

«بعد عشرين سنة من وفاة محمد جمع صديقه الاول وخليفته ابوبكر الوحى ونظمه ثم ظهر بعدها بقليل كنسخة رسمية من القرآن الذى لم يتغير حتى وقتنا هذا»

هاك رذكين / بلاكبيرن :

ان المؤلفين قد اختلط عليهما امر ابى بكر الخليفة الاول بعثمان الخليفة الثالث الذى نسخ فى عهده ·

انهما يحاولان نسف صحة مصدر القرآن ، وعملهما هذا لا يمكن ان يمر بدون معارضة او نقد ، ولا يمكن لأى مسلم ان يتقبل تلك التشويهات التى ابتدعها كينى وبلاكبون ·

ولسوء الحظ تتوقع وزارة المعارف الكندية من المسلمين أن يتقبلوا مثل هذه الكتب كمصادر موثوق بها فى الشؤون الاسلامية .

ارسلت نسخة من التقرير الذى اعدته جمعية المسلمين بكندا الى توماس ويلز بوزارة التعليم ، ومرت عشرة شهور لم تحرك الوزارة خلالها ساكنا بخصوص المشاكل التى اشار اليها تقريرنا ، لعشرة شهور رفضوا مقابلة مندوبى جمعيتنا ·

واخيرا وافقوا على الاجتماع بنا نتيجة الضغوط الشديدة التى فرضت عليهم من قبل هيئات عديدة مثل وسيط الحكومة المحلية بأنتاريو ولجنة حقوق الانسان

ولسوء الحظ رفض مسؤولو «الوزارة الدخول فى مباحثات جدية خلال هذه الاجتماعات وحاولوا القاء الغموض على المسائل الرئيسية وتجنب المسؤولية تجاه التزيفات الموجودة فى الكتب المدرسية التى اقروها ·

لمدة عشرة شهور رفضوا التعاون مع جمعية المسلمين بكندا ·

الوعد الوحيد الذى تلقاه هو انهم سيكتبون خطابات الى الناشرين . حتى هذا الوعد الوحيد لم يحافظوا» عليه · نعلم ذلك لاننا اتصلنا بالناشرين ولم نجد احدا قد استلم اخطارا من وزارة التعليم عن تقريرنا ·

وعلاوة على ذلك ارسل بعض الناشرين خطابات الى جمعيتنا مؤكدين عدم محافظة الوزارة على وعدها ·

يمكن تلخيص نص الوزارة بهذه العبارة التى تظهر فى خطاب السيد وليم فليك «مدير قسم تطوير المناهج بالوزارة» والى الدكتور قدير بك «رئيس جمعية المسلمين بكندا» :لا ننوى ازالة الكتب المقررة تلك الكتب التى ذكرت فى التقرير الذى وصل الى الوزير ، بسبب الامور التى اشرتم اليها فقط»

وبمعنى آخر اقر مسؤولو وزارة التعليم كتبا تطعن فى الاسلام والرسول (صلى الله عليه وسلم) وبرغم علمهم ان هذا البهتان يحط من قدر العقيدة الاسلامية ويؤذى مشاعر المسلمين لكونه مليئا بالاخطاء والتزوير .

وليس هذا فقط ، بل انهم حاولوا ايضا بث بعض الارتباك وشق صفوف الجالية المسلمة بنشر معلومات مزورة عن موضوع هذه الكتب فى دور النشر والصحافة ، يتراوح تشويههم ما بين اعتبار هذا الامر وكأنه «حذلقات لاهوتية» الى نسب تصريحات ملفقة فى «تورونتو ستار» للدكتور ببح ، تلك التصريحات التى تخلق البلبلة بين صفوف الجالية المسلمة فى تورونتو وانتاريو

يجب على الانسان ان يحتاط من الذين

الجالية المسلمة من اجل المحافظة على مصالحهم وتجنب ازالة تلك الكتب المدرسية المضللة .

ان جمعية المسلمين ستأخذ على عاتقها البحث عن حل مرض لشكايات المسلمين الخاصة بصورة الاسلام فى كتب اونتارو المدرسية ولكنه من المهم ان تظهر الجالية المسلمة تضامنها .

ان صمتهم فى هذه الحالة سيسمح باستمرار الاهانات التى توجه الى الرسول (صلى الله عليه وسلم)

تحدى دكتور تدير بك وزارة التعليم ان تجد مسلما واحدا لايؤيد تقرير جماعة المسلمين ولكن التحدى بقى بدون اجابة حتى الان . ومع ذلك فانه من الضرورى ان نقدم البراهين على تضامن الجالية المسلمة .

ان المواد التى تدرس عن الاسلام فى كتب مقاطعة انتاريو مليئة بالاهانات التى يمكن أن تزعزع ايمان اطفالنا . ليست هذه المعلومات مجرد «تخذلقات لاهوتية» كما تحاول الوزارة أن تصورها للناس فى اونتاريو . بل انها تحتوى على اتهامات باطلة وتزويرات خطيرة .

واجبكم حماية اطفالكم المسلمين سواء كانوا ابناءكم او ابناء غيركم من هذه الدعاوى الباطلة والمواد الكاذبة .

قال الله تعالى :

«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير»

+ + +

المؤتمر الجغرافى الاسلامى

* بدأ الاعداد لعقد المؤتمر الجغرافى الاسلامى الاول بمدينة الرياض . وسيدعى الى هذا المؤتمر الجغرافيون الاسلاميون من ارجاء العالم الاسلامى ليتعارفوا ويتعاونوا على التعريف بالعالم الاسلامى المعاصر . وقد رأت اللجنة التحضيرية للمؤتمر ان تكون رؤوس الموضوعات التى يتناولها المؤتمرون بالدراسة

ـ الواقع الجغرافى للعالم الاسلامى المعاصر .

ـ التراث الجغرافى : احياؤه ونشره

ـ الجغرافيون المسلمون وآثارهم ومناهجهم فى الوصول الى الحقائق الجغرافية ودورهم فى نهضة علم الجغرافيا .

ـ دراسة الاقليات الاسلامية فى العالم

ـ التكامل الاقتصادى للعالم الاسلامى ووسائل تحقيقه

ـ توجيه تعليم الجغرافيا والتاليف فيها وجهة اسلامية . .

+ + +

175 فرعا لاتحاد الطلاب المسلمين فى امريكا

* بلغ عدد فروع اتحاد الطلاب المسلمين فى امريكا وكندا 175 فرعا فى أمهات المدن الامريكية التى توجد فيها جامعات وزاد عدد الطلاب المسلمين على مائتى الف (200٬000) طالب وطالبة .

+ + +

من مخططات التبشير فى العالم الاسلامى

* تتصاعد نشاطات الارساليات المسيحية فى العالم وقد اعرب زعماء الحركات التبشيرية ، عن آمال جديدة فى العالم الاسلامى ، فصرح الاسقف ماسى ، المسؤول عن النشاط التبشيرى فى 27 دولة فى الشرق الاوسط من المغرب الى باكستان ، بمقره فى ايران ، ان المنهج الغربى للتعليم ، الذى يبث الشكوك فى المعتقدات ويحث على التفكير الحر ، احدث فى الشباب العربى والاسلامى لاول مرة تساؤلات عن دينهم ، وبذلك نجد ان العالم الاسلامى ينفتح لنا ، واضاف قائلا : اننا لا نستطيع فى ايران ، حيث يبلغ عدد المسلمين 99 ٪ ان نعقد اجتماعات عامة مكشوفة ، كما نستطيع ان نعقدها فى امريكا ، ولذلك ليس امامنا بديل الا اتخاذ طريقة التبشير بالانجيل .

وصرح زهير الدين المبشر الباكستانى بأن تلميم

لامرنا ، وممارسة النشاط التبشيري في البيئات المجرسية ، فنعالج هذا الوضع بالتبشير بالانجيل .

وصرح المبشر ماسي أن هناك عدة عوامل تساعدنا على نشر تعاليمنا منها : نظرية العفو العام بعد الممات بدلا من فكرة التوازن بين الخير والشر ، التنبؤ بانتهاء هذا العالم الذي لا يوجد له نظير في الاسلام ».

+ + +

مسجد جديد ببلجيكا

* عرض اعضاء المركز الاسلامي والثقافي فيبلجيكا على جلالة الملك خالد بن عبد العزيز عاهل السعودية خلال استقباله لهم نموذجا للمسجد والمركز الاسلامي الذي يقام ، في بروكسل ، ويقوم الملك خالد بانجازه ، وكان المغفور له الملك فيصل قد تكفل ببنائه . وقد بدأ العمل فيه في اكتوبر من عام 1975 ومساحته 6 الاف و200 متر مربع .

+++

اقرار اللغة العربية في منظمة التغذية

* صادق المؤتمر الثالث عشر للمنظمة الدولية للتغذية والزراعة الذي اجتمع مؤخرا بتونس على استخدام اللغة العربية كلغة رسمية في المنظمة الى جانب اللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية .

+++

«شباب الاسلام» مجلة جديدة في يوغوسلافيا

* أصدر اتحاد الطلبة المسلمين في شرق اوربا مجلة تهتم بالاسلام والمسلمين وقضاياهم في يوغوسلافيا .

اسم المجلة «شباب الاسلام » وهذه بادرة حميدة ستعيد لتلك الديار الاوروبية نور الاسلام وتجدد شبابه بها

+++

الوقف الاسلامي في بريطانيا

* تأسست في لندن «هيئة الوقف التعليمي للمسلمين في بريطانيا » ومهمتها الاساسية تزويد المدارس في انجلترا بمدرسين مسلمين لتدريس الدين الاسلامي لاطفال المسلمين واعداد ونشر الكتب والمطبوعات عن الاسلام والتصدي للحملات المختلفة ضد عقيدته .



فهرس
العدد العاشر السنة -17-

الافتتاحية : من هنا نبدأ 1

دراسات اسلامية

اصول السلفية المعاصرة .... للاستاذ : حسن السائح 7
ارتسامات عن المؤتمر الاسلامي العالمي .... للاستاذ : محمد المنوني 10
مؤتمر الفقه الاسلامي .... للاستاذ : الرحالي الفاروقي 17
ملامح العلاج الالهي .... للاستاذ : عبد الحليم عويس 22
من اساليب الحرب الفكرية والنفسية (3) .... للاستاذ : ابو عدنان البوشيخي 28
التحديات التي تواجه التاريخ الاسلامي .... للاستاذ : انور الجندي 32
الاسلام ضرورة حضارية .... للاستاذ : فاروق حمادة 35
القراءات التي تحدث عنها الزمخشري .... للاستاذ : محمد بن عبد العزيز الدباغ 41
اسس التربية الاسلامية .... للدكتور : احمد الشرباصي 47
حقائق ومعجزات كونية في سورة الرعد .... للدكتور : محمد كمال شبانة 57
حول النفي في كلمة الاخلاص .... للاستاذ : عبد القادر العافية 63
الاسلام والنصر (3) .... للواء الركن : محمود شيت خطاب 71
الجالية الاسلامية في اوروبا 77

دراسات مغربية

المسيرة من منظور اخلاقي .... للاستاذ : المهدي البرجالي 83
عدم الانحياز ، الاختيار الذي آمن به المغرب (2) .... للاستاذ : زين العابدين الكتاني 87
مؤرخو الشرفاء .... للاستاذ : عبد القادر الخلادي 92
من اعلام الاندلس : القاضي ابن العربي (7) .... للاستاذ : سعيد اعراب 104
عبد الكريم بن الحسني من خلال رسائله .... للدكتور : عبد الهادي التازي 109
المراكز العلمية في سبتة .... للاستاذ : اسماعيل الخطيب 113

مكتبة دعوة الحق

المرشد الى فهم اشعار العرب .... للاستاذ : محمد بن تاويت 119
المجتمعات الاسلامية في القرن الاول .... عرض : الاستاذ المهدي البرجالي 132
قراءة في الجزء الخامس من التمهيد .... للاستاذ : صلاح الدين ادلبي 137

ديوان المجلة

خطيئة ماماس (قصة) .... للاستاذ : أحمد عبد السلام البقالي 140

محمد هذه حكاية حبي .... للاستاذ : مفدي زكرياء 147

مسيرة عرش وشعب .... للاستاذ : محمد بن محمد العلمي 149

الفردوسي .. شهيد المجد .... للاستاذ : عبد القادر المقدم 135

الحشرات العربية .... للاستاذ : المدني الحمراوي 156

من نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

الوحدة والتكافل والشورى 160

شهريات العالم الاسلامي 163

شهريات الفكر والادب 167


الفهرس العام
للسنة 17 من دعوة الحق



الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
عبد الكريم التواتى	على قبر الملك الصالح محمد الخامس	8	174
	المسيرة الخضراء (شعر)	6	48
عبد الله بن محمد بن حميد	موكب النور (شعر)	7	85
عبد الله بن الصديق (د ٠)	الدكتور عبد الجليل المصرى وتحديد النسل	5	29
	كيف تشكر النعمة	4	205
عبد الفتاح امام	رتب الحفظ عند المحدثين	8	132
	مرحبا بعيد العرش	6	227
	من وحى المسيرة (شعر)	6	234
عبد الله اكديرة	الاسلام وحرية الفكر	9	59
عبد الله الجرارى	عصرنا بين العلم والتكنولوجيا والاخلاق النفعية	6	204
عبد الله العمرانى (د ٠)	الحسن الثانى أيده الله رائد الثقافة	4	149
	من نفحات الربيع	14	79
عبد الله كنون	أنشودة الربيع (شعر م ٠)	(3 — 2)	223
	الرد القرآنى على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (5)	1	19
	الرد القرآنى على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (6)	(3 — 2)	100
	الرد القرآنى على كتيب : هل يمكن الاعتقاد بالقرآن (7)	4	190
	المغرب المتطور من خلال الوحدة والتحرر (تقويم ميدانى لسياسة الحسن الثانى) ٠	6	5
عبد اللطيف خالص	المعجزة والتحدى	8	19
	نشيد العرش (شعر)	6	42
عبد الواحد الناصر	ذاتية الاسلام : (ذكرى مولد الرسول) (شعر)	7	104
	الاسلام الواحد والماركسيات المتعددة	1	39
	المسلمون والماركسية	(3 — 2)	116
عبد الهادى التازى (د ٠)	الشريعة الاسلامية ومشكلة العلاقة بين القانون الوضعى والقانون الداخلى	8	،22
	عبد الكريم بن الحسنى	10	109
عثمان بن خضراء	من خلال رسائله		
	الحسن الثانى رمز الامة ومحقق الوحدة	6	213
عثمان عثمان اسماعيل (د ٠)	قضية الصحراء المغربية فى بطون الكتب	4	159
عمر بهاء الدين الاميرى	الآثار الاسلامية فى المغرب العربى	9	86
	من وحى المسيرة (شعر)	6	234
على لغزيوى	صفاء الروح (شعر)	4	209
	من صور القضاء المشرقة فى الاندلس	(3 — 2)	203
	قضية الصحراء فى الشعر المغربى المعاصر	4	138
	— غ —		
غربى محمد	لزوميه (اقواس) المسيرة (شعر)	6	233
	— ف —		
فاروق حمادة	الاسباب التى دعت الى علم الجرح والتعديل	5	44
	شيخوخة الماركسية	7	
	احتضار الراسمالية	8	165
	الاسلام ضرورة حضارية	10	35
فكتور الكك (د ٠)	عرض كتاب « صراع المذهب والعقيدة فى القرآن » تأليف عبد الكريم غلاب	5	126

الكاتب	المـوضـوع	العدد	الصفحة
	— ص —		
صلاح الدين الادلبى	التاريخ الكبير للبخارى	8	146
	قراءة فى الجزء الخامس لكتاب التمهيد	10	137
	— ع —		
عبد الاله بوشنين	اليـد البيضـاء (شعـر)	1	182
عبد الحليم عويس	صور العالم الاسلامى فى النصف الاخير من القرن 15 هـ . — 1 —	(3 — 2)	92
	صور العالم الاسلامى فى النصف الاخير من القـرن 15 هـ . — 2 —	5	24
	المسالة الاجتماعية من وجهة النظر الاسلامية	8	128
	العلاج الالهى للمشكلة الاجتماعية	10	
عبد الرحمان بن عبد الله	من فرويد الى لاكان	(3 — 2)	152
عبد الرحمن الدكالى	ثـورة توقد الوجود	9	148
عبد الرحمان العمرانى الادريسى	وصف الجحيم فى كتب الحديث	1	48
	الخلافة من أجل النعم التى يحسد عليها المغرب	6	169
عبد الرحيم بن سلامة	الذمة والاهلية فى الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية	9	67
عبد السلام الحضرى	علاقة شفشاون بالملوك العلويين	4	172
	الملك الصالح فى المدينة الصالحة	6	225
	ولنـا اليـوم فرحة (شعر)	6	184
عبد السلام الهراس (د.)	خطبة الجمعة انشأت جامعة	8	139
	حول تجديد الفكر العربى	9	148
عبد العزيز بن عبد الله	المسجد منبر للدعوة ومنتدى للعلم	5	90
عبد العلى الوزانى	الكلمة الجميلة النظيفة	4	201
	شجرة الحب والحكمـة	6	24
عبد القادر الخلادى	مؤرخو الشرفاء : المدخل — 2 —	1	122
	مؤرخو الشرفاء : المدخل — 3 —	(3 — 2)	180
	مؤرخو الشرفاء : المدخل — 4 —	4	181
	مؤرخو الشرفاء : المدخل — 5 —	6	145
	مؤرخو الشرفاء : المدخل — 6 —	8	65
	مؤرخو الشرفاء : مؤلفات الزيانى — 7 —	10	
عبد القادر زمامة	الـوجـادات	1	162
	الـوجـادات	(3 — 2)	158
	الـوجـادات	5	84
	الـوجـادات	7	76
	الـوجـادات	8	156
عبد القادر القادرى	التاريخ المغربى المفترى عليه	9	83
عبد القادر العافية	كتاب الادب المفرد للامام البخارى	1	106
	الشيخ المفتى ابو القاسم بن خجو	8	73
عبد القادر المقدم	الجالية الاسلامية فى أوروبا	10	77
	حول النفى فى كلمة الاخلاص	10	63
	كلنـا وحدة التراب (شعر)	(3 — 2)	218
	المسيرة الخضراء (شعـر)	6	156
	مسيرتك الابيـة خير زحف	4	21
	الفردوسى شهيد المجد	10	153
عبد الكبير العلوى	لبيك يـا صحراء (شعر)	4	126

— ت —

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
التهامى الراجى الهاشمى (د.)	المسيرة الخضراء الحسنية تقوى السيادة المغربية على جميع المستويات	6	191
	اللغة العربية مرآة امة اسلامية	9	124
	— ج —		
جمال فوزى	دعوة الحق (شعر)	(3 — 2)	217
	— ح —		
حسن خالد	المبادىء الانسانية فى الجامع الصحيح للامام البخارى	1	90
حسن السائح	الانسان فى الاسلام	1	30
	يوم التضامن الاسلامى	(3 — 2)	38
	عصر ابن الخطيب	5	115
	الشخصية المغربية الاسلامية	6	57
	غرناطة فى عصر ابن الخطيب	7	135
	مستقبل الصحراء من خلال الماضى	8	52
	اصول السلفية المعاصرة	10	52
حسن العلوى بدور	امولاى ذكراك عيد لنا (شعر)	7	114
حسن الوراكلى	مقامات ورسائل اندلسية	8	81
حسين وكاك	دور الحديث فى الاسلام	(3 — 2)	104
	— ر —		
الرحالى الفاروقى	تحية للعرش الذى ابتدع المسيرة الخضراء وانتزع الحواجز وفتح ابواب الصحراء	6	11
	اغلاط اقرب الموارد فى بعض آيات الشواهد	5	6
		10	
	— ز —		
زين العابدين الكتانى	عدم الانحياز : الاختيار الذى آمن به المغرب (1)	8	37
	عدم الانحياز : الاختيار الذى آمن به المغرب (2)	10	87
	— س —		
سعيد احمد	كيف تأسست دولة باكستان	(3 — 2)	84
سعيد أعراب	صحيح البخارى بالغرب الاسلامى	1	80
	مصادر مغربية : فتح البارى للحافظ بن حجر العسقلانى — 1 —	5	36
	المدرسة القرآنية فى الصحراء المغربية فى العصر العلوى	6	74
	مصادر مغربية : فتح البارى للحافظ بن حجر العسقلانى — 2 —	7	16
	المدرسة القرآنية فى الصحراء المغربية	9	73
	من اعلام الاندلس : ابن العربى	10	104
	— ش —		
شهاب حنبكلى	يوم النصر (شعر)	6	231

— ا —

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
آمنة اللوه (د .)	الثقافة العربية المعاصرة فى شمال المملكة المغربية (5)	1	128
	الثقافة العربية المعاصرة فى شمال المملكة المغربية (6)	(3 — 2)	164
ابراهيم حركات (د .)	ارتباط الحضارة المغربية بالصحراء	6	81
ابو الحسن على الندوى	ندوة العلماء : تاريخها ونشأتها	(3 — 2)	59
ابو عدنان عبد القادر البوشيخى	راضية (قصة)	1	193
	فى ظلال المسيرة الحسنية	4	122
	بحث تاريخى عن احتلال الجزائر لجزيرة باديس	4	167
	من البعثات العسكرية فى عهد الرسول (صلعم) الى الشام	7	34
احمد البوعياشى	فى سبيل البعث الاسلامى — 2 —	9	46
	فى سبيل البعث الاسلامى — 3 —	10	28
	شمولية الفقه الاسلامية	9	46
احمد الخياط	النصر لاح (شعر)	6	189
احمد زياد	وابن الخطيب ؟	1	35
احمد معنينو	ذكرى عيد العرش بعد 20 سنة من الاستقلال	6	176
	العلامة الحاج محمد الهاشمى بن خضراء السلاوى	7	176
احمد صالح الطيب	النملة والزبر (قصة م .)	(3 — 2)	235
احمد عبد الرحيم عبد البر	فى عيد العرش العلوى المجيد وعلى هدى النبوة	6	33
احمد عبد السلام البقالى	المومياء (قصة)	1	185
	الفدائى الاول (شعر)	4	147
	خطيئة ماماس (قصة)	10	140
احمد العدوى	ابو عبد الله امغار	7	122
ادريس الكتانى	ما هو مستقبل الاسلام ؟	(3 — 2)	62
	فى الذكرى 20 لاستقلال المغرب	4	122
انور الجندى	نظريات وافدة كشف الفكر الاسلامى زيفها	1	35
	لن تسقط الذاتية الاسلامية فى الامية	9	56
	التحديات التى تواجه التاريخ الاسلامى	10	
احمد الشرباصى (د .)	اسس التربية الاسلامية	10	47
اسماعيل الخطيب	المراكز العلمية بسبتة	10	113

— ب —

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
باهى محمد احمد	صفحات من تاريخ الكفاح [illegible]	[illegible]	[illegible]

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
	— ق —		
قاسم الزهيري	التضامن الاسلامي وابعاده	(3 — 2)	25
	— ن —		
ناجي معروف (د .)	رحلة مع المفكر العربي : ساطع الحصري بين تطور التعليم وصيانة الثروة الأثرية الاسلامية	(3 — 2)	142
	— م —		
محمد ابراهيم بخات	مـن عمق الدعوة	6	209
محمد محمد ابو شهبة	صياغة جديدة للذاتية الاسلامية	8	142
محمد احمد اشماعو	الشرارة المباركة (قصة)	6	219
	بلابل قرطبة (قصة)	7	142
محمد احمد هنطش	حكاية المصطلحات الادبية والكنى	(3 — 2)	149
محمد بن احمد الصقلي	الصحراء لي وطن (شعر)	4	165
محمد بن تاويت	عرض كتاب التعريف «بالقاضي عياض» تحقيق د . ابن شريفة	1	115
	عرض كتاب (البرصان والعرجان والعميان والحولان) « للجاحظ » تحقيق حمد مرسى الخولي	(3 — 2)	226
	اندلسيان تشابها	4	197
	مقامات	7	48
	عرض كتاب « المرشد الى اشعار العرب »	10	119
محمد بن الحاج الهاشمي آل الشيخ	مسيرة فتح ايد الله سيرها	6	187
محمد بن عبد العزيز الدباغ	بحث في القراءات القرآنية التي تحدث عنها الزمخشري في تفسيره الكشاف	5	13
	المراكز التربوية الجهوية من مظاهر السياسة التعليمية في المغرب	6	162
	العناصر الضرورية الصالحة لاستمرار حضارتنا الاسلامية	7	8
	القراءات التي تحدث عنها الزمخشري	10	41
محمد بن علي العلوي	مسيرتنا الى الصحراء خضرا (شعر)	4	125
	قد بلغنا المراد في ظل العرش (شعر)	7	122
محمد بن عبد الله	يوم الاحتفال بذكرى تأسيس منظمة المؤتمر الاسلامي	(3 — 2)	1
	السر الرهيب في مسيرة الفتح والعبور	4	1
محمد بن المهدي العلوي	اتينا بالسلام (شعر)	4	114
	ملحمة التاريخ (شعر)	7	80
محمد التاودي بن سودة	ابو محمد عبد الله بن ياسين	1	134
	الشيخ سيدي محمد بن مبارك	(3 — 2)	194
	اهتمام العرش العلوي بشؤون القضاء ورجاله	6	106
	ابو العباس احمد بن عبد القادر التستاوتي	7	124
محمد جلال كشك	فصل من كتاب « وقيل الحمد لله »	8	37
محمد حجي	الصحراء المغربية عبر التاريخ	6	88
محمد الحجوي الثعالبي	مسيرة القرآن	9	157
محمد حمادي العزيز	الروح بين الدين والحرية	8	114
	الروح والاشراق	9	38
محمد الحلوي	العبور الاكبر (شعر)	4	107
	لبنان الجريح	9	158

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
محمد حمزة	فلسفة الذكر	(3 — 2)	123
	معاني النحو وهندسة العبارة	5	58
	لغتنا الخالدة	7	57
	رؤية معاصرة للشعر العربي	8	152
	منهجية تدريس اللغة العربية (1)	9	130
محمد محيى الدين المشرفي	صفحات مشرقة من تاريخ المغرب الاقصى	8	52
محمد المكى الناصري	لماذا انهزم القانون الروماني أمام القانون الاسلامي ؟	9	18
محمد عبد الرحمان بيصار (د .)	الامام البخاري والتطور العلمي والتكنولوجي الحديث	7	98
محمد عبد المنعم خفاجي (د.)	طه حسين فى الشعر الجاهلي	5	76
	ياعدى والله ما هذا بملك	7	22
محمد العربي الخطابي	نضال المغرب فى الحقل الدولي فى سبيل استرجاع اراضيه المغتصبة	(3 — 2)	164
	المواطن بعد 20 سنة من الاستقلال : قيم ومكاسب	4	101
محمد العربي الشاوش	تقويم الحركة الوطنية المغربية من عام اعلان الحماية الى عام المسيرة الخضراء	6	131
	اشارات واعلام حول تاريخ الاتراك فى الاسلام	7	27
محمد العربي الناصر	موقف الاسلام من العلم والفلسفة	5	17
محمد العلمي حمدان	عرض كتاب « افادة النصيح بالتعريف بسند الجامع الصحيح » تاليف محمد بن رشيد السبتي	1	103
	الكاتب الوزير ابو جعفر احمد بن عطية القضاعي	(3 — 2)	185
	عرض كتاب « الامير الشاعر ابو ربيع سليمان الموحدى عصره ، حياته ، شعره » تاليف د . عباس الجراري	5	128
	ابو الحسن على بن عبد الحق الزرويلي	5	118
	ابو فارس عبد العزيز الملزوزي المكناسي	9	106
محمد على الرباوي	عن فلسطين السليبة (شعر)	1	170
محمد الرابع الحسني الندوي	شبه القارة الهندية .. غزاها الاسلام بالحب	1	26
محمد الطنجي	الحسن الثاني وثقافة الاسلام بين اقطاره	6	19
محمد كمال شبانة (د .)	حقائق ومعجزات فى سورة الرعد	10	57
محمد محمد العلمي	قصيدة الاستسعاد « بمدح سيد الاسياد » على نهج « بانت سعاد »	1	176
	حسناء العيد (شعر)	(3 — 2)	208
	المسيرة الخضراء (شعر)	4	136
	اسمى نداء (شعر)	4	177
	الاستمرار والمسيرة (شعر)	6	195
	فى ذكرى ثورة الملك والشعب	8	172
	من وحي ذكرى 18 نوفمبر	9	
	مسيرة الملك والشعب	10	149
محمد المنتصر الريسوني	شريعة الاسلام وقانون الرومان	1	42
	الحسبة فى الاسلام	(3 — 2)	119
	الزهد فى المفهوم الاسلامي	5	32
محمد المنوني	صحيح البخاري فى الدراسات المغربية من خلال رواته الاولين ورواياته واصوله	1	56
	ذيل وتكملة لموضوع صحيح البخاري فى الدراسات المغربية	(3 — 2)	113

الكاتب	الموضوع	العدد	الصفحة
	معطيات جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق عبر سبع سنوات	4	117
	محمد السائح في منهجية تدريسه للحديث ومن خلال اوضاعه المنوعة		108
	طابع الاسلام بين الاديان	8	52
	باكستان : وطن المنجزات والمشاريع الاسلامية	9	113
	ارتسامات حول المؤتمر العالمي للسيرة النبوية	10	10
محمود محمد الطناحي	التراث العربي في المغرب	9	93
محمود شيت خطاب	الاسلام والنصر (1)	9	107
	الاسلام والنصر (2)	9	23
	الاسلام والنصر	10	71
المختار ولد حامد	جئنا لنشهد من ذا العيد عيد هدى (شعر)	1	168
المدني الحمراوي	قبل المسيرة الخضراء : نجوى الصحراء (شعر)	6	122
	الملاحم الحسنية (شعر)	7	91
	الحشرات الغريبة	10	156
مفدي زكرياء	ملحمة العشرين (شعر)	6	53
	جل عيد العرش ، ان يحسب ذكرى (شعر)	7	101
	محمد .. هذه حكاية حبي	10	
مقبولة الحلي	يارب !!	(2 — 3)	214
ممدوح حقي (د .)	مؤسسات التعريب ومنجزاتها : العقبات الحقيقية والمصطنعة في طريق التعريب	(2 — 3)	134
المهدي البرجالي	المغرب على عهد العلويين : الوزن الدولي للمغرب في غضون القرن 18	1	198
	على ضوء تحولات العالم فيما بين الستينات والثمانيات الهجرية : رصد لاتجاهات تطور التضامن الاسلامي	(2 — 3)	67
	في الافق الفكري للمسيرة الخضراء مغربيا وعالميا	4	132
	على ضوء افادات بعض الجغرافيين المسلمين : بخاري في خلال القرون الثلاثة السابقة للغزو التتري	5	48
	على ضوء المعطيات المغربية والعالمية : تاملات تحليلية لمضمون وظرفية المسيرة الخضراء	6	95
	لمحات جد عابرة حول المدلول التاريخي والانساني لعالمية المدنية الاسلامية	7	31
	عرض كتاب « الفلسفة الاخلاقية في الفكر الاسلامي » تاليف د . احمد محمود صبحي	7	147
	نظرة للافق العربي من خلال حرب اكتوبر	8	37
	عرض كتاب « التاريخ الاسلامي واثره في الفكر التاريخي الاوروبي »	8	179
	المسيرة من منظور اخلاقي	10	83
	عرض كتاب « المجتمعات الاسلامية في القرن الاول للهجرة »	10	132
وجيه فهمي صلاح	شمس الملوك (شعر)	8	170
	قصائد من ديوان المسيرة	9	151
يوسف الكتاني	رباعيات الامام البخاري	9	34


دعوة الحق
بذكرى الهجرة النبوية في
والطفل والشورى
مجلة شهرية
تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها :
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
بالمملكة المغربية
العدد العاشر السنة السابعة عشرة
محرم 1397 — دجنبر 1976
ثمن العدد :
3 دراهم

مجلة تصدرها
وزارة الأوقاف
والشؤون الإسلامية
بالمملكة المغربية

دعوة الحق

العدد العاشر
السنة السابعة عشرة
محرم 1397
دجنبر 1976
ثمن العدد 3 دراهم

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 235،85 — 338،30 .

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرف 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

تقرأ في هذا العدد :

❋ ابحاثا للاساتذة :

الرحالي الفاروقي — محمد المنوني — حسن السائح — د . عبد الهادي التازي — سعيد اعراب — انور الجندي — محمد بن تاويت — زين العابدين الكتاني — المهدي البرجالي — ابو عدنان البوشيخي — عبد القادر العافية — عبد الحليم عويس — فاروق حمادة — د . احمد الشرباصي —

❋ قصائد للشعراء :

مفدي زكرياء — محمد بن محمد العلمي — عبد القادر المقدم — المدني الحمراوي .

❋ قصة قصيرة :

لاحمد عبد السلام البقالي . مع شهريات العالم الاسلامي والفكر والثقافة .